

الجزء السابع (الإمام محمد بن علي الباقر «ع»)

فهرس اجمالي

الباب الأول: الفصل الأول: الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في سطور ١٧

الفصل الثاني: انطباعات عن شخصية الإمام الباقر (عليه السلام) ٢١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصية الإمام الباقر (عليه السلام) ٢٥

الباب الثاني:

الفصل الأول: نشأة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ٣٩

الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ٤٥

الفصل الثالث: الإمام الباقر في ظل جدّه و أبيه (عليهم السلام) ٤٧

الباب الثالث:

الفصل الأول: جهاد أهل البيت (عليهم السلام) و دور الإمام الباقر (عليه السلام) ٥٥

الفصل الثاني: ملامح و أحداث هامة في عصر الإمام الباقر (عليه السلام) ٦٥

الفصل الثالث: دور الإمام الباقر (عليه السلام) في اصلاح الواقع الفاسد ١٠٥

الباب الرابع:

الفصل الأول: دور الإمام (عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة ١٣٩

الفصل الثاني: اغتيال و استشهاد الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ٢٠٩

الفصل الثالث: من تراث الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ٢١٥

ص:٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداة لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و آله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان و زوده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحق و يميزه عن الباطل، و با لإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجة له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغاية التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربانية و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهة، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهة أخرى.

قال تعالى:

ص: ٨

قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى [الانعام (٤): ٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقرة (٢): ٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الاحزاب (٣٣): ٤].

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣): ١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠): ٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبا (٣٤): ٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨): ٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهداية . و هدايته هى الهداية الحقيقية، و هو الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدركها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمة التعرف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** [الذاريات (٥١): ٥٦].

و حيث لا تتحقق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة و العبادة طريقا منحصرًا و هدفًا و غاية موصلة إلى قمة الكمال.

و بعد أن زود الله الانسان بطاقتي الغضب و الشهوة ليحقق له و قود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمن عليه من سيطرة الغضب و الشهوة؛ و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان - بالإضافة إلى عقله

ص: ٩

و سائر أدوات المعرفة - الى ما يضمن له سلامة البصيرة و الرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجة، و تكمل نعمة الهداية، و تتوفر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير و السعادة، أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنة الهداية الربّانية أن يسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، و من خلال الهداء الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة و إعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهملين دون حجة هادية و علم م رشد و نور مضيء، كما أفصحت نصوص الوحي - مؤيدة لدلائل العقل - بأن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجة، فالحجة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجة، و صرح القرآن - بشكل لا يقبل الريب - قائلاً:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد (١٣): ٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداء المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، و التي تتلخّص في:

١- تلقّي الوحي بشكل كامل و استيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة.

و هذه المرحلة تتطلب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، و من هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأنًا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** [الانعام (٦): ١٢٤] و **اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ** [آل عمران (٣): ١٧٩].

٢- إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية و لمن ارسلوا إليه، و يتوقّف الإبلاغ

ص: ١٠

على الكفاءة النامة التي تتمثل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معا، قال تعالى: **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** [البقرة (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امة مؤمنة بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: **يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** [الجمعة (٦٢): ٢] و التزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. و تتطلب التربية القدوة الصالحة التي تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقررة لها، وهذه المهمة أيضا تتطلب الكفاءة العلمية و النفسية، و التي تسمى بالعصمة.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية و تثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرية و ذلك بتنفيذ الاطروحة الربانية، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسى يتولّى إدارة شؤون الامة على أساس الرسالة الربانية للبشرية، و يتطلب التنفيذ قيادة حكيمة، و شجاعة فائقة، و صمودا كبيرا، و معرفة تامة بالنفوس و طبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسية و الاجتماعية و قوانين الإدارة و التربية و سنن الحياة، و نلخصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلا عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كلّ سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثّر تأثيرا سلبيا على

ص: ١١

على مسيرة القيادة و انقياد الامة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامى، و اقتحموا سبيل التربية الشاق، و تحمّلوا في سبيل أداء المهام الرسالية كلّ صعب، و قدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفانى في مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظة، و لم يتلکأوا طرفة عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و حمّله الأمانة الكبرى و مسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طال با منه تحقيق أهدافها. و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و اله) في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، و حقّق في أقصر فترة زمينة أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية و الرسالات الثورية، و كانت حصيلة جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

١- تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوى على عناصر الديمومة و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين امة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشرعية قانونا للحياة.

٤- تأسيس دولة إسلامية و كيان سياسى يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعة السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقيادة الربانية الحكيمة المتمثلة فى قيادته (صلى الله عليه و اله).

ص:١٢

و لتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضرورى:

أ- أن تستمر القيادة الكفوءة فى تطبيق الرسالة و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر .

ب- أن تستمر عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوة حسنة فى الخلق و السلوك كالرسول (صلى الله عليه و اله)، يستوعب الرسالة و يجسدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتمّ على الرسول (صلى الله عليه و اله) إعداد الصفوة من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم و أدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبوية العظيمة و الهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه و صيانة للرسالة الإلهية التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربية للأجيال على قيم و مفاهيم الشريعة المباركة التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربانيّ فى ما نصّ عليه الرسول (صلى الله عليه و اله) بقوله: «إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله و عترتى، و إنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

و كان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبى الأكرم (صلى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده.

إنّ سيرة الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت (عليهم السّلام) تمثّل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه و اله)، و دراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الامّة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه و اله)،

ص:١٣

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعية الامّة و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعى الرساليّ للشريعة و لحركة الرسول (صلى الله عليه و اله) و ثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التى تتحكّم فى سلوك القيادة و الامّة جمعاء.

و تبلورت حياة الأئمة الراشدين فى استمرارهم على نهج الرسول العظيم و انفتاح الامّة عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهداية و مصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله و على مرضاته، و المستقرّين فى أمر الله، و التامّين فى محبّته، و الذائبين فى الشوق اليه، و السابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانى المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعة الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرّخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة و يدّعوا دراستها بشكل كامل، و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، و لقطات من سيرتهم و سلوكهم و مواقفهم التي دوّنها المؤرّخون و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة و التحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية تبدأ برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و اله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

ص: ١٤

و يختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السّلام)، خامس أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) و هو المعصوم السابع من أعلام الهداية الذي جسّد الكمالات النبوية في العلم و الهداية و العمل و التربية و توسّعت بجهوده العلمية الجبارة مدرسة أهل البيت (عليهم السّلام) و اتّضحت معالمها و أینعت ثمارها و لا زلنا نتقيّاً ظلالها حتى عصرنا هذا.

و لا بدّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهداً وافراً و شاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك و إخراجهم إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

و لا يسعنا إلّا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء و الشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا و نعم النصير.

للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السّلام قم المقدسة

ص: ١٥

الباب الأوّل فيه فصول:

الفصل الأوّل:

الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) في سطور الفصل الثاني:

انطباعات عن شخصيّة الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) الفصل الثالث:

مظاهر من شخصيّة الإمام محمد الباقر (عليه السّلام)

الفصل الأول الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في سطور

❖ الإمام محمد الباقر (عليه السلام) هو خامس الأئمة الاطهار الذين نصّ عليهم رسول الله (صلى الله عليه و اله) ليخلفوه في قيادة الأمة الاسلامية و يسировوا بها الى شاطئ الأمن و السلام الذى قدّر الله لها فى ظلال قيادة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

و لقد انحدر الإمام الباقر (عليه السلام) من سلاله طاهرة مطهرة ارتقت سلّم المجد و الكمال و كان أفرادها قمما شامخة فى دنيا الفضائل بعد أن حازت على جميع مقومات الشخصية الانسانية المتكاملة فى مجال الفكر و العقيدة و العقل و العاطفة و الارادة و السلوك، حيث أخلصوا لله تعالى و ذابوا فى محبته و انصهروا فى قيم الرسالة الاسلامية و كانوا ربانيين بحق، و بذلك أصبحوا عدلا للقرآن الكريم بنصّ الرسول الأمين، والقُدوة الشامخة بعد الرسول (صلى الله عليه و اله) و الامناء على تطبيق الرسالة الاسلامية و القادة المعصومون المؤهلون لتوجيه الامّة و تربيتها و إدارة شؤونها و تلبية متطلبات تكاملها و تحقيق سعادتها دنيا و آخرة.

❖ ولد الإمام الباقر (عليه السلام) من أبوين علويين طاهرين زكيين فاجتمعت فيه خصال جدّيه السبطين الحسن و الحسين (عليهما السلام) و عاش فى ظلّ جدّه

الحسين (عليه السلام) بضع سنوات و ترعرع فى ظلّ أبيه على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) حتى شبّ و نما و بلغ ذروة الكمال و هو ملازم له حتى استشهاده فى النصف الأول من العقد العاشر بعد الهجرة النبوية المباركة.

لقد كان أبوه على بن الحسين (عليه السلام) القدوة الشامخة للباقر بعد جدّه الحسين (عليه السلام) و قد عرف بـ «زين العابدين» و «سيد الساجدين» و «قدوة الزاهدين» و «سراج الدنيا» و «جمال الدين»، فكان أهلا للامامة العظمى لشرفه و سؤدده و علمه و تألقه و كمال عقله، كما شهد له بذلك كل من عاصره.

❖ و لقد نهل الإمام محمد بن على الباقر (عليهما السلام) العلوم و المعارف من هذا الوالد العظيم حتى فاق و أبدع فى كل العلوم فكان كما شهد له بذلك جدّه رسول الله (صلى الله عليه و اله) حيث لقّبه بالباقر قائلا: إنّه يبقر العلم بقرا، عندما بشر المسلمين بولادته و بدوره الفاعل فى إحياء علوم الشريعة و فى عصر كانت قد عصفت العواصف بالامّة الاسلامية إثر الفتوح المتتالية و التمازج الحضارى و التبادل الثقافى الذى طال الامّة الاسلامية و هى فى عنفوان حركتها الثقافية و العلمية التى فجّرها الإسلام فى وجودها، و كانت قد حرمت من الارتواء من معين الرسالة الفيّاض الذى تجسّد فى أهل البيت (عليهم السلام).

❖ لقد عاش الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) طيلة حياته فى المدينة يفيض من علمه على الأمّة المسلمة، و يرفع شؤون الجماعة الصالحة التى بذر بذرتها رسول الله (صلى الله عليه و اله)، و ربّاه الإمام على ثمّ الإمامان الحسن و الحسين

(عليهما السلام) كما غذّاها من بعدهم أبوه علي بن الحسين (عليهما السلام) مقدّمًا لها كل مقومات تكاملها و أسباب رشدّها و سموّها.

✽ لقد عانى الإمام الباقر من ظلم الامويين منذ أن ولد و حتى استشهد، ما عدا فترة قصيرة جدّا هي مدّة خلافة عمر بن عبد العزيز التي

ص: ١٩

ناهزت السنتين و النصف.

فعاصر أشدّ أدوار الظلم الأموي، كما أشرف على افول هذا التيار الجاهلي و تجرّع من غصص الآلام ما ينفرد به مثله و عيا وعظمة و كمالاً.

✽ و لكنه استطاع أن يربّي أعداداً كثيرة من الفقهاء و العلماء و المفسّرين حيث كان المسلمون يقصدونه من شتّى بقاع العالم الاسلامي و قد دانوا له بالفضل بشكل لا نظير له، و لم يعيش منعزلاً عن أحداث الساحة الإسلامية و إنّما ساهم بشكل ايجابي في توعية الجماهير و تحريك ضمائرهم و سعى لرفع شأنها و إحياء كرامتها بالبذل المادي والعطاء المعنوي كآبائه الكرام و أجداده العظام و لم يقصر عنهم عبادة و تقوى و صبرا و إخلاصاً فكان قدوة شامخة للجيل الذي عاصره و ل كل الأجيال التي تلتها.

فسلام عليه يوم ولد و يوم جاهد بالعلم و العمل و يوم استشهد و يوم بيعت حيّا.

ص: ٢١

الفصل الثاني انطباعات عن شخصية الإمام محمد الباقر (عليهما السلام)

١- قال له الأبرش الكلبي: أنت ابن رسول الله حقاً. ثم صار الى هشام فقال: دعونا منكم يا بني أمية؛ إن هذا أعلم أهل الأرض بما في السماء و الأرض، فهذا ولد رسول الله^١.

٢- قال أبو اسحاق: لم أر مثله قط^٢.

٣- قال عبد الله بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، و لقد رأيت الحكم بن عتيبة - مع جلالته في القوم - بين يديه كأنه صبي بين يدي معلّمه^٣.

٤- قال الحكم بن عتيبة في قوله تعالى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ**: كان و الله محمد بن علي منهم^٤.

^١ (١) المناقب: 286 / 2.

^٢ (٢) ائمتنا: 396 / 1، عن أعيان الشيعة: 4 ق 20 / 2.

^٣ (٣) بحار الانوار: 82 / 11.

^٤ (٤) كشف الغمة: 212.

٥- كتب عبد الملك بن مروان الى عامل المدينة: ابعث إلى محمد بن علي مقيّدا.

فكتب إليه العامل: ليس كتابي هذا خلافا عليك يا أمير المؤمنين، ولا ردّا لأمرك، ولكن رأيت أن اراجعك في الكتاب نصيحة لك، وشفقة عليك. إنَّ

(١) المناقب: ٢ / ٢٨٦.

(٢) ائمتنا: ١ / ٣٩٦، عن أعيان الشيعة: ٤ ق ٢ / ٢٠.

(٣) بحار الانوار: ١١ / ٨٢.

(٤) كشف الغمة: ٢١٢.

ص: ٢٢

الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض أعفّ منه ولا أزهد ولا أروع منه، وإنّه من أعلم الناس، وأرقّ الناس، وأشدّ الناس اجتهدا وعبادة، وكرهت لأمر المؤمنين التعرض له ف **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**. فسرّ عبد الملك بما أنهى إليه الوالى و علم أنّه قد نصحه^٥.

٦- وقال له هشام بن عبد الملك: والله ما جرّبت عليك كذبا^٦. وقال له أيضا: لا تزال العرب والعجم يسودها قريش ما دام فيهم مثلك^٧.

٧- قال له قتادة بن دعامة البصرى: لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدام أحد منهم ما اضطرب قدامك^٨.

٨- قال له عبد الله بن معمر الليثي: ما أحسب صدوركم إلّا منابت أشجار العلم، فصار لكم ثمره وللناس ورقه^٩.

٩- قال شمس الدين محمد بن طولون: أبو جعفر محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضى الله عنه)، الملقّب بالباقر، وهو والد جعفر الصادق رضى الله عنهما، كان الباقر عالما، سيدا كبيرا، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقّر في العلم، أى توسّع، والتبقيّر التوسيع، وفيه يقول الشاعر:

و خير من لّنى على الأجل^{١٠}

يا باقر العلم لأهل التقى

^٥ (١) ائمتنا: ١ / 396، عن اعيان الشيعة: 4 ق 2 / 85.

^٦ (2) المناقب: 2 / 278.

^٧ (3) بحار الانوار: 11 / 88.

^٨ (4) في رحاب أئمة أهل البيت: 4 / 10.

^٩ (5) كشف الغمة: 221.

^{١٠} (6) الائمة الاثنا عشر: 81.

١٠- قال محمد بن طلحة الشافعي : هو باقر العلم و جامع و شاهر علمه و رافعه، و منمَّق درّه و واضعه . صفا قلبه، و زكا علمه، و ظهرت نفسه، و شرفت أخلاقه، و عمرت بطاعة الله أوقاته، و رسخت في مقام التقوى قدمه، و ظهرت

(١) ائمتنا: ٣٩٦ / ١، عن اعيان الشيعة: ٤ ق ٢ / ٨٥.

(٢) المناقب: ٢ / ٢٧٨.

(٣) بحار الانوار: ١١ / ٨٨.

(٤) في رحاب أئمة أهل البيت: ٤ / ١٠.

(٥) كشف الغمة: ٢٢١.

(٦) الائمة الاثنا عشر: ٨١.

ص: ٢٣

عليه سمات الازدلاف، و طهارة الاجتناء^{١١}.

١١- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : كان محمد بن علي بن الحسين سيد فقهاء الحجاز، و منه و من ابنه جعفر تعلم الناس الفقه^{١٢}.

١٢- قال أبو نعيم الإصبهاني : الحاضر الذكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر، محمد بن علي الباقر، كان من سلالة النبوة، و من جمع حسب الدين و الابوة، تكلم في العوارض و الخطرات، و سفح الدموع و العبرات، و نهى عن المراء و الخصومات^{١٣}.

١٣- قال أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني : منبع الفضائل و المفاخر، الإمام محمد بن علي الباقر (رضي الله عنه) و إنما سمي بالباقر لانه بقر العلم، و قد قيل:

لقب بالباقر لما روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): يا جابر يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين، اسمه كاسمي يبقر العلم بقرا، أى يفجره تفجيراً، فإذا رأيته فاقراه منى السلام . و كان خليفة أبيه من بين إخوته، و وصيه و القائم بالإمامة من بعده^{١٤}.

١٤- قال علي بن محمد بن أحمد المالكي - المعروف بابن الصباغ:-

^{١١} (1) مطالب السؤل: 80، كشف الغمة: 2/ 329 و الصواعق المحرقة: 304 مع اختلاف يسير.

^{١٢} (2) المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة 201.

^{١٣} (3) حلية الأولياء: 3/ 180.

^{١٤} (4) اخبار الدول: 111.

وكان محمد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) مع ما هو عليه من العلم والفضل والسؤدد والرياسة والامامة، ظاهر الجود في الخاصة والعامة، ومشهور الكرم في الكافة، معروف بالفضل والاحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله^{١٥}.

١٥- قال ابن خلّكان: أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين المقلّب بالباقر، أحد الأئمة

(١) مطالب السؤل: ٨٠، كشف الغمة: ٣٢٩ / ٢ والصواعق المحرقة: ٣٠٤ مع اختلاف يسير.

(٢) المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة ٢٠١.

(٣) حلية الأولياء: ٣ / ١٨٠.

(٤) اخبار الدول: ١١١.

(٥) الفصول المهمة: ٢٠١.

ص: ٢٤

الاثني عشر ... و كان الباقر عالما سيدا كبيرا^{١٦}.

١٦- قال أحمد بن حجر: وارثه - أى وارث الإمام زين العابدين - منهم عبادة و علما، و زهادة أبو جعفر محمد الباقر سمي بذلك من بقر الأرض، أى شقها و أثار مخبّاتها و مكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبّات كنوز المعارف، و حقائق الأحكام و الحكم و اللطائف، ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيرة، أو فاسد الطينة و السريرة؛ و من ثمّ قيل فيه : هو باقر العلم و جامعه و شاهر علمه و رافعه، صفا قلبه، و زكا علمه و عمله، و طهرت نفسه، و شرف خلقه، و عمرت أوقاته بطاعة الله . و له من الرسوم فى مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين . و له كلمات كثيرة فى السلوك و المعارف لا تحتملها هذه العجالة و كفاه شرفا أن ابن الهديني روى عن جابر أنّه قال له - و هو صغير -:

رسول الله (صلى الله عليه و اله) يسلم عليك، فقيل له : و كيف ذلك؟ قال : كنت عند رسول الله (صلى الله عليه و اله) جالسا، و الحسين فى حجره و هو يداعبه، فقال : يا جابر يولد له مولود اسمه على، إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإذا أدركته يا جابر فاقرأه منى السلام^{١٧}.

١٧- قال محمد أمين البغدادي السويدي : لم يظهر عن أحد من أولاد الحسين من علم الدين و السنن و السير و فنون الأدب، ما ظهر عن أبي جعفر (رضى الله عنه)^{١٨}.

^{١٥} (5) الفصول المهمة: 201.

^{١٦} (1) وفيات الاعيان: 314 / 3.

^{١٧} (2) الصواعق المحرقة: 305.

^{١٨} (3) سبائك الذهب: 72.

(١) وفيات الاعيان: ٣ / ٣١٤.

(٢) الصواعق المحرقة: ٣٠٥.

(٣) سبائك الذهب: ٧٢.

ص: ٢٥

الفصل الثالث مظاهر من شخصية الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

لقد توفرت في شخصية الإمام أبي جعفر (عليه السلام) جميع الصفات الكريمة التي أهّلت له لزعامه هذه الأمة.

حيث تميّز هذا الإمام العظيم بمواهبه الروحية والعقلية العظيمة وفضائله النفسية والأخلاقية السامية ممّا جعل صورته صورة متميّزة من بين العظماء والمصلحين، كما تميّز بحسبه الوضّاح، بكل ما يمكن أن يسمو به هذا الانسان.

ولقد احتاط النبي (صلى الله عليه و اله) كأشد ما يكون الاحتياط في شأن أمته، و لم يرض أن تكون في ذيل قافلة الأمم والشعوب، فقد أراد لها العزّة والكرامة، و أراد أن تكون خير أمة أخرجت للناس، فأولى مسألة الخلافة و الامامة المزيد من اهتمامه، و نادى بها أكثر من أية قضية أخرى من القضايا الدينية لأنّها القاعدة الصلبة لتطور أية أمة في مجالاتها الفكرية والاجتماعية و السياسية، و قد خصّ بها الأئمة الطاهرين من أهل بيته الذين لم يخضعوا في أى حال من الأحوال لأية نزعة مادية، و إنما آثروا طاعة الله و مصلحة الامّة على كل شىء.

و كان الإمام محمد بن على الباقر (عليه السلام) جامعا للكمالات الانسانية في

ص: ٢٦

سيرته و سلوكه، فكان أهلا للإمامة الكبرى بعد أبيه زين العابدين.

و ما دوّنته كتب التاريخ من فضائله الجمة هي غيض من فيض، و نشير إلى شىء يسير منها تباعا:

حلّمه:

كان الحلم من أبرز صفات الإمام أبي جعفر (عليه السلام) فقد أجمع المؤرخون على أنه لم يسيء الى من ظلمه و اعتدى عليه، و انما كان يقابله بالبر و المعروف، و يعالمه بالصفح و الاحسان، و قد رووا صورا كثيرة عن عظيم حلمه، كان منها:

١- إن رجلا كتابيا هاجم الإمام (عليه السلام) و اعتدى عليه، و خاطبه بمرّ القول:

«أنت بقرا!»

فلطف به الإمام، و قابله ببسمات طافحة بالمروءة قائلا:

«لا أنا باقر»

و راح الرجل الكتابي يهاجم الإمام قائلا:

«أنت ابن الطباخة!»

فتبسّم الإمام، و لم يثره هذا الاعتداء بل قال له:

«ذاك حرفتها».

و لم ينته الكتابي عن غيّه، و إنما راح يهاجم الإمام قائلا:

«أنت ابن السوداء الزنجية البذية!»

و لم يغضب الإمام (عليه السّلام)، و إنما قابله باللطف قائلا:

«إن كنت صدقت غفر الله لها، و إن كنت كذبت غفر الله لك».

و بهت الكتابي، و انههر من أخلاق الإمام (عليه السّلام) التي ضارعت أخلاق

ص: ٢٧

الأنبياء فأعلن إسلامه^{١٩} و اختار طريق الحق.

٢- و من تلك الصور الرائعة المدهشة من حلمه: أن شاميا كان يختلف إلى مجلسه، و يستمع إلى محاضراته، و قد أعجب بها، فأقبل يشتدّ نحو الإمام و قال له:

يا محمد إنما أغشى مجلسك لا حبّا مني إليك، و لا أقول: إن أحدا أبغض إليّ منكم أهل البيت، و اعلم أن طاعة الله، و طاعة أمير المؤمنين في بغضكم، و لكنني أراك رجلا فصيحاً لك أدب و حسن لفظ، فإنما اختلف إليك لحسن أدبك!!.

و نظر إليه الإمام (عليه السّلام) بعطف و حنان، و أخذ يغدق عليه ببرّه و معروفه حتى تنبّه الرجل و تبين له الحق، و انتقل من البغض الى الولاء للإمام (عليه السّلام) و ظلّ ملازماً له حتى حضرته الوفاة فأوصى أن يصلى عليه^{٢٠}.

و حاكى الإمام الباقر (عليه السّلام) بهذه الأخلاق الرفيعة جدّه الرسول (صلى الله عليه و اله) الذى استطاع بسمو أخلاقه أن يؤلّف بين القلوب، و يوحد بين المشاعر و العواطف و يجمع الناس على كلمة التوحيد بعد ما كانوا فرقا و أحزاباً.

^{١٩} (1) مناقب آل أبي طالب: 3/ 337، بحار الأنوار: 46/ 289، الأنوار البهية: 142، مستدرک البحار: 2/ 383.

^{٢٠} (2) بحار الأنوار: 11/ 66.

لقد كان الصبر من الصفات الذاتية للأئمة الطاهرين من أهل البيت (عليهم السلام) فقد صبروا على مكاره الدهر، و نوائب الأيام، و صبروا على تجرّع الخطوب التي تعجز عن حملها الجبال ، فقد استقبل الإمام الحسين (عليه السلام) على صعيد كربلاء أمواجاً من المحن الشاقة التي تذهل كل كائن حي، مترنماً

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٣٧، بحار الأنوار: ٤٦/ ٢٨٩، الأنوار البهية: ١٤٢، مستدرک البحار: ٢/ ٣٨٣.

(٢) بحار الانوار: ١١/ ٦٦.

ص: ٢٨

بقوله (عليه السلام): «صبرا على قضائك يا رب، لا معبود سواك».

و صبر الإمام الباقر (عليه السلام) كآبائه على تحمل المحن و الخطوب. و إليك بعض تلك المحن:

١- انتقاص السلطة لآبائه الطاهرين، و إعلان سيّهم على المنابر و المآذن، و هو (عليه السلام) يسمع ذلك، و لا يتمكن أن ينبس بينت شفة فصر و كظم غيظه، و أوكل الأمر الى الله الحاكم بين عباده بالحق.

٢- و من بين المحن الشاقة التي صبر عليها التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت (عليهم السلام) و ملاحقتهم تحت كل حجر و مدر و قتلهم بأيدي الجلادين من عملاء السلطة الاموية، و هو لا يتمكن أن يحرك ساكناً، و قد فرضت عليه السلطة الرقابة الشديدة، و رفضت كل طلب له في شأن شيعته.

٣- و روى المؤرخون عن عظيم صبره انه كان جالسا مع أصحابه إذ سمع صيحة عالية في داره، فأسرع اليه بعض مواليه فأسرّ إليه بشيء فقال (عليه السلام):

«الحمد لله على ما أعطى، و له ما أخذ، إنهم عن البكاء، و خذوا في جهازه، و اطلبوا السكينة، و قولوا لها : لا ضير عليك أنت حرة لوجه الله لما تداخلك من الروح...».

و رجع إلى حديثه، فتهيب القوم سؤاله، ثم أقبل غلامه فقال له : قد جهّزناه، فأمر أصحابه بالقيام م عه للصلاة على ولده و دفنه، و أخبر أصحابه بشأنه فقال لهم: إنه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات^{٢١}.

٤- و روى أيضا: أنه كان للإمام (عليه السلام) ولد و كان أثيرا عنده فمرض فخشى على الإمام لشدة حبه له، و توفي الولد فسكن صبر الإمام، فقيل له : خشينا عليك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فأجاب و هو ملىّ بالاطمئنان و الرضا بقضاء الله قائلاً:

^{٢١} (1) عيون الاخبار و فنون الآثار: 218.

«إنا ندعو الله فيما يحب فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما يحب»^{٢٢}.

لقد تسلّح الإمام (عليه السلام) بالصبر أمام نوائب الدنيا و قابل كوارث الدهر بإرادة صلبة، و إيمان راسخ، و تحمّل الخطوب في غير ضجر و لا سأم محتسبا في ذلك الأجر عند الله تعالى.

كرمه و سخاؤه:

الكرم من أوضح الفضائل و المكارم لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) فقد بسطوا أيديهم بسخاء نادر الى الفقراء و السائلين، و فيهم يقول الشاعر:

لوجدته منهم على أميال

لو كان يوجد عرف مجد قبلهم

كرما يقيك مواقف التسأل

إن جئتهم أبصرت بين بيوتهم

متوقد في الشيب و الاطفال.^{٢٣}

نور النبوة و المكارم فيهم

لقد فطر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) على حب الخير و صلة الناس و إدخال السرور عليهم.

أ- اكرامه الفقراء:

و من معالي أخلاقه أنه كان يبجل الفقراء، و يرفع من شأنهم لئلا يرى عليهم ذلّ الحاجة، و يقول المؤرخون : انه عهد لأهله إذا قصدهم سائل أن لا يقولوا له: يا سائل خذ هذا، و إنما يقولون له: على عبد الله بورك فيك^{٢٤} و قال:

سمّوهم بأحسن أسمائهم^{٢٥}.

^{٢٢} (١) تاريخ دمشق: 51 / 52، عيون الاخبار لابن قتيبة: 3 / 57.

^{٢٣} (٢) الفصول المهمة: 227.

^{٢٤} (٣) عيون الاخبار: 3 / 208.

^{٢٥} (٤) البيان و التبيين: 158.

(٣) عيون الاخبار: ٢٠٨ / ٣.

(٤) البيان و التبيين: ١٥٨.

ص: ٣٠

ب - عتقه العبيد:

و كان الإمام الباقر (عليه السلام) شغوفاً بعتق العبيد، و إنقاذهم من رقّ العبودية، فقد أعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً^{٢٦} و كان عنده ستون مملوكاً فأعتق ثلثهم عند موته^{٢٧}.

ج - صلته لأصحابه:

و كان أحب شيء إلى الإمام (عليه السلام) في هذه الدنيا صلته لإخوانه فكان لا يمل من صلتهم و صلة قاصديه و راجيه و مؤمليه، و قد عهد لابنه الإمام الصادق (عليه السلام) أن ينفق من بعده على أصحابه و تلاميذه ليتفرغوا الى نشر العلم و إذاعته بين الناس^{٢٨}.

د - صدقاته على فقراء المدينة : و كان الإمام (عليه السلام) كثير البر و المعروف على فقراء يثرب، و قد احصيت صدقاته عليهم فبلغت ثمانية آلاف دينار^{٢٩}. و كان يتصدق عليهم في كل يوم جمعةً بدينار و يقول : «الصدقة يوم الجمعة تضاعف الفضل على غيره من الأيام»^{٣٠}.

و ذكر المؤرخون : انه كان أقلّ أهل بيته مالا و أعظمهم مؤونة^{٣١}، و مع ذلك كان وجود بما عنده لإنعاش الفقراء و المحرومين. و قد نقل الرواة بوادر كثيرة من هذا الجود و إليك نماذج منها:

١ - روى سليمان بن قرم فقال: كان أبو جعفر يجيزنا الخمسمائة درهم

(١) عن شرح شافية أبي فراس: ١٧٦ / ٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام): ١٢٤ / ١.

(٤) شرح شافية أبي فراس: ١٧٦ / ٢.

^{٢٦} (١) عن شرح شافية أبي فراس: ١٧٦ / ٢.

^{٢٧} (٢) المصدر السابق.

^{٢٨} (٣) حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام): ١٢٤ / ١.

^{٢٩} (٤) شرح شافية أبي فراس: ١٧٦ / ٢.

^{٣٠} (٥) في رحاب ائمة اهل البيت عليهم السلام: ١٢ / ٤.

^{٣١} (٦) المصدر السابق.

(٥) فى رحاب أئمة اهل البيت (عليهم السّلام): ١٢ / ٤.

(٦) المصدر السابق.

ص: ٣١

إلى الستمائة درهم الى الألف، و كان لا يملّ من صلة الإخوان و قاصديه و راجيه^{٣٢}.

٢- قال الحسن بن كثير: شكوت الى أبى جعفر محمد بن على الحاجة و جفاء الاخوان، فتأثر (عليه السّلام) و قال: بئس الأخ يرداك غنيا، و يقطعك فقيرا، ثم أمر غلامه فأخرج كيسا فيه سبعمائة درهم، و قال : استنفق هذه فإذا نفذت فأعلمنى^{٣٣}.

٣- و كان (عليه السّلام) يحبو قوما يغشون مجلسه من المائة الى الألف، و كان يحبّ مجالستهم، منهم عمرو بن دينار، و عبد الله بن عبيد. و كان يحمل اليهم الصلة و الكسوة، و يقول: هيأناها لكم من أول السنة^{٣٤}.

٤- روت مولاته سلمى فقالت: كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، و يلبسهم الثياب الحسنة، و يهب لهم الدارهم، و قد عدلته سلمى عن ذلك فقال لها: يا سلمى ما يؤمل فى الدنيا بعد المعارف و الاخوان...^{٣٥} و كان يقول: «ما حسنت الدنيا إلّا صلة الاخوان و المعارف»^{٣٦}.

عبادته:

كان الإمام ابو جعفر الباقر (عليه السّلام) من أئمة المتقين فى الإسلام، فقد عرف الله معرفة استوعبت دخائل نفسه، فأقبل على ربه بقلب منيب، و أخلص فى طاعته كأعظم ما يكون الاخلاص . أما مظاهر عبادته فيمكن الإشارة الى بعضها كما يلي:

(١) الارشاد: ٢٩٩.

(٢) صفة الصفوة: ٦٣ / ٢.

(٣) عيون الاخبار و فنون الآثار: ٢١٧، و الارشاد: ٢٢٩.

(٤) صفة الصفوة: ٦٣ / ٢.

(٥) المصدر السابق.

^{٣٢} (١) الارشاد: 299.

^{٣٣} (٢) صفة الصفوة: 63 / 2.

^{٣٤} (٣) عيون الاخبار و فنون الآثار: 217، و الارشاد: 229.

^{٣٥} (٤) صفة الصفوة: 63 / 2.

^{٣٦} (٥) المصدر السابق.

أ- خشوعه في صلاته: فقد عرف عنه أنه كان إذا أقبل على الصلاة اصفرّ لونه ^{٣٧} خوفاً من الله و خشيةً منه، و لا غرو في ذلك فقد عرف عظمة الله تعالى، الذي فطر الكون و وهب الحياة، فعبده عبادة المتقين المنيبين.

ب- كثرة صلاته: و كان كثير الصلاة حتى كان يصلي في اليوم و الليلة مائة و خمسين ركعة ^{٣٨} و لم تشغله شؤونه العلمية و مرجعيته العامة للامة عن كثرة الصلاة، التي كانت أعزّ شيء عنده؛ لأنها الصلة و الرباط الوثيق بينه و بين الله تعالى.

ج- دعاؤه في سجوده: إنّ أقرب ما يكون العبد فيه الى ربه أن يكون ساجداً، من هنا كان الإمام (عليه السلام) في سجوده يتجه بقلبه و كلّ عواطفه نحو الله و يناجيه بانقطاع و اخلاص، و قد أثرت عنه بعض الادعية في سجوده:

١- روى اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنّه قال: كنت امهّد لأبي فرشه فانتظره حتى يأتي، فإذا آوى الى فراشه و نام قمت الى فراشي . و قد أبطأ علىّ ذات ليلة فأتيت المسجد في طلبه، و ذلك بعد ما هدأ الناس، فإذا هو في المسجد ساجد، و ليس في المسجد غيره فسمعت حنينه و هو يقول : «سبحانك اللهم، أنت ربى حقا حقا، سجدت لك يا رب تعبداً و رقاً، اللهم إنّ عملي ضعيف فضاعفه لى ... اللهم فنى عذابك يوم تبعث عبادك، و تب علىّ إنك أنت التواب الرحيم» ^{٣٩}.

٢- روى أبو عبيدة الحذاء فقال : سمعت أبا جعفر يقول :- و هو ساجد-: «أسألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه و اله) إلّا بدلت سيّأتى حسنات، و حاسبتنى حساباً

(١) راجع تاريخ ابن عساكر: ٤٤ / ٥١.

(٢) تذكرة الحفاظ: ١ / ١٢٥، تأريخ ابن عساكر: ٤٤ / ٥١، حلية الأولياء: ٣ / ١٨٢.

(٣) فروع الكافي: ٣ / ٣٢٣.

يسيرا».

ثم قال في السجدة الثانية: «أسألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه و اله) إلّا ما كفيتنى مؤونة الدنيا، و كلّ هول دون الجنة».

ثم قال في الثالثة: «أسألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه و اله) لمّا غفرت لى الكثير من الذنوب و القليل، و قبلت منى عملى اليسير».

^{٣٧} (١) راجع تاريخ ابن عساكر: 44 / 51.

^{٣٨} (٢) تذكرة الحفاظ: 1 / 125، تأريخ ابن عساكر: 44 / 51، حلية الأولياء: 3 / 182.

^{٣٩} (٣) فروع الكافي: 3 / 323.

ثم قال في الرابعة: «أسألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه و اله) لما أدخلتني الجنة، و جعلتني من سكّانها، و لمّا نجيتني من سفعات النار^{٤٠} برحمتك، و صلى الله على محمد و آله»^{٤١}.

و تكشف هذه الأدعية عن شدة تعلقه بالله و عظيم إنابته إليه.

حجّه:

و كان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) اذا حجّ البيت الحرام انقطع الى الله و أناب اليه و ظهرت عليه آثار الخشوع و الطاعة، و قد قال مولاه أفلح: حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل الى المسجد رفع صوته بالبكاء فقلت له: «بأبي أنت و أمي إن الناس ينتظرونك فلو خفضت صوتك قليلا».

فلم يعتن الإمام و راح يقول له: «ويحك يا أفلح إنني أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر إليّ برحمة فأفوز بها غدا».

ثم إنه طاف بالبيت، و جاء حتى ركع خلف المقام، فلما فرغ و إذا بموضع سجوده قد ابتلّ من دموع عينيه^{٤٢}. و حج (عليه السلام) مرة و قد احتفّ به الحجيّج،

(١) سفعات النار: هي لفحات السعير التي تغير بشرة الانسان لشدة حرارتها.

(٢) فروع الكافي: ٣ / ٣٢٢.

(٣) صفة الصفوة: ٢ / ٦٣، نور الأبصار: ١٣٠.

ص: ٣٤

و ازدحموا عليه و هم يستفتونه عن مناسكهم و يسألونه عن أمور دينهم، و الإمام يجيبهم . و بهر الناس من سعة علومه حتّى أخذ بعضهم يسأل بعضا عنه فانبرى اليهم واحد من أصحابه فعرفه قائلا:

«ألا إنّ هذا باقر علم الرسل، و هذا مبين السبل، و هذا خير من رسخ في أصلاب أصحاب السفينة، هذا ابن فاطمة الغراء العذراء الزهراء، هذا بقية الله في أرضه، هذا ناموس الدهر، هذا ابن محمّد و خديجة و علي و فاطمة، هذا منار الدين القائمة»^{٤٣}.

مراجاته مع الله تعالى:

^{٤٠} (١) سفعات النار: هي لفحات السعير التي تغير بشرة الانسان لشدة حرارتها

^{٤١} (٢) فروع الكافي: 3 / 322.

^{٤٢} (٣) صفة الصفوة: 2 / 63، نور الأبصار: 130.

^{٤٣} (١) مناقب ابن شهر آشوب: 4 / 183.

كان الإمام (عليه السلام) يناجي الله تعالى في غلس الليل البهيم، وكان مما يقوله في مناجاته : «أمرتني فلم أؤتم، و زجرتني فلم أزدجر، هذا عبدك بين يديك»^{٤٤}.

ذكره لله تعالى:

لقد كان دائم الذكر لله تعالى، وكان لسانه يلهج بذكر الله في أك ثر أوقاته، فكان يمشى و يذكر الله، و يحدث القوم و ما يشغله ذلك عن ذكره تعالى. و كان يجمع ولده و يأمرهم بذكر الله حتى تطلع الشمس، كما كان يأمرهم بقراءة القرآن، و من كان لا يقرأ منهم كان يأمره بذكر الله تعالى^{٤٥}.

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ١٨٣ / ٤.

(٢) حلية الأولياء: ١٨٦ / ٣، ترجمة محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، رقم ٢٣٥؛ صفة الصفوة: ٢ / ٦٣.

(٣) في رحاب أئمة أهل البيت (عليهم السلام): ٦ / ٤.

ص: ٣٥

زهده في الدنيا:

و زهد الإمام أبو جعفر (عليه السلام) في جميع مباهج الحياة و أعرض عن زينتها فلم يتخذ الرياش في داره، و إنما كان يفرش في مجلسه حصيرا^{٤٦}.

لقد نظر الى الحياة بعمق و تبصر في جميع شؤونها فزهد في ملاذها، و اتجه نحو الله تعالى بقلب منيب.

فعن جابر بن يزيد الجعفي: قال لي محمد بن علي (عليه السلام): «يا جابر إني لمحزون، و إني لمشتغل القلب».

فأنبرى اليه جابر قائلا: «ما حزنك؟ و ما شغل قلبك؟».

فأجابه (عليه السلام) قائلا: «يا جابر إنه من دخل قلبه صافي دين الله عزّ و جلّ شغله عمّا سواه . يا جابر ما الدنيا؟ و ما عسى أن تكون؟ هل هي إلا مركب ركبت؟ أو ثوب لبسته؟ أو امرأة أصبتها؟!»^{٤٧}.

و أثرت عنه كلمات كثيرة في الحث على الزهد، و الإقبال على الله تعالى، و التحذير من غرور الدنيا و آثامها.

و بهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض مظاهر شخصيته المشرقة.

^{٤٤} (2) حلية الأولياء: 186 / 3، ترجمة محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، رقم 235؛ صفة الصفوة: 2 / 63.

^{٤٥} (3) في رحاب أئمة أهل البيت (عليهم السلام): 6 / 4.

^{٤٦} (1) دعائم الإسلام: 2 / 158.

^{٤٧} (2) البداية و النهاية: 310 / 9، حياة الإمام محمد الباقر: 1 / 115 - 134 بتصرف.

(١) دعائم الإسلام: ١٥٨ / ٢.

(٢) البداية و النهاية: ٩ / ٣١٠، حياة الإمام محمد الباقر: ١ / ١١٥ - ١٣٤ بتصرف.

ص: ٣٧

الباب الثاني فيه فصول:

الفصل الأول:

نشأة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام الباقر (عليه السلام) الفصل الثالث:

الإمام الباقر في ظل جدّه و ابيه (عليهما السلام)

ص: ٣٩

الفصل الأول نشأة الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)

لقد ازدهرت الحياة الفكرية و العلمية في الإسلام بهذا الإمام العظيم الذي التقت فيه عناصر الشخصية من السبطين الحسن و الحسين (عليهما السلام) و امتزجت به تلك الاصول الكريمة و الاصلاح الشامخة، و الارحام المطهرة، التي تفرّع منها.

فالأب: هو سيد الساجدين و زين العابدين و ألمع سادات المسلمين.

و الأم: هي السيدة الزكية الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة، و تكنى أم عبد الله^{٤٨} و كانت من سيدات نساء بنى هاشم، و كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يسميها الصديقة^{٤٩} و يقول فيها الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): «كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن مثلها»^{٥٠} و حسبها سمواً أنها بضعة من ريحانة رسول الله، و أنها نشأت في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه، ففي حجرها الطاهر تربى الإمام الباقر (عليه السلام).

المولود المبارك: و أشرقت الدنيا بمولد الإمام الزكي محمد الباقر الذي بشر به النبي (صلى الله عليه و اله) قبل ولادته، و كان أهل البيت (عليهم السلام) ينتظرونه بفارغ الصبر لأنه من أئمة المسلمين الذين نص عليهم النبي (صلى الله عليه و اله) و جعلهم قادة

^{٤٨} (١) تهذيب اللغات و الاسماء: ١ / ٨٧، وفيات الاعيان: ٣ / ٣٨٤.

^{٤٩} (٢) عن الدر النظيم من مصورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل (٢٨٧٩).

^{٥٠} (٣) أصول الكافي: ١ / ٤٦٩.

(١) تهذيب اللغات و الاسماء: ٨٧ / ١، وفيات الاعيان: ٣ / ٣٨٤.

(٢) عن الدر النظيم من مصورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل (٢٨٧٩).

(٣) أصول الكافي: ١ / ٤٦٩.

ص: ٤٠

لامته، و قرنهم بمحكم التنزيل و كانت ولادته فى يثرب فى اليوم الثالث من شهر صفر سنة (٥٥٦هـ)^{٥١} و قيل سنة (٥٥٧هـ) فى غرة رجب يوم الجمعة^{٥٢} و قد ولد قبل استشهاد جده الإمام الحسين (عليه السلام) بثلاث سنين^{٥٣} و قيل بأربع سنين كما أدلى (عليه السلام) بذلك^{٥٤} و قيل بسنتين و أشهر^{٥٥}.

و قد أجريت له فور ولادته مراسيم الولادة كالإذان و الإقامة فى اذنيه و حلق رأسه و التصديق بزنة شعره فضة على المساكين، و العق عنه بكبش و التصديق به على الفقراء.

و كانت ولادته فى عهد معاوية و البلاد الاسلامية تعج بالظلم، و تموج بالكوارث و الخطوب من ظلم معاوية و جور ولاته الذين نشروا الإرهاب و أشاعوا الظلم فى البلاد.

تسميته: و سماه جده رسول الله (صلى الله عليه و اله) بمحمد، و لقبه بالباقر قبل أن يولد بعشرات السنين، و كان ذلك من أعلام نبوق و قد استشف (صلى الله عليه و اله) من وراء الغيب ما يقوم به سبطه من نشر العلم و اذاعته بين الناس فبشر به أمته، كما حمل له تحياته على يد الصحابى الجليل جابر بن عبد الله الانصارى.

كنيته: «أبو جعفر»^{٥٦} و لا كنية له غيرها.

ألقابه الشريفة: و قد دلت على ملامح من شخصيته العظيمة و هى:

١- الأمين.

(١) وفيات الاعيان: ٣ / ٣١٤، تذكرة الحفاظ: ١ / ١٢٤.

(٢) دلائل الامامة: ٩٤.

^{٥١} (١) وفيات الاعيان: 3 / 314، تذكرة الحفاظ: 1 / 124.

^{٥٢} (2) دلائل الامامة: 94.

^{٥٣} (3) اخبار الدول: 111، وفيات الاعيان: 3 / 314.

^{٥٤} (4) تاريخ البيهقي: 2 / 320.

^{٥٥} (5) عن عيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب من مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم تسلسل (975).

^{٥٦} (6) دلائل الامامة: 94.

(٣) اخبار الدول: ١١١، وفيات الاعيان: ٣/ ٣١٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٢٠.

(٥) عن عيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب من مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم تسلسل (٩٧٥).

(٦) دلائل الامامة: ٩٤.

ص: ٤١

٢- التشبيه: لأنه كان يشبه جده رسول الله (صلى الله عليه و اله) ^{٥٧}.

٣- الشاكر.

٤- الهادي.

٥- الصابر.

٦- الشاهد ^{٥٨}.

٧- الباقر ^{٥٩}. و هذا من اكثر ألقابه ذيوعا و انتشارا، و قد لقب هو و ولده الإمام الصادق ب (الباقرين) كما لقب ب (الصادقين) من باب التغليب ^{٦٠}.

و يكاد يجمع المؤرخون و المترجمون للإمام على أنه إنما لقب بالباقر لانه بقر العلم أى شقه، و توسع فيه فعرف أصله و علم خفيه ^{٦١}.

و قيل: إنما لقب به لكثرة سجوده فقد بقر جبهته أى فتحها و وسعها ^{٦٢}.

تحيات النبي (صلى الله عليه و اله) الى الباقر (عليه السلام): و يجمع المؤرخون على أن النبي (صلى الله عليه و اله و سلم) حمل الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصارى تحياته، الى سبطه الإمام الباقر، و كان جابر ينتظر ولادته بفارغ الصبر ليؤدى اليه رسالة جده، فلما ولد الإمام و صار صبيا يافعا التقى به جابر فأدى اليه تحيات النبي (صلى الله عليه و اله) و قد روى المؤرخون ذلك بصور متعددة و هذا بعضها:

^{٥٧} (1) اعيان الشيعة: 1/ 4/ 464.

^{٥٨} (2) راجع جنات الخلود، و ناسخ التواريخ حياة الإمام الباقر (عليه السلام).

^{٥٩} (3) تذكرة الحفاظ: 1/ 124، نزهة الجليس: 2/ 36.

^{٦٠} (4) عن جامع المقال للشيخ الطريحي

^{٦١} (5) عيون الاخبار و فنون الآثار: 213، عمدة الطالب: 183.

^{٦٢} (6) عن مرآة الزمان في تواريخ الاعيان 5/ 78 من مصورات مكتبة الإمام الحكيم

١- روى ابن عساكر ان الإمام زين العابدين (عليه السلام) و معه ولده الباقر دخلا على جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال له جابر: من معك يا ابن رسول الله؟ قال:

(١) اعيان الشيعة: ق ١ / ٤ / ٤٦٤.

(٢) راجع جنات الخلود، و ناسخ التواريخ. حياة الإمام الباقر (عليه السلام).

(٣) تذكرة الحفاظ: ١ / ١٢٤، نزهة الجليس: ٢ / ٣٦.

(٤) عن جامع المقال للشيخ الطريحي.

(٥) عيون الاخبار و فنون الآثار: ٢١٣، عمدة الطالب: ١٨٣.

(٦) عن مرآة الزمان في تواريخ الاعيان: ٥ / ٧٨ من مصورات مكتبة الإمام الحكيم.

ص: ٤٢

معى ابني محمد، فأخذه جابر و ضمّه اليه و بكى، ثم قال: اقترّب اجلى، يا محمد! رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يقرؤك السلام. فسئل: و ما ذاك؟ فقال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يقول: للحسين بن علي يولد لابني هذا ابن يقال له علي بن الحسين، و هو سيد العابدين إذا كان يوم القيامة ينادى مناد ليقيم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين، و يولد لعلي بن الحسين ابن يقال له: محمد اذا رأيته يا جابر فاقرأه مني السلام، يا جابر اعلم ان المهدي من ولده، و اعلم يا جابر أن بقاءك بعده قليل»^{٦٣}.

٢- روى تاج الدين بن محمد تقيّ حلب بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه. فقال لي من أنت؟ و ذلك بعد ما كف بصره، فقلت له: محمد بن علي بن الحسين، فقال: بأبي أنت و أمي، ادن مني فدنوت منه، فقَبِلَ يدي ثم أهوى الى رجلى فاجتذبتها منه، ثم قال: إن رسول الله يقرؤك السلام، فقلت و علي رسول الله (صلّى الله عليه و اله) السلام و رحمه الله و بركاته، و كيف ذلك يا جابر؟ قال: كنت معه ذات يوم فقال لي: يا جابر لعلك تبقى حتى تلقى رجلا من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين يهب له الله النور و الحكمة فاقرأه مني السلام...»^{٦٤}.

٣- ذكر صلاح الدين الصفدى قال: «كان جابر يمشى بالمدينة و يقول:

يا باقر متى ألقاك؟ فمرّ يوما فى بعض سكك المدينة فناولته جارية صبية فى حجرها فقال لها: من هذا؟ فقالت: محمد بن علي بن الحسين، فضمّه الى صدره، و قبّل رأسه و يديه، و قال: يا بني، جدك رسول الله (صلّى الله عليه و اله) يقرئك

^{٦٣} (١) عن تاريخ ابن عساكر: ٤١ / ٥١ من مصورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين
^{٦٤} (٢) غاية الاختصار: ٦٤.

(١) عن تاريخ ابن عساکر: ٥١ / ٤١ من مصورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

(٢) غاية الاختصار: ٤٤.

ص: ٤٣

السلام ثم قال: يا باقر نعت إلى نفسي فمات في تلك الليلة»^{٦٥}.

ملاحمه: كانت ملامح الإمام محمد الباقر (عليه السلام) كملامح رسول الله (صلى الله عليه و اله) و شمائله^{٦٦} و كما شابه جده النبي (صلى الله عليه و اله) في معالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين فقد شابهه في هذه الناحية أيضا.

و وصفه بعض المعاصرين له فقال: إنه كان معتدل القامة اسمر اللون^{٦٧} رقيق البشرة له خال، ضامر الكشح، حسن الصوت مطرق الرأس^{٦٨}.

ذكاؤه المبكر: و كان (عليه السلام) في طفولته آية من آيات الذكاء حتى أن جابر ابن عبد الله الانصاري على شيخوخته كان يأتيه فيجلس بين يديه فيعلمه ...

و قد بهر جابر من سعة علوم الإمام و معارفه و طفق يقول:

«يا باقر لقد اوتيت الحكم صبيا»^{٦٩}.

و قد عرف الصحابة ما يتمتع به الإمام منذ نعومة أظفاره من سعة الفضل و العلم الغزير فكانوا يرجعون إليه في المسائل التي لا يهتدون إليها و يقول المؤرخون ان رجلا سأل عبد الله بن عمر عن مسألة فلم يقف على جوابها فقال للرجل: اذهب إلى ذلك الغلام - و أشار إلى الإمام الباقر - فاسأله، و أعلمني بما يجيبك فبادر نحوه و سأله فأجابه (عليه السلام) عن مسألتها و خف إلى ابن عمر فاخبره بجواب الإمام، و راح ابن عمر يبدي إعجابه بالإمام قائلا:

(١) الوافي بالوفيات: ١٠٣ / ٤.

(٢) اصول الكافي: ١ / ٤٦٩.

(٣) اخبار الدول: ١١١، جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام: ١٣٢.

^{٦٥} (١) الوافي بالوفيات: ١٠٣ / ٤.

^{٦٦} (٢) اصول الكافي: ١ / ٤٦٩.

^{٦٧} (٣) اخبار الدول: ١١١، جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام: ١٣٢.

^{٦٨} (٤) اعيان الشيعة: ١ / ٤ / ٤٧١.

^{٦٩} الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، والضاير هو الهزيل و الخفيف اللحم راجع مختار الصحاح (٥) علل الشرائع: ٢٣٤.

(٤) اعيان الشيعة: ق ١ / ٤ / ٤٧١.

الكشح: ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف، و الضامر هو الهزيل و الخفيف اللحم راجع مختار الصحاح.

(٥) علل الشرائع: ٢٣٤.

ص: ٤٤

«انهم أهل بيت مفهمون»^{٧٠}.

لقد خص الله أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالعلم و الفضل، و زودهم بما زود أنبياءه و رسله من الفهم و الحكمة حتى أنه لم يخف عليهم جواب مسألة تعرض على أحد منهم، و يقول المؤرخون ان الإمام كان عمره تسع سنين و قد سئل عن أدق المسائل فأجاب عنها.

هيئته و وقاره: و بدت على ملامح الإمام (عليه السلام) هيبة الأنبياء و وقارهم، فما جلس معه أحد إلا هابه و اكبره و قد تشرف قتادة و هو فقيه أهل البصرة بمقابلته فاضطرب قلبه من هيئته و أخذ يقول له:

«لقد جلست بين يدي الفقهاء و أمام ابن عباس فما اضطرب قلبي من أي أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك»^{٧١}.

نقش خاتمه: «العزة لله جميعا»^{٧٢} و كان يتقتم بخاتم جده الإمام الحسين (عليه السلام) و كان نقشه «إن الله بالغ أمره»^{٧٣} و ذلك مما يدل على إنقطاعه التام إلى الله و شدة تعلقه به.

(١) المناقب: ١٤٧ / ٤.

(٢) اثبات الهداة: ١٧٦ / ٥.

(٣) حلية الأولياء: ١٨٩ / ٣.

(٤) في رحاب ائمة أهل البيت (عليهم السلام): ٤ / ٤.

ص: ٤٥

الفصل الثاني مراحل حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

تنقسم حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) - على غرار سائر الأئمة المعصومين (عليهم السلام) - الى مرحلتين متميزتين:

^{٧٠} (١) المناقب: ١٤٧ / ٤.

^{٧١} (٢) اثبات الهداة: ١٧٦ / ٥.

^{٧٢} (٣) حلية الأولياء: ١٨٩ / ٣.

^{٧٣} (٤) في رحاب ائمة أهل البيت (عليهم السلام): ٤ / ٤.

المرحلة الاولى: مرحلة ما قبل التصدى للقيادة الشرعية العامة و التي تشمل القيادة الفكرية و السياسية معا و هي مرحلة الولادة و النشأة حتى استشهاد أبيه (عليه السلام).

و قد عاش الإمام محمد الباقر (عليه السلام) فى هذه المرحلة مع جدّه و أبيه (عليهما السلام) ففضى مع جدّه الحسين (عليه السلام) فترة قصيرة جدا لا تزيد على خمس سنين فى اكثر التقادير، و لا تقل عن ثلاث سنين.

و عاش مع أبيه الإمام زين العابدين (عليه السلام) مدة تقرب من اربع و ثلاثين سنة، و كانت سنينا عجافا؛ إذ كانت الدولة الأموية فى ذروة بطشها و جبروتها، و كان الإمام الباقر (عليه السلام) فى هذه المدة رهن إشارة أبيه زين العابدين (عليه السلام) فى جميع مواقفه و نشاطاته.

و قد عاصر فيها كلا من معاوية بن أبى سفيان و يزيد بن معاوية و معاوية ابن يزيد و مروان بن الحكم و عبد الله بن الزبير و عبد الملك بن مروان و الشطر الأكبر من حكم الوليد بن عبد الملك.

و أما المرحلة الثانية فتبدأ باستشهاد أبيه (عليه السلام) فى الخامس و العشرين من

ص: ٤٦

محرم الحرام سنة (٩٥ هـ) و هي مرحلة التصدى لمسؤولية القيادة الروحية و الفكرية و السياسية العامة و هي الإمامة الشرعية حسب مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) و هي لا تنحصر فى القيادة الروحية فقط كما لا تقتصر على القيادة السياسية بمعنى مزاوله الحكم و إدارة الدولة الإسلامية.

و استغرقت هذه المرحلة ما يقرب من تسعة عشر عاما، و اصل فيها مسيرة الائمة الهداء من قبله مستلهما - من أجداده الطاهرين و علومهم و العلوم التى حباه الله بها - الاسلوب الصحيح لتحقيق أهداف الرسالة المحمدية.

و استطاع هذا الإمام العظيم خلال تلكم الأعوام أن يقدم للامة معالم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فى جميع مجالات الحياة و يربى عدة أجيال من الفقهاء و الرواة و يبنى القاعدة الصلبة من الجماعة الصالحة التى تتبنى خط أهل البيت (عليهم السلام) الرسالى السليم و تسعى جاهدة لتحقيق أهدافهم المثلى.

و قد عاصر فى هذه المرحلة الأيام الأخيرة من حكم الوليد بن عبد الملك و سليمان بن عبد الملك و عمر بن عبد العزيز و يزيد بن عبد الملك و شطرا من حكم هشام بن عبد الملك و استشهد فى حكم هشام هذا و على يد أحد عمّاله الظالمين.

و أقام الإمام (عليه السلام) طيلة حياته فى المدينة المنورة، فلم يبرحها إلى بلد آخر، و قد كان فيها المعلم الأول، و الرائد الأكبر للحركة العلمية و الثقافية، و قد اتخذ الجامع النبوى مدرسة له فكان يلقى فى رحابه بحوثه على تلاميذه.

و قد تخرجت من مدرسة هذا الإمام العملاق مجموعة من العلماء الكبار الذين جابوا شرق الأرض و غربها ناشرين فيها العلم و المعرفة و طأطأت لشخصياتهم المتفوقة الامة الاسلامية بشتى قطاعاتها.

الفصل الثالث الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في ظلّ جدّه و أبيه (عليهما السلام)

مرّ الإمام الباقر (عليه السلام) بمرحلة رافقت الكثير من الأحداث و الظواهر في ظلّ جدّه و أبيه (عليهما السلام) و يمكن تلخيصها بالشكل التالي:

١- عاش الإمام الباقر (عليه السلام) في ظلّ جدّه الحسين (عليه السلام) منذ ولادته و حتى الرابعة من عمره الشريف و قد مكّنه ذلك من الإطلاع على الأحداث و الوقائع الاجتماعية و السياسية و إدارك طبيعة سيرها و فهم اتجاه حركتها بما أوتى من ذكاء و فهم منذ صباه.

لقد عاش الإمام الباقر (عليه السلام) في مقتبل عمره حادثة مصرع أعمامه و أهل بيته الطاهرين و شاهد بام عينيه ملحمة عاشوراء و مقتل جدّه الحسين (عليه السلام) و اخذ مأسورا الى طواغيت الكوفة و الشام و شارك سبايا أهل البيت (عليهم السلام) فيما جرى عليهم من المحن و المصائب الأليمة التي تنصدّع لها القلوب.

كما استمع إلى أقوال أبيه الساخنة و هو يخاطب الطاغية المتغترس يزيد في الشام و التي كان منها قوله (عليه السلام): يا يزيد! و محمد هذا جدى أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت و كفرت، و إن زعمت أنه جدى فلم قتلت عترته؟!^{٧٤}.

٢- و عاصر الإمام الباقر (عليه السلام) في سنة (٦٣ هـ) واقعة الحرّة التي ثار

(١) الفتوح: ٥ / ١٥٣.

فيها أهل المدينة على حكم يزيد و هو في السادسة من عمره الشريف، حيث شاهد نقض أكابر أهل المدينة و فقهاء لبيعة يزيد الفاجر^{٧٥} و رأى مدينة جدّه عندما أباحها يزيد لجيشه الجاهلي ثلاثة أيام متوا ليات يقتلون أهلها، و ينهبون أموالهم و يهتكون أعراضهم^{٧٦}.

٣- عاصر الإمام الباقر (عليه السلام) في هذه المرحلة من حياته الانحراف الفكرى الذى تسبب الامويون فى إيجادهم مثل بثهم للعقائد الباطلة كالجبر و التفويض و الإرجاء خدمة لسلطانهم؛ لأن هذه المفاهيم تستطيع أن تجعل الامّة مستسلمة للحكام الطغاة ما دامت تبرّر طغيانهم و عصيانهم لأوامر الله و رسوله.

^{٧٤} (١) الفتوح: ٥ / 153.

^{٧٥} (١) تاريخ الخميس: 2 / 300.

^{٧٦} (٢) الكامل في التاريخ: 4 / 113.

٤- و من الظواهر التي عاصرها الإمام محمد الباقر (عليه السلام) و هو في ظل أبيه السجاد (عليه السلام) ظاهرة الانحراف السياسي و تتمثل في تحويل الامويين للخلافة إلى مل ك عضوض يتوارثه الأبناء عن الآباء، و يوزعون فيه المناصب الحكومية على ذويهم و أقاربهم.

لقد عاش (عليه السلام) محنة عدا الامويين للعلويين و الذي تمثل في ظاهرة سبهم لجده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على المنابر طيلة ستة عقود.

٥- و من الأحداث البارزة في حياة الإمام الباقر (عليه السلام) توالى الثورات المسلحة ضد الحكم الاموي بعد واقعة كربلاء الخالدة، ففي سنة (٦٣ هـ) ثار أهل المدينة في سنة (٦٥ هـ) ثار التوابون، و في سنة (٦٦ هـ) ثار المختار بن أبي عبيدة الثقفي و ثار الزبيريون، و في سنة (٧٧ هـ) ثار المطرف بن المغيرة بن شعبة، و في سنة (٨١ هـ) تمرد عبد الرحمن بن

(١) تاريخ الخميس: ٢ / ٣٠٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ٤ / ١١٣.

ص: ٤٩

محمد بن الأشعث على حكومة عبد الملك بن مروان^{٧٧}.

٦- و انتشرت في هذه الفترة ظاهرة وضع الحديث المؤلمة فقد ركز الامويون على هذه الأداة لخدمة سلطانهم، حتى روى ابن طرفة المعروف بنفطويه في تأريخه أن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة كانت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغبون انوف بني هاشم^{٧٨}.

٧- أما الانحراف الأخلاقي و الاجتماعي فقد استشرى في أوساط الامة حيث اشتهر يزيد بن معاوية بفسقه إذ كان يشرب الخمر و يلعب بالكلاب و القروود و يقضى أوقاته بين المغنين و المغنيات و شاع عنه ذلك و عرفه عامة الناس . و كان مروان بن الحكم أيضا فاحشا بذيثا، كما كان أولاده و أحفاده على شاكلته^{٧٩}.

و أشاع الامويون بين المسلمين روح التعصب فقرّبوا العرب و أبعّدوا غير العرب و أثاروا الشيعية فمزّقوا بذلك وحدة الصف الإسلامي و أثاروا الأحقاد و زرعوا بذور الشر في قلوب أبناء المجتمع الاسلامي.

٨- و عاش الإمام الباقر (عليه السلام) في هذه المرحلة من حياته في ظل سيرة أبيه (عليه السلام) بكل وجوده الذي كان يركز نشاطه على إعادة بناء المجتمع الإسلامي و تشييد دعائم العقيدة الاسلامية القويمة، حيث كان يحاول الإمام زين العابدين (عليه السلام) من خلال بث القيم العقائدية و الأخلاقية عبر الأدعية و توجيه رسائل الحقوق و ما شابه ذلك صيغة كيان الجماعة الصالحة التي كان عليها أن تتولى عملية التغيير في المجتمع الذي راح يتردى باستمرار .

^{٧٧} (١) البداية و النهاية: ٩ / ١٣٨.

^{٧٨} (٢) شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٣٨.

^{٧٩} (٣) المصدر السابق: ١١ / ٤٦.

(١) البداية و النهاية: ٩ / ١٣٨.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٩ / ١٣٨.

(٣) المصدر السابق: ١١ / ٤٦.

ص: ٥٠

و كان يشارك أباه السجّاد (عليه السّلام) في أهدافه و خطواته و أساليبه المتعددة في المرحلة التي استغرقت ثلاثة و ثلاثين عاما و التي تمثّلت في الدعاء و الانفاق و العتق و التربية المباشرة للرقيق و الأحرار باعتبارها نشاطا بارزا للإمام زين العابدين (عليه السّلام) خلال هذه المرحلة.

٩- وقف الإمام الباقر (عليه السّلام) مواقف أبيه من الثورات و الحركات المسلحة التي كانت تهدف إلى إسقاط النظام الفاسد إذ كان يرشدها و يقودها بصورة غير مباشرة من دون أن يعطى للحكام أى دليل يدل على التنسيق من الإمام (عليه السّلام) مع الثوّار ضد الحكم الاموى الغاشم.

١٠- و كان للإمام الباقر دور بارز و هو في ظلّ أبيه في حركته لتأسيس صرح العلم و المعرفة الاسلامية حيث كان يحضر المحافل العامة ليحدّث الناس و يرشدهم، كما كان يفسّر القرآن و يعلم الناس الأحاديث النبويّة الشريفة و يتقّفهم بالسيرّة النبويّة المباركة.

١١- ان الترخيص من الإمام السجّاد (عليه السّلام) على إمامة ابنه الباقر يعود تأريخيا الى النصوص التي وردت عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و الأئمة من بعده و نصّت على إمامة اثني عشر إماما بعد رسول الله كلهم من قريش و بنى هاشم، و تداولها الصحابة و التابعون و استند إليها أهل البيت (عليهم السّلام).

و من تلك النصوص التي ورد فيها اسم الإمام الباقر (عليه السّلام) بشكل خاص هو النص الذي رواه جابر بن عبد الله الأنصاري و قد جاء في هذا النص ما يلي:

«... فقال: يا رسول الله و من الأئمة من ولد على بن أبي طالب؟ قال : «الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة، ثم سيد العابدين في زمانه على بن الحسين، ثم الباقر محمد بن على»

ص: ٥١

و ستدرکه يا جابر، فاذا أدركته فاقرأه منّي السلام»^{٨٠}.

و جاء في نص آخر أنّ رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قال لجابر بن عبد الله الأنصاري:

^{٨٠} (1) كفاية الأثر: 144- 145.

«يولد لابني هذا- يعنى الحسين - ابن يقال له: على، و هو سيد العابدين ... و يولد له محمد، اذا رأيته يا جابر فاقرأه (عليه السلام) منى السلام، و اعلم أن المهدي من ولده ...»^{٨١}.

و قد تناقل الائمة من أهل البيت (عليهم السلام) الوصية إماما بعد إمام، فقد أوصى الإمام على (عليه السلام) ولده الإمام الحسن (عليه السلام) قائلا: «يا بني إنه أمرني رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن أوصي اليك، و أدفع اليك كتيبي و سلاحى، كما أوصى الىّ و دفع الىّ كتيبه و سلاحه، و أمرني أن آمرك اذا حضرك الموت أن تدفعها الى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين، فقال: و آمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك هذا، ثم أخذ بيد على بن الحسين و قال : و آمرك رسول الله (صلى الله عليه و اله) أن تدفعها الى ابنك محمد بن على فاقرأه من رسول الله و منى السلام»^{٨٢}.

١٢- و كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يوجّه الانظار الى امامة ابنه الباقر (عليه السلام)، و يستثمر الفرص لإعلانها أمام أبنائه أو بعض أبنائه أو خاصته و ثقاته، يصرّح تارة بها و يلمّح إليها تارة أخرى.

فحينما سأله ابنه عمر عن سرّ اهتمامه بالباقر (عليهما السلام) أجابه: «أن الإمامة فى ولده الى أن يقوم قائمنا (عليه السلام) فيملأها قسطا و عدلا، و انه الإمام أبو الأئمة ...»^{٨٣}.

و عن الحسين ابن الإمام زين العابدين (عليهما السلام) قال: سألت رجلا أبى (عليه السلام) عن الائمة، فقال : «اثنا عشر سبعة من صلب هذا، و وضع يده على كتف أخى محمد»^{٨٤}.

(١) كفاية الأثر: ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق: ٧٨ / ٢٣، تاريخ اليعقوبى: ٣٢٠ / ٢، سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٠٤.

(٣) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٢٠٧.

(٤) كفاية الأثر: ٢٣٧.

(٥) المصدر السابق: ٢٣٩.

ص: ٥٢

و كان يصرّح لابنه الباقر (عليهما السلام) بامامته و يقول له: «يا بني انى جعلتك خليفتى من بعدى»^{٨٥}.

و روى عن أبى خالد أنه قال: قلت لعلى بن الحسين: من الإمام بعدك؟

^{٨١} (٢) مختصر تاريخ دمشق: ٧٨ / ٢٣، تاريخ اليعقوبى: ٣٢٠ / ٢، سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٠٤.

^{٨٢} (٣) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٢٠٧.

^{٨٣} (٤) كفاية الأثر: ٢٣٧.

^{٨٤} (٥) المصدر السابق: ٢٣٩.

^{٨٥} (١) كفاية الأثر: ٢٤١.

قال: «محمد ابني يبقّر العلم بقرا»^{٨٦}.

و في مرضه الذي توفي فيه سأله الزهري قائلا: فإلى من نختلف بعدك؟

فأجاب (عليه السلام): «يا أبا عبد الله الى ابني هذا - وأشار الى محمد ابنه - انه وصيّي و وارثي و عيبة علمي و معدن العلم و باقر العلم»، فقال له الزهري: يا ابن رسول الله هلّا أوصيت إلى أكبر اولادك؟ فقال (عليه السلام): «يا أبا عبد الله ليست الامامة بالصغر و الكبر، هكذا عهد الينا رسول الله (صلى الله عليه و اله) و هكذا وجدنا مكتوبا في اللوح و الصحيفة»^{٨٧}.

و في أيامه الأخيرة جمع الإمام زين العابدين (عليه السلام) أولاده: محمد و الحسن و عبد الله و عمر و زيد و الحسين، و أوصى الى ابنه محمد ... و جعل أمرهم اليه^{٨٨}.

و في الساعات الأخيرة من حياته التفت (عليه السلام) الى ولده و هم مجتمعون عنده، ثم التفت الى ابنه الباقر (عليه السلام) فقال: «يا محمد هذا الصندوق اذهب به الى بيتك». اما أنه لم يكن فيه دينار و لا درهم، و لكن كان مملوءا علما^{٨٩}.

(١) كفاية الأثر: ٢٤١.

(٢) بحار الانوار: ٣٢٠ / ٤٦.

(٣) كفاية الاثر: ٢٤٣.

(٤) كفاية الأثر: ٢٣٩.

(٥) الكافي: ١ / ٣٠٥.

ص: ٥٣

الباب الثالث فيه فصول:

الفصل الأول:

جهاد أهل البيت (عليهم السلام) و دور الإمام الباقر (عليه السلام) الفصل الثاني:

وقائع و أحداث هامة في عصر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الفصل الثالث:

^{٨٦} (٢) بحار الانوار: 320 / 46.

^{٨٧} (٣) كفاية الاثر: 243.

^{٨٨} (٤) كفاية الأثر: 239.

^{٨٩} (٥) الكافي: 305 / 1.

الفصل الأول جهاد أهل البيت (عليهم السلام) و دور الإمام الباقر (عليه السلام)

ترتكز العملية التربوية على ثلاثة عناصر أساسية هي : المربي و النظام التربوي و المتربى . و حينها تفتقد العملية التربوية المربي الكفوء أو النظام التربوي الصالح فإنها سوف تنحرف و لا تؤتي ثمارها الصالحة.

و قد جاء الإسلام ليربّي المجتمع البشرى بقيادة الرسول الخاتم المصطفى محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و اله) و خطى النبي (صلى الله عليه و اله) في طريق التربية الشاق خطوات كبيرة، و استطاع في ظلّ الشريعة الاسلامية و نظام الإسلام التربوي أن يربّي من تلك الجماعات الجاهلية أمة صالحة و رشيدة.

و لكن فقدت الامّة الاسلامية المربي الكفوء حين غادرها الرسول (صلى الله عليه و اله) الى ربّه، و بهذا انهدم العنصر الأول من عناصر التربية الثلاثة.

و كان انهدام هذا العنصر كفيلا بهدم العنصرين الآخرين إذ لم يكن من تزعم قيادة التجربة بعد النبي (صلى الله عليه و اله) كفوءا لها ككفاءة النبي نفسه، علما و عصمة و نزاهة و قدرة و شجاعة و كمالا.

أجل؛ لقد تزعم التجربة من لم يكن معصوما و لا منصهرا في مفاهيم الرسالة و لا قادرا على حفظ الامّة من الانحراف عن الخط الذي رسمه الرسول (صلى الله عليه و اله) و سلم لها، ذلك الانحراف الذي لم يعرف المسلمون مدى عمقه

و مدى تأثيره السلبي على الدولة و الامّة و الشريعة على طول الخط و لعلهم اعتبروه تغييرا في شخص القائد لا تغييرا في خط القيادة.

و قد قام الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بدور جبّار لصيانة الإسلام و الحفاظ على التجربة الاسلامية و على دولة الرسول و حاولوا جهد إمكانهم حفظ الامّة المسلمة من التمداد في الانحراف و الانهيار، و عملوا بشكل عام على خطّين رئيسيين للوقوف بوجه هذا الانحراف الكبير الذي لم يدرك إلّا الرسول (صلى الله عليه و اله) و أهل بيته الأطهار مدى عمقه و خطورته على الشريعة و الدولة و الامّة جميعا.

و الخطّان الرئيسان اللذان عمل الأئمة (عليهم السلام) عليهما و كلن عليهما أن يوظّفوا لذلك نشاطهم يتمثّلان في :

- ١- خط تحصين الامّة ضد الانهيار بعد وقوع التجربة، بأيدي اناس غير مؤهلين لقيادتها، و اعطائها القدر الكافي من المقومات لكي تواصل مسيرتها في الاتجاه الصحيح، و يقدم راسخة.

٢- خط محاولة تسلّم زمام التجربة و زمام الدولة و محو آثار الانحراف و إرجاع القيادة الكفوءة إلى موضعها الطبيعي لتكتمل عناصر التربية و لتتلاحم الأمة و المجتمع مع الدولة و القيادة الرشيدة^{٩٠}.

اما الخط الثاني فكان على الأئمة الراشدين أن يقوموا له بإعداد طويل المدى، من أجل تهيئة الظروف الموضوعية اللازمة التي تتناسب مع مجموعة القيم و الأهداف و الأحكام الأساسية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية و أريد تحقيقها من خلال الحكم و ممارسة الزعامة باسم الإسلام القيم و باسم الله المشرع للانسان تشريعا يوصله إلى كماله اللائق به.

(١) أهل البيت، تنوع أدوار و وحدة هدف: ٥٩.

ص: ٥٧

و من هنا كان رأى الأئمة الأطهار فى استلام زمام الحكم هو : أن الانتصار المسلح الآنى غير كاف لإقامة دعائم الحكم الإسلامى المستقر، بل يتوقف ذلك على إعداد جيش عقائدى يؤمن بالامام و بعصمته إيمانا مطلقا و يعيش جميع أهدافه الكبيرة، و يدعم تخطيطه فى مجال الحكم، و يحرس ما يحققه للأمة من مصالح أرادها الله لها فى هذه الحياة.

و أما الخط الأول فهو الخط الذى لا يتنافى مع كل الظروف القاهرة و المؤاتية، و كان يمارسه الأئمة (عليهم السلام) حتى فى حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التى تسمح للإمام بخوض معركة يتسلّم من خلالها زمام الحكم من جديد.

ان هذا الخط يتمثل فى تعميق الرسالة فكريا و روحيا و سياسيا فى الأمة نفسها؛ بغية إيجاد تحصين كاف فى صفوفها ضدّ الانهيار، بعد تردى التجربة و سقوطها، و ذلك بإيجاد قواعد واعية فى الأمة و إيجاد روح رسالية فيها و إيجاد عواطف صادقة تجاه هذه الرسالة فى الأمة^{٩١}.

و استلزم عمل الأئمة الأطهار (عليهم السلام) فى هذين الخطين قيامهم بدور رسالى إيجابى و فعال على طول الخط لحفظ الرسالة و الأمة و الدولة و حمايتها جميعا باستمرار.

و كلما كان الانحراف يشتدّ كان الأئمة الأطهار يتخذون التدابير اللازمة ضد ذلك . و كلما وقعت محنة للعقيدة أو التجربة الإسلامية و عجزت الزعامات المنحرفة من علاجها - بحكم عدم كفاءتها - بادر الأئمة (عليهم السلام) إلى تقديم الحل و وقاية الأمة من الأخطار التى كانت تهددها.

(١) أهل البيت، تنوع أدوار و وحدة هدف: ١٣١-١٣٢ و ١٤٧-١٤٨.

ص: ٥٨

^{٩٠} (١) أهل البيت، تنوع أدوار و وحدة هدف: ٥٩.

^{٩١} (١) أهل البيت، تنوع أدوار و وحدة هدف: ١٣١-١٣٢ و ١٤٧-١٤٨.

فالأئمة المعصومون (عليهم السّلام) كانوا يحافظون على المقياس العقائدى فى المجتمع الاسلامى إلى درجة لا تنتهى بالامة إلى الخطر الماحق لها^{٩٢}.

و من هنا تنوّع عمل الأئمة (عليهم السّلام) فى مجالات شتى باعتبار تعدّد العلاقات و تعدّد الجوانب و المهامّ التى تهمّهم باعتبارهم القيادة الواعية الرشيدة التى تريد تطبيق الإسلام و حفظه للانسانية جمعاء.

فالأئمة الأطهار (عليهم السّلام) مسؤولون عن صيانة تراث الرسول الاعظم (صلّى الله عليه و اله) و ثمار جهوده الكريمة المتمثلة فى النقاط الأربع التالية:

١- الشريعة و الرسالة التى جاء بها الرسول الأعظم من عند الله تعالى و المتمثلة فى الكتاب الكريم و السنة الشريفة.

٢- الامة التى كوّنّها و ربّاه الرسول الكريم بيديه الكريمتين.

٣- الكيان السياسى الاسلامى الذى أوجده النبى (صلّى الله عليه و اله) و الدولة التى أسسها و شيّد أركانها.

٤- القيادة النموذجية التى حققها بنفسه و ربّى من يكون كفوء لتجسيدها من أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

لكنّ عدم امكان الحفاظ على هذا المركز القيادى و تفويت الفرصة على القيادة التى عيّنها الرسول (صلّى الله عليه و اله) بأمر من الله تعالى لا يمنع من ممارسة مسؤولية الحفاظ على المجتمع الاسلامى السياسى و صيانة الدولة الاسلامية من الانهيار بالقدر الممكن الذى يتسنى للقيادة الشرعية بالفعل و بمقدار ما تسمح به الظروف الواهنة.

كما ان سقوط الدولة الاسلامية لا يحول دون الاهتمام بالامة المسلمة

(١) أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف: ١٤٤.

ص: ٥٩

و دون الاهتمام بالرسالة و الشريعة الإسلامية و صيانتها من الانهيار و الاضمحلال التام.

و على هذا الاساس تنوّعت مجالات عمل الائمة الطاهرين (عليهم السّلام) بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم، و من حيث درجة ثقافة الأمة و مدى وعيها، و مدى إيمانها و معرفتها بالأئمة (عليهم السّلام)، و مدى انقيادها للحكام المنحرفين، و من حيث نوع الظروف المحيطة بالكيان الاسلامى و الدولة الاسلامية، و من حيث درجة التزام الحكّام بالاسلام، و من حيث نوع الأدوات التى كانوا يستخدمونها لدعم حكمهم و إحكام سيطرتهم على رقاب الامة.

^{٩٢} (1) أهل البيت تنوع أدوار و وحدة هدف: 144.

فقد كان لائمة أهل البيت (عليهم السّلام) نشاط مستمر تجاه الحكم القائم و الزعامات المنحرفة، و قد تمثّل في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامي، أو بالثورة المسلحة ضد الحاكم حينما كان يشكّل انحرافه، خطراً ما حقاً، كثورة الإمام الحسين (عليه السّلام) ضد يزيد بن معاوية و ان كلّفهم ذلك حياتهم، أو عن طريق إيجاد المعارضة المستمرة و دعمها بشكل و آخر من أجل زعزعة القيادة المنحرفة بالرغم من دعمهم للدولة الإسلامية بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطراً ما حقاً أمام الكيانات الكافرة.

و كان لهم (عليهم السّلام) نشاط مستمر كذلك في مجال تربية الأمة عقائدياً و أخلاقياً و سياسياً و ذلك من خلال تربية الأصحاب العلماء و بناء الكوادر العلمية و الشخصيات النموذجية التي تقوم بمهمة نشر الوعي و الفكر الإسلامي و تصحيح الأخطاء الحاصلة في فهم الرسالة و الشريعة، و مواجهة التيارات الفكرية الوافدة أو التيارات السياسية المنحرفة أو الشخصيات العلمية المنحرفة التي كان الحكام الجائرون يستخدمونهم لدعم حكوماتهم. و كانت

ص: ٦٠

من جملة مهامهم دعوة الناس الى السير وراء القيادة الإلهية بعد الرسول (عليهم السّلام) و المتمثلة في إمامة أهل البيت الأطهار، و تصعيد درجة معرفة الأمة و الايمان بهم و الوعي اللازم تجاه امامتهم و زعامتهم.

هذا بالإضافة الى نزول الأئمة (عليهم السّلام) إلى ساحة الحياة العامة و الارتباط بالأمة بشكل مباشر و التعاطف مع قطاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان يتمتع بها أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) على مدى قرون لم يحصلوا عليها صدفة، أو لمجرد الانتماء الى رسول الله (صلى الله عليه و اله)؛ و ذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لم يكن يحظى بهذه المكانة عند الناس؛ لأن الأمة لا تمنح ولاءها لأحد مجاناً، و لا يملك أحد قيادتها و ميل قلوبها من دون عطاء سخى منه في مختلف مجالات الحياة، و خاصة عند الأزمات، و المشاكل.

و هكذا خرج الإسلام على مستوى النظرية سليماً من الانحراف و ان تشوّهت معالم التطبيق، كما أن بفضل قيادة أهل البيت الفكرية و المعنوية تحوّلت الأمة إلى أمة عقائدية تقف بوجه الغز و الفكرى و السياسى الكاف و استطاعت أن تسترجع قدرتها و تماسكها على المدى البعيد كما لاحظناه في القرن المعاصر بعد عصور الانهيار و التردى.

و قد حقق الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) كل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البالغ بتربية الكتلة الصالحة التي آمنت بهم و بإمامتهم و بفضل إشرافهم على تنمية و عى هذه الكتلة و ايمانها من خلال التخطيط لسلوكها و حمايتها باستمرار و اسعافها بكل الأساليب التي كانت تساعد على صمودها في خضمّ المحن و ارتفاعها إلى مستوى جيش عقائدى رسالىّ يعيش هموم الرسالة و يعمل على صيانتها و نشرها و تطبيقها ليل نهار.

ص: ٦١

مراحل حركة الأئمة من أهل البيت (عليهم السّلام):

و إذا رجعنا إلى تاريخ أهل البيت (عليهم السّلام) و الظروف المحيطة بهم و لاحظنا سلوكهم و مواقفهم العامة و الخاصة استطعنا أن نصنّف ظروفهم و مواقفهم إلى مراحل و عصور ثلاثة يتميز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراكهم في كثير من الظروف و المواقف و لكن الأدوار تتنوع باعتبار مجموعة الظواهر العامة التي تشكل خطأ فاصلا و مميّزا لكل عصر.

فالمرحلة الاولى من حياة الأئمة (عليهم السّلام) و هي (مرحلة تفادى صدمة الانحراف) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه و اله و سلم) تجسّدت في سلوك و مواقف الأئمة الأربعة : علي و الحسن و الحسين و علي بن الحسين (عليهم السّلام) إذ قاموا بالتحصينات اللازمة لصيانة العناصر الاساسية للرسالة و ان لم يستطيعوا القضاء على القيادة المنحرفة . لكنهم استطاعوا كشف زيفها و المحافظة على الرسالة الاسلامية نفسها. و بالطبع انهم لم يهملوا أمر الامة أو الدولة الاسلامية بشكل عام و لم يحرموها من رعايتهم و اهتمامهم إذا ارتبط الأمر بالكيان الاسلامي و الامة المسلمة، هذا فضلا عن سعيهم البليغ في بناء و تكوين الكتلة الصالحة المؤمنة بقيادتهم.

و تبدأ المرحلة الثانية بالشرط الثانى من حياة الإمام السجاد السياسية حتى الإمام الكاظم (عليهما السّلام) و تتميز بأمرين اساسيين:

١- فيما يرتبط بالخلافة المزيّفة فقد تصدى هؤلاء الأئمة لتعريبها عمّا بدأ الخلفاء يحصّنون به أنفسهم و يبرّرون أفعالهم، من خلال دعم طبقة من المحدثين و العلماء (من وعظ السلاطين) لهم و تقديم التأييد و الولاء لهم من أجل اسباغ الصبغة الشرعية على زعامتهم بعد أن استطاع الأئمة في المرحلة

ص:٦٢

الاولى أن يكشفوا زيف خط الخلافة و أن يحسّسوا الامة بمضاعفات الانحراف الذى حصل في مركز القيادة بعد الرسول الاعظم (صلى الله عليه و اله و سلم).

٢- فيما يرتبط ببناء الجماعة الصالحة الذى ارسيت دعائمه في المرحلة الاولى فقد تصدى الأئمة المعصومون في هذه المرحلة إلى تحديد الاطار التفصيلي و ايضاح معالم الخط الرسالي الذى اوّتمن الأئمة الأطهار (عليهم السّلام) عليه و الذى تمثّل في تبين و نشر معالم النظرية الاسلامية الامامية و تربية عدّة أجيال من العلماء على أساس هذه النظرية في قبال خط علماء البلاط و الذين عرفوا بوعاظ السلاطين.

هذا فضلا عن تصديهم لدفع الشبهات و كشف زيف الفرق المذهبية التي استحدثت من قبل خط الخلافة أو غيره.

و الأئمة في هذه المرحلة لم يتوانوا في زعزعة قواعد الزعامات و القيادات المنحرفة من خلال دعم بعض الخطوط المعارضة للسلطة و لا سيما الثورية منها التي كانت تتصدى لمواجهة من تربّع على كرسى خلافة الرسول (صلى الله عليه و اله و سلم) بعد ثورة الإمام الحسين (عليه السّلام).

و المرحلة الثالثة من حياة الأئمة من أهل البيت (عليهم السّلام) تبدأ بشرط من حياة الإمام الكاظم (عليه السّلام) و تنتهى بالإمام المهدي (عليه السّلام)؛ فانهم بعد وضع التحصينات اللازمة للكتلة الصالحة و رسم المعالم و الخطوط التفصيلية لها - عقائديا و اخلاقيا و سياسيا في المرحلة الثانية- قد بدا للخلفاء أن قيادة أهل البيت (عليهم السّلام) أصبحت بمستوى تسلّم

زمام الحكم و العودة بالمجتمع الاسلامى إلى حظيرة الإسلام الحقيقى، و هو أمر استتبع ردود فعل من جانب الخلفاء تجاه الأئمة (عليهم السلام)، و كانت مواقف الأئمة تجاه الخلفاء تابعة و مناسبة لنوع موقف الخليفة تجاههم و تجاه قضيتهم.

ص: ٦٣

و أمّا فيما يرتبط بالكتلة الصالحة التى أوضحوا لها معالم منهجها فقد عمل الأئمة (عليهم السلام) على دفعها نحو الثبات و الاستقرار و الانتشار من أجل تحصينها من الانهيار و إعطائها درجة من الاكتفاء الذاتى، و كان فى تقدير الأئمة انهم بعد المواجهة المستمرة للخلفاء سوف لا يسمح لهم بالمكث بين ظهرائهم و سوف لن يتركهم الخلفاء أحراراً بعد أن تبين للأئمة عدم شرعيتهم و اتضحت لهم المكانة الشعبية للأئمة (عليهم السلام) الذين كانوا يمثلون الزعامة الشرعية و الاهتمام الحقيقى بشؤون الأمة الاسلامية.

و من هنا تجلّت حكمة تربية الفقهاء على نطاق واسع ثم إرجاع الناس إليهم و تدريبهم على مراجعتهم فى قضاياهم و شؤونهم العامة تمهيداً للغيبة التى لا يعلم مداها إلّا الله سبحانه و التى اخبر الرسول (صلى الله عليه و اله و س لم) عن تحققها و فرضت الظروف على الأئمة و أتباعهم الانصياع لها.

و بهذا استطاع الأئمة (عليهم السلام) و ضمن تخطيط بعيد المدى أن يقفوا فى وجه المسلسل الطبيعى للمضاعفات الناشئة عن الانحراف فى القيادة و التى كانت تنتهى بتنازل الامّة عن الإسلام الصحيح، و بالتالى ضُمور الشريعة و انهيار الرسالة الإلهية بشكل كامل.

فالذى جعل الامّة لا تتنازل عن الإسلام هو تقديم مثل آخر للإسلام واضح المعالم، أصيل المثل و القيم، أصيل الأهداف و الغايات، و قد قدّمت هذه الاطروحة للأئمة من قبل الواعين من المسلمين بزعامة الأئمة من أهل البيت ال معصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً.

إنّ هذه الاطروحة التى قدّمها الأئمة (عليهم السلام) للإسلام المحمّدى لم تكن لتتفاعل مع الشيعة المؤمنين بإمامة أهل البيت (عليهم السلام) فقط، بل كان لها صدى كبير فى كل العالم الاسلامى، فالأئمة الأطهار كارت لهم اطروحة للإسلام

ص: ٦٤

و كانت لهم دعوى لإمامتهم و هذه الدعوى و ان لم يطلبوا لها إلّا عدداً ضئيلاً من مجموع الامّة الاسلامية و لكن الامّة بمجموعها تفاعلت مع هذه الاطروحة التى تمثّل النموذج الواضح و المخطّط الصحيح للصريح للإسلام فى كل المجالات العامة و الخاصة، ثقافياً و اجتماعياً و سياسياً و اقتصادياً و خلقياً، مما جعل المسلمين على مرّ الزمن يسهرون على الإسلام و يقيمونه و ينظرون اليه بمنظار آخر غير منظار الواقع الذى كانوا يعيشونه من خلال الحكم القائم الذى تلاعب بالإسلام و غير معالمه^{٩٣}.

هذا و ستكون لنا وقفة تفصيلية مع الاطروحة الكاملة التى طبّقها و المنهج الذى انتهجه الإمام (عليه السلام) لبناء الجماعة الصالحة فى الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

^{٩٣} (1) أهل البيت، تنوع ادوار و وحدة هدف: 79- 80 مع بعض التصرف.

(١) أهل البيت، تنوع ادوار و وحدة هدف: ٧٩- ٨٠ مع بعض التصرف.

ص: ٦٥

الفصل الثاني وقائع و أحداث هامة في عصر الإمام الباقر (عليه السلام)

إذا اردنا أن نقف على ملامح المرحلة التي مارس فيها الإمام الباقر (عليه السلام) قيادته للامة الاسلامية بعد والده الإمام زين العابدين (عليهما السلام) وجب أن نقف على أهم الأحداث التي مهّدت لتلك المرحلة و نلاحظ مدى علاقتها بالإمام الباقر (عليه السلام) كمرشح للقيادة في حياة والده و ممارس لها بعد ذلك.

لقد شيدت اسس الحكم الاموي المرواني أيام عبد الملك بن مروان باعتباره أول حاكم مقتدر للحكم المرواني . و قد رسمت إجراءاته السياسية ملامح المرحلة التي نريد دراستها.

قال بعض المؤرخين: إن عبد الملك بن مروان قبل أن يتقلد الخلافة كان يظهر النسك و العبادة، فلما بشر بالملك كان بيده المصحف الكريم فأطبقه و قال: هذا آخر العهد بك، أو قال: هذا فراق بيني و بينك^{٩٤}.

و لقد اتصف عبد الملك بأخس الصفات و أحطها و التي كان من بينها:

١- الطغيان و الجبروت: قال المنصور: كان عبد الملك جبارا لا يبالي ما صنع^{٩٥} و كان فاتكا لا يعرف الرحمة و العدل، و قد قال: في خطبته بعد قتله

(١) تاريخ ابن كثير: ٢٦٠ / ٨.

(٢) النزاع و التخاصم للمقرئ: ٨.

ص: ٦٦

لأن الزبير: لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه^{٩٦}، و هو أول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء^{٩٧}.

٢- الغدر و نكث العهد: فقد أعطى الأمان لعمر بن سعيد الأشدق على أن تكون الخلافة له من بعده إلا أنه غدر به، و قتله و رمى برأسه الى أصحابه^{٩٨} و لم يرع و شيجة النسب التي كانت تربطه بعمر.

^{٩٤} (١) تاريخ ابن كثير: 260 / 8.

^{٩٥} (٢) النزاع و التخاصم للمقرئ: 8.

^{٩٦} (١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: 219.

^{٩٧} (٢) المصدر السابق: 218.

^{٩٨} (٣) تاريخ اليعقوبي: 2 / 190، ط 1، الأعلمي بيروت، 1413 هـ.

لقد خاف عبد الملك من الأشدق، إذ لو كان حيا لاتّخذ التدابير للقضاء على حكم بنى مروان و لكن عبد الملك تغدّى به قبل أن يتعشى به عمر، و قد انتقم الله منه؛ لأنه كان جبارا مسرفا فى إراقة دماء المسلمين و إشاعة الخوف و الرعب فيهم.

٣- القسوة و الجفاء : حيث انعدمت من نفسه الرحمة و الرأفة، حتى أنّه بالغ فى إراقة الدماء و سفكها بغير حق، و قد اعترف بذلك هو حين قالت له أم الدرداء : بلغنى أنك شربت الطلى - يعنى الخمر - بعد العبادة و النسك، فقال لها غير متأثم: «أى و الله و الدماء شربتها»^{٩٩}.

و قد نشر الثكل و الحزن و الحداد فى بيوت المسلمين أيام حكمه الرهيب حتى أنّه خطب فى يثرب بعد قتله لابن الزبير خطابا قاسيا أعرب فيه عما كان يحمله فى قرارة نفسه من القسوة و السوء قائلا: «إنى لا اداوى أدواء هذه الامة إلّا بالسيف حتى تستقيم لى قناتكم...»^{١٠٠}.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢١٩.

(٢) المصدر السابق: ٢١٨.

(٣) تاريخ اليعقوبى: ٢ / ١٩٠، ط ١، الأعلمى بيروت، ١٤١٣ هـ.

(٤) مختصر تاريخ دمشق: ١٥ / ٢١٩، ترجمة عبد الملك بن مروان رقم ٢١٠.

(٥) تاريخ ابن كثير: ٩ / ٦٤.

ص: ٦٧

٤- البخل: فكان يسمى (رشح الحجارة) لشدة شحه و بخله^{١٠١} و قد عانت الامة فى أيام حكمه الجوع و الفقر و الحرمان.

من بدع عبد الملك : خاف عبد الملك أن يتصل ابن الزبير بأهل الشام فيفسدهم عليه فمنعهم من الحج، فقالوا له : أئمننا من الحج و هو فريضة فرضها الله، فقال : قال ابن شهاب الزهري أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قال: لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و مسجدى، و مسجد بيت المقدس.

و صرفهم بذلك عن الحج الى بيت الله الحرام، و صيره الى بيت المقدس و قد استغل الصخرة التى فيه، و روى فيها أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قد وضع قدمه عليها حين صعوده الى السماء فأقامها لهم مقام الكعبة فبنى عليها قبة و على فوقها ستور الديباج، و أقام لها سدة، و أمر الناس أن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة^{١٠٢}.

^{٩٩} (4) مختصر تاريخ دمشق: 15 / 219، ترجمة عبد الملك بن مروان رقم 210.

^{١٠٠} (5) تاريخ ابن كثير: 9 / 64.

^{١٠١} (1) تاريخ القضاء: 72.

^{١٠٢} (2) اليعقوبى: 2 / 311.

و انتقص عبد الملك سلفه من حكام بنى امية، و قد أدلى بذلك فى خطابه الذى ألقاه فى يثرب، إذ جاء فيه: «إنى و الله ما أنا بالخليفة، المستضعف - يعنى عثمان - و لا بالخليفة المداهن - يعنى معاوية - و لا بالخليفة المأفون^{١٠٣} - يعنى يزيد».

و علق ابن أبى الحديد على هذه الكلمات بقوله: «و هؤلاء سلفه و أئمته، و بشفعتهم قام ذلك المقام، و بتقدمهم و تأسيسهم نال تلك الرياسة، و لو لا العادة المتقدمة، و الأجناد المجندة و الصنائع القائمة، لكان أبعد خلق الله من ذلك

(١) تاريخ القضاى: ٧٢.

(٢) اليعقوبى: ٣١١ / ٢.

(٣) المأفون: الضعيف الراى.

ص: ٦٨

المقام، و أقربهم الى المهلكة إن رام ذلك الشرف ...»^{١٠٤}.

من جرائم عبد الملك: و أخطر عمل قام به عبد الملك توليته للسفك المعروف الحجاج بن يوسف الثقفى، فقد عهد بامور المسلمين إلى هذا الانسان الممسوخ الذى اشتهر بقساوته و شهوته فى إراقة الدماء.

لقد منحه عبد الملك صلاحيات واسعة النطاق، فجعله يتصرف فى امور الدولة حسب رغباته التى لم تكن تخضع إلّا لمنطق البطش و الاستبداد، و قد أمعن هذا الأتيم فى النكاية بالناس، و قهرهم و إذلالهم، و قد خلق فى البلاد الخاضعة لنفوذه جوا من الأزمات السياسية التى لا عهد للناس بمثلها.

و نغم علماء المسلمين و خيارهم على الحجاج، و كان عمر بن عبد العزيز من الناقمين على الحجاج، و الساخطين عليه، حتى قال فيه: «لو جاءت كل امه بخبيثتها، و جئنا بالحجاج لغلبناهم»^{١٠٥}.

و قال عاصم: «ما بقيت لله عزّ و جل حرمه إلّا و قد ارتكبها الحجاج»^{١٠٦}.

و قال طاووس: «عجبت لمن يسمى الحجاج مؤمنا»^{١٠٧}.

و قال ابن عماد الحنبلى عنه: «سنة خمس و تسعين فيها أراح الله العباد و البلاد بموت الحجاج بن يوسف الثقفى فى ليلة مباركة على الامه ... كان لا يصبر عن سفك الدماء و انه اكبر لذاته و له مقححات عظام»^{١٠٨}.

^{١٠٣} (٣) المأفون: الضعيف الراى

^{١٠٤} (١) شرح ابن أبى الحديد: 257 / 15.

^{١٠٥} (٢) نهاية الإرب: 334 / 21.

^{١٠٦} (٣) تاريخ ابن كثير: 132 / 9.

^{١٠٧} (٤) تهذيب التهذيب: 311 / 2.

^{١٠٨} (٥) شذرات الذهب: 107 - 106 / 1.

و لما أراد الحج ولّى على العراق شخصا اسمه محمد، و قد خطب بين الناس فقال لهم : إني قد استعملت عليكم محمدا، و قد أوصيته فيكم خلاف

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٢٥٧ / ١٥.

(٢) نهاية الإرب: ٣٣٤ / ٢١.

(٣) تاريخ ابن كثير: ١٣٢ / ٩.

(٤) تهذيب التهذيب: ٣١١ / ٢.

(٥) شذرات الذهب: ١٠٦ - ١٠٧.

ص: ٦٩

وصية رسول الله (صلى الله عليه و اله) بالأنصار فانه قد أوصى أن يقبل من محسنهم، و يتجاوز عن مسيئهم، و قد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم، و لا يتجاوز عن مسيئكم...»^{١٠٩}.

و قال الدميري: «كان الحجاج لا يصبر عن سفك الدماء، و كان يخبر عن نفسه أن اكبر لذاته إراقتة للدماء، و ارتكاب امور لا يقدر عليها غيره»^{١١٠}.

و قد بالغ في قتل الناس بغير حق، فقد كان عدد من قتلهم صبورا - سوى من قتل في حروبه - مائة و عشرين ألفا^{١١١} و قيل مائة و ثلاثين ألفا^{١١٢}.

و قد اعترف رسميا بسفكه للدماء بغير حق فقد قال : «و الله ما أعلم اليوم رجلا على ظهر الأرض هو أجراً على دم مني»^{١١٣}.

و انكر عليه عبد الملك إسرافه في ذلك إلا أنه لم يعن به^{١١٤}.

و قد وضع سيفه في رقاب القراء و العباد لأنهم أيدوا ثورة ابن الأشعث، و كان من جملة من قتلهم صبورا سعيد بن جبير أحد أبرز علماء الكوفة و زهادها، و لما بلغ الحسن البصري نبأ قتله قال : و الله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات و أهل الأرض من مشرقها الى مغربها محتاجون لعلمه^{١١٥}.

^{١٠٩} (١) مروج الذهب: 86 / 3.

^{١١٠} (٢) حياة الحيوان للدميري: 167 / 1.

^{١١١} (٣) تهذيب التهذيب: 211 / 2، تفسير الوصول: 31 / 4، التنبيه و الاشراف: 318، معجم البلدان: 349 / 5.

^{١١٢} (٤) حياة الحيوان: 170 / 1، تاريخ الطبري.

^{١١٣} (٥) طبقات ابن سعد: 66 / 6.

^{١١٤} (٦) مروج الذهب: 74 / 3.

^{١١٥} (٧) حياة الحيوان: 171 / 1.

و حكم جماعة من أعلام المسلمين بكفره و إلحاده، منهم سعيد بن جبير النخعي، و مجاهد، و عاصم بن أبي النجود، و الشعبي و غيرهم^{١١٦}.

(١) مروج الذهب: ٨٦ / ٣.

(٢) حياة الحيوان للدميري: ١٦٧ / ١.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢ / ٢١١، تيسير الوصول: ٤ / ٣١، التنبيه و الاشراف: ٣١٨، معجم البلدان: ٥ / ٣٤٩.

(٤) حياة الحيوان: ١ / ١٧٠، تاريخ الطبري.

(٥) طبقات ابن سعد: ٦ / ٦٦.

(٦) مروج الذهب: ٣ / ٧٤.

(٧) حياة الحيوان: ١ / ١٧١.

(٨) تهذيب التهذيب: ٢ / ٢١١.

ص: ٧٠

و ذلك لأنّ الحجاج قد استهان بالنبي العظيم (صلى الله عليه و اله) حتى فضل عبد الملك ابن مروان عليه و ذلك حين خاطب الله تعالى أمام الناس قائلا: «أرسولك أفضل - يعنى النبي - أم خليفتك - يعنى عبد الملك؟»^{١١٧}.

و كان ينقم و يسخر من الذين يزورون قبر النبي (صلى الله عليه و اله) و يقول: «تبّا لهم إنما يطوفون بأعواد و رمّة بالية، هذا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله؟!»^{١١٨}.

و حفل حكم هذا الخبيث بالجرائم و الموبقات فقد نكّل بشيعة آل البيت (عليهم السلام) و أذاع فيهم القتل، و أشاع في بيوتهم الثكل و الحزن و الحداد، فى الوقت الذى كان عبد الملك قد كتب اليه : «جنبنى دماء بنى عبد المطلب فليس فيها شفاء من الحرب، و إني رأيت آل بنى حرب قد سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن على»^{١١٩}.

^{١١٦} (8) تهذيب التهذيب: 2 / 211.

^{١١٧} (1) النزاع و التخاصم للمقرئ 27، رسائل الجاحظ: 297.

^{١١٨} گروه مؤلفان، أعلام الهداية - قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.

^{١١٩} (2) شرح النهج: 15 / 242.

^{١٢٠} (3) العقد الفريد: 3 / 149.

و لكن الحجاج قد تعرض للعلويين و شيعتهم فانطلقت يده فى الفتك بهم و سفك دمائهم حتى أن الرجل كان أحب اليه أن يقال له زنديق من أن يقال له من شيعة على^{١٢١}. و قال المؤرخون: إن خير وسيلة للتقرب الى الحجاج كانت انتقاص الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عنده فقد أقبل إليه بعض المرتزقة من أوغاد الناس و أجلافهم و هو رافع عقيرته قائلاً:

«أيها الأمير، إن أهلى عقونى فسمونى عليا، و إنى فقير بئس، و أنا الى صلة الأمير محتاج...». فسرّ الحجاج بذلك و قال: «للطف ما توسلت به، فقد

(١) النزاع و التخاصم للمقريزى: ٢٧، رسائل الجاحظ: ٢٩٧.

(٢) شرح النهج: ١٥ / ٢٤٢.

(٣) العقد الفريد: ٣ / ١٤٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١ / ٤٣ - ٤٤، تاريخ الشيعة: ٤٠.

ص: ٧١

و ليتك موضع كذا»^{١٢٢}.

و على أى حال فقد أصبح أتباع أهل البيت (عليهم السلام) فى عهد هذا الجلّاد طعمة للسيوف و الرماح، إذ نكل بهم و قتلهم و لا حقهم تحت كل حجر و مدر و أودع الكثيرين منهم السجون، و أثار جواً من الارهاب، لم نشهد له مثيلاً حتى فى أيام الطاغية زياد بن أبيه و ابنه عبيد الله.

و امتحنت الكوفة فى أيام هذا الجبار كأشد ما تكون المحنة، فقد أخذ يقتل على الظنة و التهمة، و خطب فى الكوفة خطاباً قاسياً، لم يحمد الله فيه، و لم يشن عليه، و لم يصل على النبى (صلّى الله عليه و اله) و كان من جملة ما قال فيه:

«يا أهل العراق، يا أهل الشقاق، و النفاق، و المراق، و مساوىء الاخلاق ان امير المؤمنين - يعنى عبد الملك - قتل كنانته فعجمها عودا عودا، فوجدنى من أمرها عودا، و أصعبها كسرا، فرماكم بى، و انه قلدى عليكم سوطا و سيفاً، فسقط السوط وبقى السيف^{١٢٣}. ثم قال: إنى و الله لأرى أبصاراً طامحة، و أعناقاً متطاولة، و رؤوساً قد أينعت، و حان قطافها، و إنى أنا صاحبها كأنى أنظر الى الدماء تفرق بين العمائم و اللحى^{١٢٤} ثم أنشد:

متى أضع العمامة تعرفونى

أنا ابن جلا و طلاع الثنايا

^{١٢١} (٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١ / ٤٣ - ٤٤، تاريخ الشيعة: ٤٠.

^{١٢٢} (١) حياة الإمام الحسن بن علي: ٢ / ٣٣٦.

^{١٢٣} (٢) تاريخ اليعقوبى: ٣ / ٦٨.

^{١٢٤} (٣) مروج الذهب: ٣ / ٦٨.

و من جرائم هذا الطاغية: انه قاد جيشا مكثفا الى مكة لمحاربة ابن الزبير، و قد حاصر البيت الحرام ستة أشهر و سبع عشرة ليلة، و قد أمر برمي الكعبة المشرفة فرميت من جبل أبي قبيس بالمنجنيق^{١٢٥}.

(١) حياة الإمام الحسن بن علي: ٣٣٦ / ٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٦٨ / ٣.

(٣) مروج الذهب: ٦٨ / ٣.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٠ / ٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨٤، تاريخ ابن كثير: ٦٣ / ٩.

ص: ٧٢

و اتخذ الحجّاج سجونا لا تقى من حر و لا برد، و كان يعذب المساجين بأقسى ألوان العذاب، حتى قال المؤرخون : انه مات في حبسه خمسون الف رجل، و ثلاثون الف امرأة منهم ستة عشر الفا مجردات و كان يحبس الرجال و النساء في موضع واحد^{١٢٦} و احصى في محبسه ثلاث و ثلاثون الف سجين لم يحب سوا في دين و لا تبعه^{١٢٧} و كان يقول لأهل السجن: «اخشأوا فيها و لا تكلّمون»^{١٢٨} تشبيها لهم بأهل النار، و تشبيها لنفسه بالخالق تعالى، عتوا و تكبرا منه. و تلقى المسلمون نبأ وفاته بمزيد من السرور و الأفراح، و كانت الشنائم تلاحقه من يوم وفاته حتى يرث الله الأرض و من عليها.

الإمام الباقر (عليه السلام) مع عبد الملك بن مروان:

أوعز عبد الملك الى عامله على يثرب باعتقال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) و إرساله إليه مخفورا، و تردد عامله في اجابته و رأى أن من الحكمة اغلاق ما أمر به فأجابه بما يلي:

«ليس كتابي هذا خلافا عليّ، و لا ردّا لأمر، و لكن رأيت أن أراجعك في الكتاب نصيحة و شفقة عليك، فان الرجل الذي أردته ليس على وجه الأرض اليوم أعف منه، و لا أزهد، و لا أروع منه، و أنه ليقراً في محرابه فيجتمع الطير و السباع إليه تعجبا لصوته، و إن قراءته لتشبه مزامير آل داود، و إنه لمن أعلم الناس، و أرفأ الناس، و أشد الناس اجتهادا و عبادة، فكرهت لأمر

^{١٢٥} (4) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: 50 / 4، تاريخ الخلفاء للسيوطي: 84، تاريخ ابن كثير: 63 / 9.

^{١٢٦} (1) حياة الحيوان للدميري: 170 / 1.

^{١٢٧} (2) معجم البلدان: 349 / 5.

^{١٢٨} (3) تهذيب التهذيب: 212 / 2.

(١) حياة الحيوان للدميري: ١ / ١٧٠.

(٢) معجم البلدان: ٥ / ٣٤٩.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢ / ٢١٢.

ص: ٧٣

المؤمنين التعرض له، فان الله لا يغير ما بقوم، حتى يغيروا ما بأنفسهم ...».

ان هذه الرسالة لما وافقت عبد الملك عدل عن رأيه في اعتقال الإمام (عليه السلام) و رأى أن الصواب فيما قاله عامله^{١٢٩}.

الإمام الباقر (عليه السلام) و تحرير النقد الاسلامي:

قام الإمام أبو جعفر (عليه السلام) بأسمى خدمة للعالم الاسلامي، فقد حرّر النقد من التبعية للإمبراطورية الرومية، حيث كان النقد يصنع هناك و يحمل شعار الروم النصارى، و قد جعله الإمام (عليه السلام) مستقلا بنفسه يحمل الشعار الاسلامي، و قطع الصلة بينه و بين الروم.

أما السبب في ذلك فهو أن عبد الملك بن مروان نظر الى قرطاس قد طرز بمصر فأمر بترجمته الى العربية، فترجم له، و قد كتب عليه الشعار المسيحي الأب و الابن و الروح فأنكر ذلك، و كتب الى عامله على مصر عبد العزيز بن مروان بإبطال ذلك و أن يحمل المطرزين للثياب و القراطيس و غيرها على أن يطرزوها بشعار التوحيد، و يكتبوا عليها «شهد الله أنه لا إله إلا هو» و كتب الى عمّاله في جميع الآفاق بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم، و معاقبة من وجد عنده شيء بعد هذا النهي.

و قام المطرزون بكتابة ذلك، فانتشرت في الآفاق، و حملت الى الروم و لما علم ملك الروم بذلك انتفخت أوداجه، و استشاط غيظا و غضبا فكتب الى عبد الملك أن عمل القراطيس بمصر، و سائر ما يطرز إنما يطرز بطراز الروم الى أن أبطلته، فان كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، و إن كنت

(١) الدر النظيم: ١٨٨، ضياء العالمين الجزء الثاني في أحوال الإمام الباقر (عليه السلام).

ص: ٧٤

قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين الحالتين أيهما شئت و أحببت، و قد بعثت إليك بهدية تشبه محلك، و أحببت أن تجعل رد ذلك الطراز الى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف الاعلاق حالة أشكرك عليها و تأمر بقبضة الهدية.

^{١٢٩} (١) الدر النظيم: 188، ضياء العالمين الجزء الثاني في أحوال الإمام الباقر (عليه السلام).

و لما قرأ عبد الملك الرسالة أعلم الرسول أنه لا جواب له عنده كما رد الهدية، و قفل الرسول راجعا الى ملك الروم فأخبره الخبر، فضاغف الهدية و كتب إليه ثانيا يطلب باعادة ما نسخه من الشعار، و لما انتهى الرسول الى عبد الملك ردّه، مع هديته، و ظل مصمما على فكرته، فمضى الرسول الى ملك الروم و عرفه بالأمر، فكتب الى عبد الملك يتهدده و يتوعده و قد جاء في رسالته:

«أنك قد استخففت بجوابي و هديتي، و لم تسعفني بحاجتي فتوهمتك استقلت الهدية فأضعفتها، فجريت على سبيلك الأول و قد أضعفتها ثالثة و أنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه أو لآمرن بنقش الدنانير و الدراهم، فانك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادى، و لم تكن الدراهم و الدنانير نقشت في الإسلام، فينقش عليها شتم نبيك، فاذا قرأته إرفض جبينك عرقا، فأحب أن تقبل هديتي، و ترد الطراز الى ما كان عليه، و يك ون فعل ذلك هدية تودنى بها، و تبقى الحال بيني و بينك ...».

و لما قرأ عبد الملك كتابه ضاقت عليه الأرض، و حار كيف يصنع، و راح يقول : أحسبني أشأم مولود في الإسلام، لأنني جنيت على رسول الله (صلى الله عليه و اله) من شتم هذا الكافر، و سيبقى على هذا العار الى آخ ر الدنيا فان النقد الذي توعدني به ملك الروم إذا طبع سوف يتناول في جميع أنحاء العالم.

و جمع عبد الملك الناس، و عرض عليهم الأمر فلم يجد عند أحد رأيا حاسما، و أشار عليه روح بن زنباع، فقال له : إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر،

ص:٧٥

و لكنك تتعمد تركه، فأنكر عليه عبد الملك و قال له: ويحك! من؟. فقال له:

عليك بالباقر من أهل بيت النبي (صلى الله عليه و اله).

فأذن عبد الملك، و صدقه على رأيه، و عرفه أنه غاب عليه الأمر، و كتب من فوره الى عامله على يثرب يأمره بإشخاص الإمام و أن يقوم برعايته و الحتفاء به، و أن يجهزه بمائة ألف درهم، و ثلاثمائة ألف درهم لنفقته، و لما انتهى الكتاب الى العامل قام بما عهد اليه، و خرج الإمام من يثرب الى دمشق فلما سار إليها استقبله عبد الملك، و احتفى به و عرض عليه الأمر فقال (عليه السلام):

«لا يعظم هذا عليك فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما ان الله عزّ و جلّ لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله (صلى الله عليه و اله) و الاخرى وجود الحيلة فيه».

فقال: ماهي؟

قال (عليه السلام): تدعو في هذه الساعة بصناع فيضربون بين يديك سككا للدراهم و الدنانير، و تجعل النقش صورة التوحيد و ذكر رسول الله (صلى الله عليه و اله) احدهما في وجه الدرهم، و الآخر في الوجه الثاني، و تجعل في مدار الدرهم و الدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه و السنة التي يضرب فيها، و تعمد الى وزن ثلاثين درهما عددا من الأصناف

الثلاثة الى العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، و عشرة منها وزن ستة مثاقيل، و عشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعا واحدا و عشرين مثقالا، فتجزئها من الثلاثين فيصير العدد من الجميع وزن سبعة مثاقيل، و تصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة و لا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة، و الدنانير على وزن سبعة مثاقيل ... و أمره بضرب السكة على هذا اللون في جميع مناطق العالم الاسلامي، و أن يكون التعامل بها، و تلغى السكة الاولى، و يعاقب بأشد العقوبة

ص: ٧٦

من يتعامل بها، و ترجع الى المعامل الاسلامية لتصب ثانيا على الوجه الاسلامي.

و امتثل عبد الملك ذلك، ف ضرب السكة حسبما رآه الإمام (عليه السلام) و لما فهم ملك الروم ذلك سقط ما في يده، و خاب سعيه، و ظل التعامل بالسكة التي صممها الإمام (عليه السلام) حتى في زمان العباسيين^{١٣٠}.

و ذكر ابن كثير ان الذي قام بهذه العملية الإمام زين العابدين (عليه السلام)^{١٣١}.

و لا مانع من أن يكون الإمام زين العابدين قد نفذ الخطأ بواسطة ابنه محمد الباقر (عليه السلام).

و على أى حال فان العالم الاسلامي مدين للإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) بما أسداه إليه من الفضل بإنقاذ نقه من تبعية الروم المسيحيين.

و مرض عبد الملك بن مروان مرضه الذي ه لك فيه، و عهد بالخلافة من بعده الى ولده الوليد، و أوصاه بالحجاج خيرا، و قال له: و انظر الحجاج فأكرمه، فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر، و هو سيفك يا وليد، و يدك على من ناواك، فلا تسمعن فيه قول أحد، و أنت إليه أحوج منه إليك . و ادع الناس إذا مت الى البيعة، فمن قال برأسه هكذا، فقل: بسيفك هكذا...»^{١٣٢}.

و مثلت هذه الوصية اندفاعاته نحو الشر حتى في الساعة الأخيرة من حياته . و قد سئل عنه الحسن البصري فقال: ما أقول في رجل كان الحجاج سيئة من سيئاته^{١٣٣}.

(١) حياة الحيوان للدميري: ٩١ / ١ - ٩٢، المحاسن و الأضداد للبيهقي، المطالعة العربية: ٣١ / ١.

(٢) البداية و النهاية: ٦٨ / ٩.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٢٠.

^{١٣٠} (١) حياة الحيوان للدميري: ٩١ / ١ - ٩٢، المحاسن و الأضداد للبيهقي، المطالعة العربية: 31 / 1.

^{١٣١} (٢) البداية و النهاية: 68 / 9.

^{١٣٢} (٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: 220.

^{١٣٣} (٤) تاريخ أبي الفداء: 209 / 1.

(٤) تاريخ أبي الفداء: ٢٠٩ / ١.

ص: ٧٧

الوليد بن عبد الملك

و استولى الوليد بن عبد الملك على الحكم بعد هلاك أبيه في النصف من شوال سنة (٨٦ هـ) و لم تكن فيه أية صفة من صفات النبيل بحيث تؤهله للخلافة، وإنما كان جبارا ظالما^{١٣٤} و كان يغلب عليه اللحن، و قد خطب في المسجد النبوي، فقال: يا أهل المدينة- بالضم- مع أن القاعدة تقتضى نصبه لأنه منادى مضاف.

و خطب يوما فقال: يا ليتها كانت القاضية- و ضم التاء- فقال عمر بن عبد العزيز: عليك و أراحتنا منك^{١٣٥}. و عاتبه أبوه على إلحائه، و قال: إنه لا يلي العرب إلا من يحسن كلامهم، فجمع أهل النحو و دخل بيتا فلم يخرج منه ستة أشهر، ثم خرج منه، و هو أجهل منه يوم دخل^{١٣٦}.

و طعن عمر بن عبد العزيز في حكومته فقال: إنه ممن امتلأت الأرض به جورا^{١٣٧}. و يقول المؤرخون: إنه كان كثير النكاح و الطلاق إذ يقال: إنه تزوج ثلاثا و ستين امرأة^{١٣٨} غير الإمام.

و في عهد الوليد قتل الحجاج سعيد بن جبير التابعي صبرا و كان قتله من الأحداث الجسام التي روّع بها العالم الإسلامي.

و كانت مدة خلافته تسع سنين و سبعة أشهر، توفي بدير مروان

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٢٣.

(٢) تاريخ ابن الأثير: ١٣٨ / ٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٢٣.

(٥) الاناقة في مآثر الخلافة: ١٣٣ / ١.

ص: ٧٨

سنة (٩٦ هـ) و كان عمره خمسا و أربعين سنة^{١٣٩}.

^{١٣٤} (١) تاريخ الخلفاء: ٢٢٣.
^{١٣٥} (٢) تاريخ ابن الأثير: ١٣٨ / ٤.
^{١٣٦} (٣) المصدر السابق.
^{١٣٧} (٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٢٣.
^{١٣٨} (٥) الاناقة في مآثر الخلافة: ١٣٣ / ١.

ثم بويع سليمان بن عبد الملك بعهد من أبيه بعد هلاك أخيه في جمادى الآخرة سنة (٩٦ هـ) فاستلم الحكم و نكّل بآل الحجاج تنكيلا فظيعا، و عهد بتعذيبهم الى عبد الملك بن المهلب^{١٤٠} و عزل جميع عمّال الحجاج و اطلق فى يوم واحد من سجنه واحدا و ثمانين ألفا، و أمرهم أن يلحقوا ب أهاليهم، و وجد فى السجن ثلاثين ألفا ممن لا ذنب لهم و ثلاثين ألف امرأة^{١٤١} و كانت هذه من مآثره و ألطافه على الناس.

لكنه كان مجحفا أشد الاجحاف فى جباية الخراج فقد كتب الى عامله على مصر اسامة بن زيد التنوخى رسالة جاء فيها : «احلب الدر حتى ينقطع، و احلب الدم حتى يصرم». و قدم عليه اسامة بما جباه من الخراج، و قال له : إني ما جئتكم حتى نهكت الرعية و جهدت فان رأيت أن ترفق بها و ترفه عليها، و تخفف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها فافعل فانه يستدرك ذلك فى العام المقبل فصاح به سليمان: «هبلتك امك احلب الدر، فاذا انقطع فاحلب الدم»^{١٤٢}.

و دلت هذه البادرة على تجرده من الرحمة و الرأفة على رعيته، فقد أمت الحركة الاقتصادية، و أشاع الفقر و البؤس فى البلاد.

و كان شديد الاعجاب بنفسه، حتى أنّه لبس يوما أفخر ثيابه و راح يقول : أنا الملك الشاب المهاب، الكريم، الوهاب، و تمثلت أمامه إحدى

(١) تاريخ ابن الأثير: ١٣٨ / ٤.

(٢) المصدر السابق: ١٣٨ / ٤.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ٨٠ / ٥.

(٤) الجهشيارى: ٣٢.

ص: ٧٩

جواريه فقال لها: كيف ترين أمير المؤمنين؟!!

ف قالت: أراه منى النفس، و قرّة العين، لو لا ما قال الشاعر ...

فقال لها: ما قال؟

قالت: إنه قال:

^{١٣٩} (١) تاريخ ابن الأثير: 138 / 4.

^{١٤٠} (٢) المصدر السابق: 138 / 4.

^{١٤١} (٣) تاريخ ابن عساكر: 80 / 5.

^{١٤٢} (٤) الجهشيارى: 32.

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى

غير أن لا بقاء للإنسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب

عابه الناس غير أنك فاني

فكانت هذه الأبيات كالصاعقة على رأسه، فقد تبدد جبروته و إعجابه بنفسه، و لم يمكث إلا زمنا يسيرا حتى هلك ^{١٤٣} و كانت خلافته سنتين و خمسة أشهر و خمسة أيام، و توفي يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة (٩٩ هـ) ^{١٤٤}.

عمر بن عبد العزيز

ثم تقلد الحكم الاموى عمر بن عبد العزيز بعهد من سليمان بن عبد الملك فى يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة (٩٩ هـ) ^{١٤٥} و لمس الناس فى عهده القصير الأمن، و الرفاه، بشكل نسبي، فقد أزال عنهم شيئا من جور بنى مروان و طغيانهم، و كان محنكا، قد هذبته التجارب، و قد ساس المسلمين سياسة لم يألوها ممن قبله.

و كانت لعمر بن عبد العزيز إنجازات عديدة ميّزته عن سائر الحكّام الامويين و يمكن تلخيصها فيما يلى:

(١) مروج الذهب: ١١٣ / ٣.

(٢) تاريخ ابن الأثير: ١٥١ / ٤.

(٣) نهاية الإرب: ٣٥٥ / ٢١.

ص: ٨٠

١- إدانة سب الإمام على (عليه السّلام) و لعنه: كانت الحكومة الاموية منذ تأسيسها قد تبنت بصورة جادة سب الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) و انتقاصه، فان معاوية كان يرى ان هذا السبّ هو السبب فى بقاء دولتهم و سلطانهم ^{١٤٦}، لأن مبادئ الإمام (عليه السّلام) كانت تطاردهم و تفتح أبواب النضال الشعبى ضد سياستهم القائمة على الظلم و الجور و الطغيان فكان لا بدّ من إسقاط شخصيته، و اعتباره.

و قد أدرك عمر بن عبد العزيز أن السياسة التى انتهجها آباؤه ضد الإمام (عليه السّلام) لم تكن حكيمة و لا رشيدة، فقد جرّت للامويين الكثير من المصاعب و المشاكل، و ألفتهم فى شر عظيم، فعزم على أن يمحو هذه الخطيئة، فأصدر أوامره

^{١٤٣} (١) مروج الذهب: 113 / 3.

^{١٤٤} (٢) تاريخ ابن الأثير: 151 / 4.

^{١٤٥} (٣) نهاية الإرب: 355 / 21.

^{١٤٦} (١) تاريخ دمشق: 47 / 2، تاريخ الامم و الملوك: 167 / 5 - 168.

الحاسمة الى جميع أنحاء العالم الاسلامى بترك سبّ عن الإمام م أمير المؤمنين (عليه السلام) و أن يقرأ عوض السب قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ.**

و قد علّل عمر نفسه السبب فى تركه لما سنّه آباؤه من انتقاص الإمام بقوله : كان أبى إذا خطب فنال من على تلجلج، فقلت: يا أبت إنك تمضى فى خطبتك فاذا أتيت على ذكر على عرفت منك تقصيرا، قال: أو فطنت لذلك؟

قلت: نعم، فقال: يا بنى إن الذين حولنا لو يعلمون من على ما نعلم تفرّقوا عنا الى أولاده.

فلما ولى عمر الخلافة لم يكن عنده من الرغبة فى الدنيا مثل إبطال ظاهرة سب الإمام^{١٤٧}.

و قد أثارت هذه المكرمة إعجاب الجميع، و أخذ الناس يتحدثون عنه

(١) تاريخ دمشق: ٢/ ٤٧، تاريخ الامم و الملوك: ٥/ ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) تاريخ ابن الأثير: ٤/ ١٥٤، حوادث سنة ٩٩ هـ.

ص: ٨١

بأطيب الحديث و يذكرون شجاعته النادرة فى مخالفته لسلفه الطغاة البغاة.

٢- صلته للعلويين: جهدت الحكومة الاموية منذ تأسيسها على حرمان أهل البيت عليهم السلام من حقوقهم و إشاعة الفاقة فى بيوتهم، حتى عانوا الفقر و الحرمان، و لكن لما ولى الحكم عمر بن عبد العزيز أجزل لهم العطاء فقد كتب الى عامله على يثرب أن يقسم فيهم عشرة آلاف دينار، فأجابه عامله : ان عليا قد ولد له فى عدة قبائل من قريش، ففى أى ولده؟ فكتب اليه: إذا أتاك كتابى هذا، فاقسم فى ولد على من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار، فطالما تخطّتهم حقوقه^{١٤٨}. و كانت هذه أول صلة تصلهم أيام الحكم الاموى.

٣- رد فدك: رد عمر فدكا الى العلويين بعد أن صودرت منهم، و اخذت تتعاقب عليها الأيدى، و تتناهب الرجال و ارداتها، و آل النبىّ (صلى الله عليه و اله) قد حرموا منها، و قد روى ردّه لها بصور متعددة منها:

ألف: إن عمر بن عبد العزيز زار مدينة النبى (صلى الله عليه و اله) و أمر مناديه أن ينادى:

من كانت له مظلمة أو ظلامة فليحضر.

فقصده الإمام أبو جعفر (عليه السلام) فقام إليه عمر تكريما و احتفى به فقال الإمام (عليه السلام) له: «إنما الدنيا سوق من الأسواق يبتاع فيها الناس ما ينفعهم و ما يضرهم، و كم قوم ابتاعوا ما ضرهم، فلم يصبحوا حتى أتاها الموت فخرجوا من

^{١٤٧} (٢) تاريخ ابن الأثير: ٤/ 154، حوادث سنة 99 هـ.
^{١٤٨} (١) الإمام محمد الباقر (عليه السلام): 2/ 47-48.

الدنيا ملومين لما لم يأخذوا ما ينفعهم في الآخرة، فقسم ما جمعوا لمن لم يحمدهم و صاروا الى من لا يعذرهم، فنحن و الله حقيقون أن ننظر الى تلك الأعمال التي نتخوف عليهم منها، فنكف عنها، و اتق الله، و اجعل في نفسك اثنتين، انظر الى ما تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فقدمه بين يديك، و ا نظر الى ما تكره معك إذا قدمت على ربك فارمه وراءك، و لا ترغبن في سلعة

(١) الإمام محمد الباقر (عليه السلام): ٢ / ٤٧ - ٤٨.

ص: ٨٢

بارت على من كان قبلك، فترجو أن يجوز عنك، و افتح الأبواب، و سهل الحجاب، و انصف المظلوم، و رد ا لظالم، ثلاثة من كن فيه استكمل الايمان بالله من إذا رضى لم يدخله رضاه في باطل، و من إذا غضب لم يخرج غضبه من الحق، و من اذا قدر لم يتناول ما ليس له...»^{١٤٩}.

و لما سمع عمر كلام الإمام (عليه السلام) أمر بدواة و بياض، و كتب بعد البسملة:

«هذا ما رد عمر بن عبد العزيز ظلامة محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بفدك».

ب- إنه لما ولي الخلافة أحضر قريشا و وجوه الناس، فقال لهم: إن فدكا كانت بيد رسول الله (صلى الله عليه و اله)، فكان يضعها حيث أراه الله، ثم وليها أبو بكر كذلك، ثم عمر كذلك، ثم أقطعها مروان^{١٥٠} ثم انها صارت إلى، و لم تكن من مالى أعود على، و إنى أشهدكم أنى قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه و اله)^{١٥١}.

و ليس في هذه الرواية أنه ردها الى العلويين، و إنما وضعها حيث كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) يضعها و من المعلوم أن رسول الله أقطعها الى بضعته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) و تصرف بها في حياة رسول الله (صلى الله عليه و اله) و لكن القوم رغبوا في مصادرتها لمصالح سياسية دعتهم الى ذلك.

ج- إن عمر بن عبد العزيز لما أعلن رد فدك إلى العلويين نقم عليه بنو امية فقالوا له: نقمت على الشيخين - يعنى أبا بكر و عمر- فعلهما و طعنت عليهما، و نسبتهما الى الظلم، فقال : قد صح عندى و عندكم أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه و اله) ادعت فدكا، و كانت فى يدها، و ما كانت لتكذب على

(١) المناقب: ٢٠٧ / ٤ - ٢٠٨.

(٢) هكذا فى الأصل و الصحيح ثم أقطعها عثمان مروان.

^{١٤٩} (١) المناقب: 207 / 4 - 208.

^{١٥٠} (٢) هكذا فى الأصل و الصحيح ثم أقطعها عثمان مروان

^{١٥١} (٣) تاريخ بن الأثير: 164 / 4.

رسول الله (صلى الله عليه و اله) مع شهادة على، و ام أيمن و ام سلمة، و فاطمة عندى صادقة فيما تدعى، و إن لم تقم البينة و هى سيده نساء الجنة، فأنا اليوم أردّها على ورثتها أتقرب بذلك الى رسول الله (صلى الله عليه و اله) و أرجو أن تكون فاطمة و الحسن و الحسين يشفعون لى يوم القيامة، و لو كنت بدل أبى بكر و ادعت فاطمة (عليها السلام) كنت أصدقها على دعوتها، ثم سلمها الى الإمام الباقر (عليه السلام)^{١٥٢}.

الإمام محمد الباقر (عليه السلام) و عمر بن عبد العزيز

و كانت للإمام أبى جعفر (عليه السلام) بخلافه عمر بن عبد العزيز:

منها: تنبؤ الإمام بخلافه عمر : قال أبو بصير : كنت مع الإمام أبى جعفر (عليه السلام) فى المسجد إذ دخل عمر بن عبد العزيز، و عليه ثوبان ممصران متكيا على مولى له، فقال (عليه السلام): ليلين هذا الغلام، فيظهر العدل^{١٥٣}. إلا أنه قدح فى ولايته من جهة وجود من هو أولى منه بالحكم.

و منها: وصاياه لعمر حين الخلافة : و لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كرم الإمام أبا جعفر (عليه السلام) و عظمه و أرسل خلفه فنون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، و كان من عبّاد أهل الكوفة، فاستجاب له الإمام (عليه السلام) و سافر الى دمشق، فاستقبله عمر استقبالا رائعا، و احتفى به، و جرت بينهما أحاديث، و بقى الإمام أياما فى ضيافته و لما أراد الإمام الانصراف الى يثرب خف الى توديعه فجاء الى البلاط الاموى و عرف الحاجب بأمره فأخبر عمر بذلك، فخرج رسوله فنادى أين أبو جعفر ليدخل، فاشفق الإمام أن يدخل خشية أن لا يكون هو، فقفّل الحاجب الى عمر و أخبره بعدم حضور الإمام، فقال له: كيف قلت؟ قال: قلت: أين

(١) سفينة البحار: ٢ / ٢٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ٤٦ / ٢٥١.

أبو جعفر؟ فقال له: اخرج و قل: أين محمد بن على؟ ففعل ذلك، فقام الإمام (عليه السلام)، و دخل عليه و حدّثه ثم قال له: إني أريد الوداع، فقال له عمر:

أوصنى.

^{١٥٢} (١) سفينة البحار: 2 / 272.
^{١٥٣} (2) بحار الأنوار: 46 / 251.

فقال (عليه السلام): «أوصيك بتقوى الله، و اتخذ الكبير أبا، و الصغير ولدا و الرجل أبا...».

و بهر عمر من وصية الإمام و راح يقول باعجاب: «جمعت لنا و الله، ما إن أخذنا به، و أماتنا الله عليه استقام لنا الخير».

و خرج الإمام من عنده، و لما أراد الرحيل بادره رسول عمر فقال له : إن عمر يريد أن يأتيك . فانتظره الإمام حتى أقبل فجلس بين يدي الإمام مبالغة في تكريمه و تعظيمه، ثم انصرف عنه^{١٥٤}.

و منها: تقرّظه لعمر: و نقلت مباحث الامويين الى عمر أن الإمام أبا جعفر (عليه السلام) هو بقية أهله العظماء الذين رفعوا راية الحق و العدل في الأرض، و قد أراد عمر أن يختبره فكتب إليه، فأجابه الإمام (عليه السلام) برسالة فيها موعظة و نصيحة له، فقال عمر: اخرجوا كتابه الى سليمان . فاخرج كتابه، فوجده يقرّظه، و يمدحه، فأنفذه الى عامله على المدينة، و أمره أن يعرضه عليه مع كتابه الى عمر، و يسجل ما يقوله الإمام (عليه السلام).

و عرضه العامل على الإمام فقال (عليه السلام): إن سليمان كان جبارا كتبت اليه ما يكتب الى الجبارين، و ان صاحبك أظهر أمرا، و كتبت اليه بما شاكله.

و كتب العامل هذه الكلمات الى عمر فلما قرأها أظهر إعجابه بالإمام (عليه السلام)، و راح يقول : «إن أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل...»^{١٥٥}.

و وجهت لعمر بن عبد العزيز بعض المؤاخذات رغم جميع مآثره:

(١) تاريخ دمشق: ٥٤ / ٢٧٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٨.

ص: ٨٥

منها: أنه أقرّ القطائع التي أقطعها من سبقه من أهل بيته، و هي من دون شك كانت بغير وجه مشروع.

و منها: أن عمّاله و ولاته على الأقطار و الأقاليم الاسلامية قد جهدوا في ظلم الناس و ابتزاز أموالهم.

حتّى أن عمر كان يخطب على المنبر فانبرى إليه رجل فقطع عليه خطابه، و قال له:

نبدوا كتابك و استحل المحرم

كل يجور و كلهم يتظلم

إن الذين بعثت في أقطارها

طلس الثياب على منابر أرضنا

^{١٥٤} (١) تاريخ دمشق: 54 / 270.

^{١٥٥} (٢) تاريخ اليعقوبي: 2 / 48.

منها: أنه أقر العطاء الذي كان للأشراف، فلم يغيره في حين أنه كان يتنافى مع المبادئ الإسلامية التي ألزمت بالمساواة بين المسلمين، و ألغت التمايز بينهم.

و منها: أنه زاد في عطاء أهل الشام عشرة دنانير، و لم يفعل مثل ذلك في أهل العراق^{١٥٧}. و لا وجه لهذا التمييز الذي يتصادم مع روح الإسلام.

و ألمت الأمراض بعمر بن عبد العزيز، و قالوا: إنه امتنع من التداوى فقليل له: لو تداويت؟ فقال: لو كان دوائي في مسح أذني ما مسحتها، نعم المذهب إليه ربي^{١٥٨}.

و تنص بعض المصادر على أنه سقى السم من قبل الامويين لأنهم علموا أنه إن امتدت أيامه فسوف يخرج الأمر منهم، و لا يعهد بالخلافة إلا لمن

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١ / ٣٥٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٨.

(٣) تاريخ ابن الأثير: ٤ / ١٦١.

ص: ٨٦

يصلح لها فعاجلوه^{١٥٩}. و توفي في دير سمعان في شهر رجب^{١٦٠} سنة (١٠١ هـ).

يزيد بن عبد الملك

و استولى يزيد بن عبد الملك على الحكم بعهد من أخيه سليمان، و أقام أربعين يوما يسير بين الناس بسياسة عمر بن عبد العزيز، فشق ذلك على بني أمية، فأتوه بأربعين شيخا فشهدوا بأنه ليس على الخلفاء حساب و لا عقاب^{١٦١}.

فعدل عن سياسة عمر، و ساس الناس سياسة عنف و جبروت، و عمد الى عزل جميع ولاء عمر، و كتب مرسوما الى عماله جاء فيه:

^{١٥٦} (١) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١ / 350.

^{١٥٧} (٢) تاريخ اليعقوبي: 2 / 48.

^{١٥٨} (٣) تاريخ ابن الأثير: 4 / 161.

^{١٥٩} (١) الانافة في مآثر الخلافة: 1 / 142.

^{١٦٠} (٢) تاريخ ابن الأثير: 4 / 161.

^{١٦١} (٣) المصدر السابق: 9 / 232.

«أما بعد فإنَّ عمر بن عبد العزيز كان مغرورا، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده، و أعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى، أخصبوا أم أجذبوا، أحبوا أم كرهوا، حيوا أم ماتوا ...»^{١٦٢}.

و عاد الظلم على الناس بأبشع صورته و ألوانه، و انتشر الجور، و عم الطغيان جميع أنحاء البلاد.

لقد كان يزيد بن عبد الملك جاهلا، حقوقا على أهل العلم، حتى أنه كان يحتقر العلماء، و يسمى الحسن البصري بالشيخ الجاهل^{١٦٣} كما كان مسرفا في اللهو و المجون حتى هام بحب حباية، و قد ثمل يوما، فقال: دعوني أطير، فقالت حباية: على من تدع الامة؟ قال : عليك. و خرجت معه الى الأردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فدخلت حلقها فشرقت، و مرضت، و ماتت فتركها

(١) الانافة في مآثر الخلافة: ١٤٢ / ١.

(٢) تاريخ ابن الأثير: ١٦١ / ٤.

(٣) المصدر السابق: ٢٣٢ / ٩.

(٤) العقد الفريد: ١٨٠ / ٣.

(٥) الطبقات الكبرى: ٩٥ / ٥.

ص: ٨٧

ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أنتنت، و هو يشمها، و يقبلها، و ينظر إليها و يبكي، فكلّم في أمرها حتى أذن في دفنها، و عاد الى مقره كئيبا حزينا^{١٦٤}.

و له أخبار كثيرة مخزية في الدعارة و اللهو أعرضنا عن ذكرها، و هلك سنة (١٠٥ هـ).

هشام بن عبد الملك

استولى هشام بن عبد الملك على الحكم في اليوم الذي هلك فيه أخوه يزيد لخمس بقين من شوال و هو المعروف بأحول بنى امية و كان حقوقا على ذوى الاحساب العريقة، و مبغضا لكل شريف.

و من مظاهر بخله انه كان يقول: ضع الدرهم على الدرهم يكون مالا^{١٦٥} و قد جمع من المال ما لم يجمعه خليفة قبله^{١٦٦}.

^{١٦٢} (٤) العقد الفريد: 180 / 3.

^{١٦٣} (٥) الطبقات الكبرى: 95 / 5.

^{١٦٤} (١) الكامل في التاريخ 121 / 5.

^{١٦٥} (٢) البخلاء: 150.

^{١٦٦} (٣) اخبار الدول: 200 / 2.

وقال: ما ندمت على شيء ندامتي على ما أهب، إن الخلافة تحتاج إلى الأموال كاحتياج المريض إلى الدواء^{١٦٧}.

و دخل إلى بستان له فيها فاكهة فجعل أصحابه يأكلون من ثمرها، فأو عز إلى غلامه بقلع الأشجار و زراعة الزيتون لثلا يأكل منه أحد^{١٦٨}.

و وصفه اليعقوبي بأنه بخيل فظ ظلوم شديد القسوة، و هو الذى قتل زيد ابن على، و تعرض الإمام أبو جعفر (عليه السلام) فى عهده إلى ضروب من المحن والآلام و التى كان من بينها ما يلى:

(١) الكامل فى التاريخ: ١٢١ / ٥.

(٢) البخلاء: ١٥٠.

(٣) اخبار الدول: ٢ / ٢٠٠.

(٤) انساب الأشراف: ٨ / ٣٩٩ طبعة دار الفكر المحققة ١٤١٧ هـ.

(٥) البخلاء: ١٥٠.

ص: ٨٨

حمل الإمام الباقر (عليه السلام) إلى دمشق و اعتقاله:

لقد أمر الطاغية هشام عامله على المدينة بحمل الإمام إلى دمشق و قد روى المؤرخون فى ذلك روايتين:

الرواية الاولى: ان الإمام (عليه السلام) لما انتهى إلى دمشق، و علم هشام بقدومه أو عز إلى حاشيته أن يقابلوا الإمام بمزيد من التوهين و التوبيخ عندما ينتهى حديثه معه.

و دخل الإمام (عليه السلام) على هشام فسلم على القوم و لم يسلم عليه بالخلافة، فاستشاط هشام غضبا، و أقبل على الإمام (عليه السلام) فقال له:

«يا محمد بن على لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين، و دعا إلى نفسه، و زعم أنه الإمام سفها و قلة علم...».

ثم سكت هشام فأنبرى عملاؤه و جعلوا ينالون من الإمام و يسخرون منه. و هنا تكلم الإمام (عليه السلام) فقال:

«أيها الناس: أين تذهبون؟ و أين يراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم و بنا يختم آخركم، فان يكن لكم ملك معجل، فان لنا ملكا مؤجلا، و ليس بعد ملكنا ملك، لأننا أهل العاقبة، و العاقبة للمتقين...»^{١٦٩}.

^{١٦٧} (٤) انساب الأشراف: ٨ / 399 طبعة دار الفكر المحققة 1417 هـ.

^{١٦٨} (٥) البخلاء: 150.

و خرج الإمام بعد أن ملأ نفوسهم حزنا و أسى، و لم يستطيعوا الرد على منطقة القوى.

و ازدحم أهل الشام على الإمام (عليه السلام) و هم يقولون: هذا ابن ابي تراب، فرأى الإمام أن يهديهم الى سواء السبيل، و يعرفهم بحقيقة أهل البيت، فقام

(١) بحار الأنوار: ٧٥ / ١١.

ص: ٨٩

فيهم خطيبا، فحمد الله و اتنى عليه، و صلى على رسول الله ثم قال:

اجتنبوا أهل الشقاق، و ذرية النفاق، و حشو النار، و حصب جهنم عن البدر الزاهر، و البحر الزاخر، و الشهاب الثاقب، و شهاب المؤمنين، و الصراط المستقيم، من قبل أن نطمس وجوها فنردّها على أدبارها أو يلعنوا كما لعن أصحاب السبت، و كان أمر الله مفعولا ...

ثم قال بعد كلام له:

أبصنو رسول الله (صلى الله عليه و اله) - يعنى الإمام أمير المؤمنين - تستهزئون؟ أم يبعسوب الدين تلمزون؟ و أى سبيل بعده تسلكون؟! و أى حزن بعده تدفعون؟

هيهات برز - و الله - بالسبق و فاز بالخصل و استولى على الغاية، و أحرز على الختار^{١٧٠} فانحسرت عنه الأبصار، و خضعت دونه الرقاب، و فرع الذروة العليا، فكذب من رام من نفسه السعى، و أعياه الطلب، فأنى لهم التناوش^{١٧١} من مكان بعيد؟!

ثم قال: فأنى يسدّ ثلمة أخى رسول الله (صلى الله عليه و اله) اذ شفّعوا، و شقيقه اذ نسبوا و ندّ يده اذ قتلوا، و ذى قرنى كنزها اذ فتحوا، و مصلّى القبلتين اذ تحرفوا، و المشهود له بالإيمان اذ كفروا، و المدعى لنبذ عهد المشركين اذ نكلوا و الخليفة على المهاد ليلة الحصار اذ جزعوا، و المستودع الاسرار ساعة الوداع...»^{١٧٢}.

و لما ذاع فضل الإمام بين أهل الشام، أمر الطاغية باعتقاله و سجنه.

و حين احتف به السجناء و أخذوا يتلقون من علومه و آدابه، خشى مدير السجن من الفتنة فبادر الى هشام فأخبره بذلك فأمره بإخراجه من السجن، و إرجاعه إلى بلده^{١٧٣}.

^{١٦٩} (١) بحار الأنوار: 75 / 11.

^{١٧٠} (١) الختار: الغدر.

^{١٧١} (٢) التناوش: التناول.

^{١٧٢} (٣) مناقب آل أبي طالب: 4 / 203 - 204.

^{١٧٣} (٤) بحار الأنوار: 75 / 11.

الرواية الثانية: وهى التى رواها لوط بن يحيى الأسدى عن عمارة بن زيد

(١) المختار: الغدر.

(٢) التناوش: التناول.

(٣) مناقب آل أبى طالب: ٢٠٣/٤ - ٢٠٤.

(٤) بحار الأنوار: ٧٥ / ١١.

ص: ٩٠

الواقدي حيث قال: حج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين^{١٧٤}، و كان قد حج فيها الإمام محمد بن علي الباقر و ابنه الإمام جعفر الصادق (عليهما السلام) فقال جعفر أمام حشد من الناس فيهم مسلمة بن عبد الملك:

«الحمد لله الذى بعث محمدا بالحق نبيا، و أكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه، و خيرته من عباده، فالسعيد من تبعنا، و الشقى من عادانا و خالفنا...».

و بادر مسلمة بن عبد الملك الى أخيه هشام فأخبره، بمقالة الإمام الصادق (عليه السلام) فأسرّها هشام فى نفسه، و لم يتعرض للإمامين بسوء فى الحجاز إلا أنه لما قفل راجعا الى دمشق أمر عامله على يثرب بإشخاصهما إليه و لما انتهيا الى دمشق حجّهما ثلاثة أيام، و لم يسمح لهما بمقابلته استهانةً بهما، و فى اليوم الرابع أذن لهما فى مقابلته، و كان مجلسا مكتظا بالامويين و سائر حاشيته، و قد نصب ندماؤه برجاسا^{١٧٥} و أشياخ بنى امية يرمونه.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «فلما دخلنا، كان أبى أمامى و أنا خلفه» فنادى هشام:

«يا محمد ارم مع أشياخ قومك».

فقال أبى: «قد كبرت عن الرمى، فإن رأيت أن تعفينى».

فصاح هشام: «و حقّ من أعزّنا بدينه، و نبيّه محمد لا أعفيك...».

و ظن الطاغية أن الإمام سوف يخفق فى رمايته فيتخذ ذلك وسيلة للحط من شأنه أمام الغوغاء من أهل الشام، و أوماً الى شيخ من بنى امية أن يناول الإمام (عليه السلام) قوسه. فناوله، و تناول معه سهما فوضعه فى كبد القوس، و رمى به الغرض فأصاب وسطه، ثم تناول سهما فرمى به فشق السهم الأول الى نصله.

^{١٧٤} (1) ذكر اليعقوبي أن هشاما حجّ سنة 106 هجرية.

^{١٧٥} (2) البرجاس: جاء في معجم المعربات الفارسية أن (البرجاس) هدف، «شي في الهواء، معلق على رأس رمح أو نحوه» و هو معرّب و يراد به: هدف السهم.

(١) ذكر اليعقوبي أن هشاما حجّ سنة ١٠٦ هجرية.

(٢) البرجاس: جاء في معجم المعربات الفارسية: أن (البرجاس) هدف، «شى فى الهواء، معلق على رأس رمح أو نحوه» و هو معرّب و يراد به: هدف السهم.

ص: ٩١

و تابع الإمام الرمى حتى شق تسعة أسهم بعضها فى جوف بعض، و لم يحصل بعض ذلك لأعظم رام فى العالم . و أخذ هشام يضطرب من الغيظ، و ورم أنفه، فلم يتمالك أن صاح:

«يا أبا جعفر أنت أرمى العرب و العجم !! و زعمت أنك قد كبرت !!» ثم ادركته الندامة على تقريظه للإمام، فأطرق برأسه الى الأرض و الإمام واقف.

و لما طال وقوفه غضب (عليه السلام) و بان ذلك على سحنات وجهه الشريف. و كان إذا غضب نظر الى السماء.

و لما بصر هشام غضب الإمام قام إليه و اعتنقه، و أجلسه عن يمينه، و أقبل عليه بوجهه قائلا : «يا محمد لا تزال العرب و العجم تسودها قريش، مادام فيها مثلك. لله درك!! من علمك هذا الرمى؟ و فى كم تعلّمته؟ أيرمى جعفر مثل رميك؟...».

فقال أبو جعفر (عليه السلام): «إنا لنحن نتوارث الكمال».

و ثار الطاغية، و احمرّ وجهه، و هو يتميز من الغيظ، و أطرق برأسه الى الأرض، ثم رفع رأسه، و راح يقول: «ألسنا بنو عبد مناف نسبنا و نسبكم واحد؟».

ورد عليه الإمام مزاعمه قائلا : «نحن كذلك، و لكن الله اختصنا من مكنون سرّه، و خالص علمه بما لم يخص به أحدا غيرنا».

و طفق هشام قائلا: «أليس الله بعث محمدا (صلى الله عليه و اله) من شجرة عبد مناف الى الالباس كافة أبيضها و أسودها و أحمرها، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم؟

و رسول الله مبعوث الى الناس كافة، و ذلك قول الله عزّ و جل : **وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ** *؟ فمن أين ورثتم هذا العلم و ليس بعد محمد نبيّ، و لا أنتم أنبياء؟!»

و ردّ عليه الإمام ببلغ الحجة قائلا: من قوله تعالى لنبيّه **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ**

ص: ٩٢

لِنَعْبِلَ بِهِ فالذى لم يحرك به لسانه لغيرنا أمره الله تعالى أن يخصنا به من دون غيرنا، فلذلك كان يناجى أخاه عليا من دون أصحابه، و أنزل الله به قرآنا فى قوله: **وَتَعْبِهَا أَذُنٌ وَاَعْيَةُ** فقال رسول الله: سألت الله أن يجعلها اذنك يا علي، فلذلك

قال علي: علّمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب، خصّه به النبي من مكنون سرّه، كما خصّ الله نبيّه، وعلّمه ما لم يخص به أحدا من قومه، حتى صار إلينا فتوارثناه من دون أهلنا».

والتاع هشام من هذا الجواب، فالتفت الى الإمام- وهو غضبان- قائلا: إنّ عليّا كان يدّعي علم الغيب و الله لم يطلع على غيبه أحدا، فكيف ادّعى ذلك؟

و من أين؟

فأجابه الإمام قائلا: «إن الله أنزل على نبيّه كتابا بين دفتيه فيه ما كان و ما يكون الى يوم القيام ة في قوله تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ و في قوله تعالى:

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ و في قوله تعالى: مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ و في قوله تعالى: وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ و أوحى الله الى نبيّه أن لا يبقى في عبيّه سرّه، و مكنون علمه شيئا إلّا يناجي به عليّا، فأمره أن يؤلف القرآن من بعده، و يتولّى غسله و تحنيطه من دون قومه، و قال لأصحابه: حرام على أصحابي و قومي أن ينظروا الى عورتي غير أخى على، فانه منى، و أنا منه، له ما لى، و عليه ما على، و هو قاضى دينى، و منجز موعدى، ثم قال لأصحابه: على بن أبى طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، و لم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله و عامّه إلّا عند على، و لذلك قال رسول الله: «أقضاكم على» أى هو قاضيكُم، و قال عمر بن الخطاب: لو لا على لهلك عمر، يشهد له عمر و يجحده غيره!».

و أطرق هشام برأسه الى الأرض، و لم يجد منفذا يسلك فيه للرد على الإمام، فقال له: «سل حاجتك».

قال الإمام (عليه السّلام): «خلّفت أهلى و عيالى مستوحشين لخروجى».

ص: ٩٣

قال هشام: أنس الله وحشتهم برجوعك إليهم، فلا تقم و سر من يومك»^{١٧٤}.

و هذه الرواية لم تشر الى ما جرى على الإمام من الاعتقال فى دمشق، و لكنها تشير الى خروج الإمام من المدينة فى حالة غير طبيعية بحيث استوحش أهله من خروجه.

الإمام الباقر (عليه السّلام) مع قسيس نصرانى

و التقى الإمام أبو جعفر (عليه السّلام) فى الشام مع قسيس من كبار علماء النصارى جرت بينهما مناظرة اعترف القسيس فيها بعجزه، و عدم استطاعته على محاجة الإمام و مناظرته.

قال أبو بصير: قال أبو جعفر (عليه السّلام): مررت بالشام، و أنا متوجه الى بعض خلفاء بنى امية فاذا قوم يمرون، قلت: أين تريدون؟ قالوا: الى عالم لم نر مثله، يخبرنا بمصلحة شأننا، قال (عليه السّلام): فتبعتهم حتى دخلوا بهوا عظيما فيه خلق

كثير، فلم ألبث أن خرج شيخ كبير متوكئ على رجلين، قد سقطت حاجباه على عينيه، و قد شدهما فلما استقرَّ به المجلس نظر إلى و قال : منا أنت أم من الامة المرحومة؟

قلت: من الامة المرحومة. فقال: أمن علمائها أو من جهّالها؟

قلت: لست من جهّالها. فقال: أنتم الذين تزعمون أنكم تذهبون الى الجنة فتأكلون و تشربون و لا تحدثون؟!!

قلت: نعم. فقال: هات على هذا برهاناً.

فقلت: نعم، الجنين يأكل فى بطن امه من طعامها، و يشرب من شرايها، و لا يحدث . فقال: ألت زعمت أنك لست من علمائها؟

(١) دلائل الإمامة: ١٠٤ - ١٠٦.

ص: ٩٤

قلت: لست من جهّالها. فقال: أخبرنى عن ساعة لست من النهار، و لا من الليل.

فقلت: هذه ساعة من طلوع الشمس، لا نعدّها من ليلنا، و لا من نهارنا و فيها تفيق المرضى.

و بهر القسيس، و راح يقول للإمام: ألت زعمت أنك لست من علمائها؟!

فقلت: إنما قلت: لست من جهّالها. فقال: و الله لأسألتك عن مسألة ترتطم فيها.

فقلت: هات ما عندك. فقال: أخبرنى عن رجلين ولدا فى ساعده واحدة، و ماتا فى ساعة واحدة؟ عاش أحدهما مائة و خمسين سنة، و عاش الآخر خمسين سنة؟

فقلت: ذاك عزيز و عزرة، ولدا فى يوم واحد، و لما بلغا مبلغ الرجال مرّ عزيز على حماره بقرية و هى خاوية على عروشها، فقال: أنى يحيى الله هذه بعد موتها، و كان الله قد اصطفاه و هداه، فلمّا قال ذلك غضب الله عليه و أماته مائة عام ثم بعثه، فقيل له: كم لبثت؟ قال: يوماً أو بعض يوم. و عاش الآخر مائة و خمسين عاماً، و قبضه الله و أخاه فى يوم واحد.

و صاح القسيس بأصحابه، و الله لا اكلمكم، و لا ترون لى وجهها اثنى عشر شهراً^{١٧٧}، حيث توهم أنهم تعمّدوا إدخال الإمام أبى جعفر (عليه السّلام) عليه لإفحامه و فضحه، فنهض الإمام أبو جعفر (عليه السّلام) و أخذت أنديّة الشام تتحدث عن وفور فضله، و عن قدراته العلمية.

^{١٧٧} (١) الدر النظيم: 190، دلائل الإمامة: 106.

محاولة اغتيال الإمام الباقر (عليه السلام)

وهنا أمر الطاغية بمغادرة الإمام أبي جعفر (عليه السلام) لمدينة دمشق خوفاً من أن يفتتن الناس به، و ينقلب الرأي العام ضد بني امية، ولكنه أو عز الى أسواق المدن و المحلات التجارية الواقعة في الطريق أن تغلق محلاتها بوجهه، و لا تبيع عليه أية بضاعة، و أراد بذلك هلاك الإمام (عليه السلام) و القضاء عليه.

و سارت قافلة الإمام (عليه السلام) و قد أضناها الجوع و العطش فاجتازت على بعض المدن فبادر أهلها الى إغلاق محلاتهم بوجه الإمام، و لما رأى الإمام ذلك صعد على جبل هناك، و رفع صوته قائلاً:

«يا أهل المدينة الظالم أهلها أنا بقية الله، يقول الله تعالى: **بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** * و ما أنا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ.

و ما أنهى الإمام هذه الكلمات حتى بادر شيخ من شيوخ المدينة فنادى أهل قريته قائلاً:

«يا قوم هذه و الله دعوة شيعب، و الله لئن لن تخرجوا الى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذن من فوقكم، و من تحت أرجلكم فصدقوني هذه المرة، و أطيعوني، و كذبوني فيما تستأنفون فاني ناصح لكم ...».

و فزع أهل القرية فاستجابوا لدعوة الشيخ الذي نصحهم، ففتحوا حوانيتهم و اشترى الإمام ما يريده من الم تاع^{١٧٨} و فسدت مكيدة الطاغية و ما دبره للإمام (عليه السلام) و قد انتهت إليه الأنباء بفشل مؤامراته . و لم يقف عند هذا الحد فقد أخذ يطلب له الغوائل حتى دسّ اليه السم القاتل، كما سنذكر ذلك فيما بعد.

أهم ملامح عصر الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

١- في الفترة الواقعة بين سنة (٩٥ هـ - ٩٧ هـ) و في بداية تصدّي الإمام محمد الباقر (عليه السلام) للامامة كان الحاكم الاموي: الوليد بن عبد الملك قد بدأ باتخاذ بعض الاساليب لا متصاص النعمة الشعبية التي خلقتها السياسة الارهابية التي انتهجها السفاك الأتيم الحجاج بن يوسف و بعض الولاة الآخرين^{١٧٩}.

^{١٧٨} (١) المناقب: ٤ / 690، بحار الأنوار: 11 / 75، راجع حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام): 2 / 40 - 66.
^{١٧٩} (١) المنتظم في تاريخ الأمم و الملوك: 3 / 7.

٢- تصدّعت الجبهة الداخلية للبيت الاموى المروانى، و دبّ الخلاف بين الوليد و أخيه سليمان، حيث أرّاد الوليد خلعه و مبايعه ابنه عبد العزيز، فأبى عليه سليمان، و لم يجبه للبيعة جميع الولاة باستثناء الحجاج و قتيبة بن مسلم و بعض الخواصّ من الناس، فعزم الوليد على السير إليه ليخلعه بالقوّة فمات قبل ذلك^{١٨٠}.

٣- و فى بداية حكومة سليمان بن عبد الملك انشغل سليمان بمتابعة ولاة الوليد و عزلهم عن مناصبهم^{١٨١} و حاول إصلاح بعض الاوضاع المتردّية تقربا إلى الناس، فأطلق المعتقلين و فكّ الأسرى^{١٨٢}.

٤- كانت الدولة محاطة بجملة من المخاطر من الدخل و الخارج^{١٨٣}.

فانشغل الحكّام و الولاة عن ملاحقة أو محاصرة الإمام الباقر (عليه السّلام) خوفا من

(١) المنتظم فى تاريخ الأمم و الملوك: ٣ / ٧.

(٢) المصدر السابق: ١٢ / ٧.

(٣) الكامل فى التاريخ: ١١ / ٥.

(٤) المنتظم: ١٣ / ٧.

(٥) الكامل فى التاريخ: ١٣ / ٥ و ما بعدها.

ص: ٩٧

قاعدته الشعبية العريضة و المتنامية فتصدى (عليه السّلام) للإمامة و قام بأداء دوره الاصلاحى و التغييرى فى أوساط الامة الاسلامية، بعيدا عن المواجهة السياسية العلنية للنظام القائم.

مظاهر الانحراف فى عصر الإمام الباقر (عليه السّلام):

إن إقصاء أهل البيت (عليهم السّلام) عن موقع القيادة و إمامة المسلمين أدّى الى الانحراف فى جميع مجالات الحياة، و ترك تأثيره السلبى على جميع مقومات الشخصية، فى الفكر و العاطفة و السلوك، فعمّ الانحراف الدولة و الامة معا، كما عمّ التصورات و المبادئ، و الموازين و القيم، و الأوضاع و التقاليد، و العلاقات و الممارسات العملية جميعا.

^{١٨٠} (٢) المصدر السابق: ١٢ / ٧.

^{١٨١} (٣) الكامل فى التاريخ: ١١ / ٥.

^{١٨٢} (٤) المنتظم: ١٣ / ٧.

^{١٨٣} (٥) الكامل فى التاريخ: ١٣ / ٥ و ما بعدها.

نعم تغلغل الانحراف في ميدان النفس، و ميدان الحياة الاجتماعية، و تحول الإسلام الى طقوس ميتة لا تمت الى الواقع بصلة، خلافا لأهداف الإسلام الذي جاء من أجل تقرير المنهج الإلهي في الحياة . فأنحسر عن الكثير من تلك المجالات ليصبح علاقة فردية بين الإنسان و خالقه فحسب .

أولاً: الانحراف الفكري و العقائدي

ازداد الانحراف في عهود الملوك المتعاقبين على الحكم، و كان للأفكار و العقائد نصيبها الأكبر من هذا الانحراف، و لم يكثر الحكام بهذا الانحراف بل شجعوا عليه؛ لأنه كان يخدم مصالح الحكم القائم، و يشغل المسلمين عن همومهم الأساسية و بخاصة التفكير في مجال تغيير الأوضاع و إعادتها الى ما كانت عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فكثرت في عهد الامويين الانحرافات الفكرية و العقائدية و تعددت

ص: ٩٨

و تعاظمت، و أصبح لها أتباع و أنصار، و تحولت الى تيارات و كيانات خالف الكثير منها الاسس الواضحة للعقيدة الإسلامية، و ابتدعوا ما لا يجوز من الامور المخالفة للقرآن الكريم و للسنة النبوية، فانتشرت أفكار الجبر و التفويض و الإرجاء، كما انتشرت أفكار التجسيم و تشبيه الله تعالى بخلقه، و كثرت الشبهات حول ثوابت العقيدة، و كثر الحديث حول ماهية الله تعالى و ذاته، و تنوعت تيارات الغلو، حتى زعم البعض حلول الذات الإلهية في قوم من الصالحين، و قالوا بالتناسخ، و انتشرت الزندقة، فجددوا البعث و النشور، و أسقطوا الثواب و العقاب و زوّرت الأحاديث و الروايات و اختلق كثير منها؛ لدعم تسلط الاموى، كما راج اختلاق الفضائل لصالح المنحرفين من الصحابة، و طرحت نظرية عدالة جميع من صحب رسول الله (صلى الله عليه و اله) أو رآه أو ولد في عهده، بينما منعوا - من جانب آخر - من نشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام).

و كان للحكام دور كبير في تشجيع هذا الانحراف المتمثل في اختلاق النصوص و قد وصف الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ذلك قائلاً: «إن مخالفتنا وضعوا أخباراً في فضائلنا و جعلوها على ثلاثة أقسام : أحدها: الغلو. و ثانيها: التقصير في أمرنا. و ثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا»^{١٨٤}.

و انتشرت ظاهرة الإفتاء بالرأى، و راج القياس في الأحكام و التفسير بالرأى لآيات القرآن المجيد، كما انتشرت أفكار التصوّف و الاعتزال عن الحياة، و فصل الدين عن السياسة.

و أشغل الحكام كثيرا من الناس بالجدل في المسائل العقلية التي لا فائدة فيها، و شجعوا على اقامة مجالس المناظرة و الجدل العقيم في ذات الله تعالى و في الملائكة، و في قدم القرآن أو حدوثة.

(١) عيون أخبار الرضا: ٣٠٤ / ١.

^{١٨٤} (١) عيون أخبار الرضا: 304 / 1.

و هكذا كان للحكّام دور كبير فى خلق المذاهب المنحرفة و التشجيع عليها، لا سيّما بعض المذاهب التى كانت تحمل شعار الانتساب الى أهل البيت (عليهم السّلام) كالكيسانية لغرض شق صفوف أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) الذين كانوا يستهدفون الواقع السياسى المنحرف.

ثانيا: الانحراف السياسى

اتّبع الحكّام الامويون سياسة من سبقهم فى تحويل الخلافة الى ملك يتوارثه الأبناء عن الآباء دون سابقة علم أو تقوى، و توزيع المناصب المهمّة و الحسّاسة فى الدولة على ابنائهم و اقربائهم و المتملقين لهم، و استبدوا بالأمر فلا شورى و لا استشارة إلّا مع المنحرفين و الفسّاق من بطانتهم. و لشعورهم بعدم الاحقيّ بالخلافة استمروا على نهج من سبقهم فى اتخاذ الارهاب و التنكيل وسيلة لتثبيت سلطانهم، فحينما وجد الوليد بن عبد الملك أنّ ولاية عمر بن عبد العزيز على مكّة و المدينة قد أصبحت ملجأً للهاربين من ظلم بقيّة الولاة، قام بعزله^{١٨٥} تنكيلا منه بالمعارضين و اربابهم و غلق م نافذ السلامة أمامهم.

و كان سليمان بن عبد الملك محاطا بثلة من الرجال الذين عرفوا بفسقهم و انحرافهم و سوء سيرتهم كما وصفهم أعرابىّ عنده، بعد أن أخذ منه الأمان، فقال له : يا أمير المؤمنين، انه قد تكتّفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، و ابتاعوا دنياهم بدينهم، و رضاك بسخط ربهم، خافوك فى الله، و لم يخافوا الله فيك، حرب للآخرة و سلم للدنيا، فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه، فإنهم لم يأتوا إلّا ما فيه تضييع و لامة خسف و عسف، و أنت مسؤول عما اجتمروا،

(١) الكامل فى التاريخ: ٤ / ٥٧٧.

ص: ١٠٠

و ليسوا مسؤولين عمّا اجترمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك^{١٨٦}.

و اتّبع ابناء عبد الملك الوليد و سليمان سيرة أبيهم، و التزموا بوصيته فى قتل الرافضين للبيعة، و التى جاء فيها : ادع الناس الى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا^{١٨٧}.

و أقرّ كثير من الفقهاء سياسة الحكّام الأمويين خوفا أو طمعا أو استسلاما للأمر الواقع، فقد أقرّوا ما ابتدعوا من ممارسات فى تولية الحكم كالعهد الى اثنين أو أكثر، فقد عهد سليمان بالحكم الى عمر بن عبد العزيز و من بعده ليزيد بن عبد الملك، فأقرّ كثير من الفقهاء ذلك، حتى أصبحت نظرية من نظريات تولّى الحكم^{١٨٨}.

^{١٨٥} (١) الكامل فى التاريخ ٤ / 577.

^{١٨٦} (١) الكامل فى التاريخ 3 / 178.

^{١٨٧} (٢) البداية و النهاية: 9 / 161.

^{١٨٨} (٣) الاحكام السلطانية: 13، الماوردي.

و حينما تولّى عمر بن عبد العزيز الحكم حدث انفراج نسبي في السياسة الاموية، كما لاحظنا، و قام ببعض الاصلاحات و منح الحرية النسبية للمعارضين، و ألغى بدعة سبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) و ردّ الى أهل البيت (عليهم السلام) بعض حقوقهم، و اعترف بالممارسات الخاطئة لأسلافه من الحكّام، حتى امتدحه الإمام الباقر (عليه السلام) على ذلك^{١٨٩}.

و لكن حكمه لم يدم طويلا؛ إذ عاد الوضع الى ما كان عليه.

و امتازت هذه المرحلة بسرعة تبدّل الحكّام، فقد حكم سليمان ثلاث سنين، و حكم عمر بن عبد العزيز ثلاث سنين أو أقل، و حكم يزيد بن عبد الملك أربع سنين، و كان كل حاكم ينشغل بالإجهاز على ولاء من سبقه، و كثرت الاختلافات في داخل البيت الاموي تنافسا على الحكم، كما كثرت

(١) الكامل في التاريخ: ٣ / ١٧٨.

(٢) البداية و النهاية: ٩ / ١٦١.

(٣) الاحكام السلطانية: ١٣، الماوردي.

(٤) الكامل في التاريخ: ٥ / ٦٢.

ص: ١٠١

الفتن الداخلية في عهدهم، حتى قام قتيبة بن مسلم بخلع سليمان و الاستقلال في خراسان^{١٩٠}.

و قام يزيد بن المهلب في سنة (١٠١ هـ) بخلع يزيد بن عبد الملك و جهّز اليه يزيد من قتله و قتل أتباعه.

و أحاط يزيد نفسه بالمتملّقين الذين يبررون له انحرافاته حتى افتوا له انه ليس على الخلفاء حساب^{١٩١}.

و هكذا كانت الامة الاسلامية محاطة بالمخاطر من كل جانب، ففي سنة (١٠٤ هـ) ظفر الخزر بالمسلمين و انتصروا عليهم في بعض الثغور.

و في عهد هشام بن عبد الملك ازداد الارهاب و التنكيل بأهل البيت (عليهم السلام) و أتباعهم و سائر المعارضين، حتى اجترأ هشام بن عبد الملك على سجن الإمام الباقر (عليه السلام) و أقدم على اغتياله^{١٩٢}. و أصدر أوامره بقتل بعض أتباع الإمام الباقر (عليه السلام) إلّا أنّ الإمام استطاع أن ينقذهم من القتل^{١٩٣}.

^{١٨٩} (٤) الكامل في التاريخ ٥ / 62.

^{١٩٠} (١) تاريخ ابن خلدون: ٥ / 151.

^{١٩١} (٢) البداية و النهاية: ٩ / 232.

^{١٩٢} (٣) مناقب آل أبي طالب: ٤ / 206.

^{١٩٣} (٤) بحار الانوار: 46 / 283.

والتجأ الكثير الى العمل السرى للإطاحة بالحكم الاموى، فكان العباسيون يعدّون العدّة و يبشّون دعائهم فى الاقاليم البعيدة عن مركز الحكومة و خصوصا فى خراسان، و أخذ زيد ابن الإمام زين العابدين (عليه السلام) يعدّ العدّة للثورة على الامويين فى وقتها المناسب، لأنّ الامويين كانوا قد أحصوا انفس الناس عليهم لكى لا يتطرقوا إلى انحرافاتهم السياسية أو يعلنوا عن معارضتهم لها.

(١) تاريخ ابن خلدون: ١٥١ / ٥.

(٢) البداية و النهاية: ٢٣٢ / ٩.

(٣) مناقب آل أبى طالب: ٢٠٦ / ٤.

(٤) بحار الانوار: ٢٨٣ / ٤٦.

ص: ١٠٢

ثالثا: الانحراف الاخلاقى

لقد حول الامويون الانظار الى الغزوات، و حشدوا جميع الطاقات البشرية و المادّية باتجاه الغزوات؛ و ذلك من أجل إشغال المسلمين عن التحدّث حول الاوضاع المنحرفة، و عن التفكير فى العمل السياسى أو التورى لاستبدال نظام الحكم بغيره، و لم يكن هدفهم نشر مفاهيم و قيم الإسلام كما يتصوّر البعض ذلك، لأنّهم كانوا قد خالفوا هذه المفاهيم و القيم فى سياستهم الداخلية، و داسوا كثيرا من المقدسات الاسلامية، و شجّعوا على الانحرافات الفكرية.

و أدّى توسّع عمليات الفتح و الغزو الى خلق الاضطرابات فى المجتمع الإسلامى و تشتيت الاسر بغياب المعيل أو فقدانه، كما كثرت الجوارى والغلمان ممّا أدّى الى التشجيع على الانحراف باقتناء الأثرياء للجوارى المغنّيات و تملك المخنثين، و انتقل الانحراف من البلاط الى الأمّة تبعا لانحراف الحكّام و فسقهم، فقد انشغلوا باللهو و الانسياق وراء الشهوات دون حدود أو قيود حتى كثر الغزل و التشبيب بالنساء فى عهد الوليد بن عبد الملك بشكل خاص^{١٩٤}.

و كانت همّة سليمان بن عبد الملك فى النساء، و انعكس ذلك على المجتمع حتى كان الرجل يلقي صاحبه فيقول له : كم تزوجت؟ و ماذا عندك من السرارى؟^{١٩٥}.

و قد وصف أبو حازم الاعرج الوضع الاجتماعى و الاخلاقى مجيبا سليمان بن عبد الملك على سؤاله : ما لنا نكره الموت؟ بقوله: لأنكم عمّرتم

(١) الاغانى: ٢١٩ / ٦.

^{١٩٤} (١) الاغانى: 219 / 6.
^{١٩٥} (٢) البداية و النهاية: 165 / 9.

(٢) البداية و النهاية: ١٦٥ / ٩.

ص: ١٠٣

دنياكم و أخرجتم آخرتكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب^{١٩٦}.

و كان سليمان يسابق بين المغنيين و يمنح السابقين الجوائز الثمينة^{١٩٧}، و يجرل العطاء للمغنيات . كما ازداد عدد المخنثين في عهده^{١٩٨}.

و أقبل يزيد بن عبد الملك على شرب الخمر و اللهو^{١٩٩}، و لم يتب من الشراب إلّا اسبوعا حتى عاد اليه بتأثير من جاريته حبّابة^{٢٠٠}.

و كان يقول: ما يقرّ عيني ما أوتيت من أمر الخلافة حتى اشترى سلامة و حبّابة فارسل من يشتريهما له^{٢٠١}.

و هكذا وصل الانحراف الى ذروته، حينما أصبح اللهو و المجون من اولى هموم حكام الدولة.

و ليس غريبا أن تنحرف الامة بانحراف حكامها و ولائهم و أجهزة الدولة، و بهذا الانحراف كانت تباعد الاغلبية من الناس عن الاهداف الكبرى التي حددها المنهج الاسلامي، و لا تكثر بالاحداث و المخاطر المحيطة بالوجود الاسلامي.

رابعاً: الانحراف في الميدان الاقتصادي

لقد تصرف الحكّام بالأموال العامة و كأنها ملك شخصي لهم، فكانوا ينفقونها حسب رغباتهم و اهوائهم، على ملذاتهم و شهواتهم و كان للجواري و المغنيين نصيب كبير في بيت المال، كما كانوا ينفقون الأموال لشراء الذمم

(١) مروج الذهب: ١٧٧ / ٣.

(٢) الاغانى: ٣١٧ / ١.

(٣) المصدر السابق: ٢٧٢ / ٤.

(٤) مروج الذهب: ١٩٦ / ٣.

(٥) الاغانى: ٢٩٥ / ١٥.

^{١٩٦} (١) مروج الذهب: 177 / 3.

^{١٩٧} (٢) الاغانى: 317 / 1.

^{١٩٨} (٣) المصدر السابق: 272 / 4.

^{١٩٩} (٤) مروج الذهب: 196 / 3.

^{٢٠٠} (٥) الاغانى: 295 / 15.

^{٢٠١} (٦) المصدر السابق: 346 / 8.

(٦) المصدر السابق: ٨ / ٣٤٦.

ص: ١٠٤

و الضمائر، و يمنحونها لمن يشترك فى تثبيت سلطانهم أو مدحهم و الثناء عليهم، فقد مدح النابغة الشيباني يزيد بن عبد الملك فأمر له بمائة ناقة، و كساه و أجزل صلته^{٢٠٢}.

فتنافس الشعراء فيما بينهم للحصول على مزيد من الأموال كما تنافس المغنون لنيل الهدايا من الحكام أو ولايتهم.

و كان الحكام يعيشون فى أعلى مراتب الترف و البذخ، و يبذرون أموال المسلمين على لهوهم و شهواتهم، و على المقربين لهم، فى وقت كان كثير من الناس يعيشون حياة الفقر و الجوع و الحرمان.

و ازداد التمييز الطبقي حينما عطل مبدأ التكافل الاجتماعى، و لم تكثر الدولة بمعاونة الناس و همومهم و لم تتدخل فى الحث على الانفاق.

و قد ضاعف الحكام من الضرائب، فاضافوا ضرائب جديدة على الصناعات و الحرف و خصوصا فى عهد هشام بن عبد الملك، الذى كان ينفق ما تجمع لديه على الشعراء المادحين له^{٢٠٣}.

و قد وصف سليمان بن عبد الملك حالات الترف و المجون التى و صلوا اليها قائلا : قد أكلنا الطيب، و لبسنا اللين، و ركبنا الفاره، و لم يبق لى لذة إلّا صديق أطرح معه فيما بينى و بينه مؤنّ التحفظ^{٢٠٤}.

و هكذا انساق الناس - و خصوصا - أتباع الامويين وراء شهواتهم و رغباتهم، و انشغل الكثير فى السعى للحصول على الأموال بأى وجه أمكن.

(١) الاغانى: ٧ / ١٠٩.

(٢) المصدر السابق: ١ / ٣٣٩.

(٣) مروج الذهب: ٣ / ٧٦.

ص: ١٠٥

الفصل الثالث دور الإمام محمد الباقر (عليه السلام) فى اصلاح الواقع الفاسد

^{٢٠٢} (١) الاغانى: ٧ / 109.

^{٢٠٣} (٢) المصدر السابق: 1 / 339.

^{٢٠٤} (٣) مروج الذهب: 3 / 76.

على الرغم من انحراف الحكّام و أجهزتهم الادارية و السياسية عن المبادئ الثابتة التي أرسى دعائمها القرآن الكريم و السنّة النبويّة؛ إلّا أنّ القاعدة الفكرية و التشريعية للدولة بقيت متبناة من قبل الحاكم و أجهزته في مظاهرها العامة، و على ضوء ذلك فإنّ دور الإمام (عليه السّلام) كان دورا اصلاحيا لإعادة الحاكم و أجهزته و إعادة الامّة إلى الاستقامة في العقيدة و الشريعة، و جعل الإسلام بمفاهيمه و قيمه هو الحاكم على الأفكار و العواطف و المواقف.

و كان اسلوب الإمام (عليه السّلام) الاصلاحى متفاوتا تبعا لتفاوت الظروف التي كانت تحيط به، و بالحكم القائم، و بالامّة المسلمة.

لقد كان الإمام (عليه السّلام) مقصد العلماء من كل بلاد العالم الاسلامى . و ما زار المدينة أحد إلّا عرّج على بيته يأخذ من فضائله و علومه، و كان يقصده كبار رجال الفقه الاسلامى: كسفيان الثورى، و سفيان بن عيينة، و أبى حنيفة.

و كان دوره (عليه السّلام) فى الاصلاح يتركّز على اتجاهين متزامنين:

الاتجاه الأول: التحرك فى أوساط الامّة و عموم الناس، بما فيهم المسلمون و أصحاب الديانات الاخرى، فضلا عن التحرك على الحكّام و أجهزتهم لإعادةتهم الى خطّ الاستقامة أو الحدّ من انحرافاتهم

ص: ١٠٦

و حصرها فى نطاق محدود.

الاتجاه الثانى: بناء الجماعة الصالحة لتقوم بدورها فى إصلاح الأوضاع العامة للامة و للدولة طبقا للاسس و القواعد الثابتة التي أرسى دعائمها أهل البيت (عليهم السّلام) بما ينسجم مع القرآن الكريم و السنّة النبوية الشريفة.

محاوّر الحركة الإصلاحية العامة للإمام الباقر (عليه السّلام)

أولاً: الاصلاح الفكرى و العقائدى

من الأزمات التي خلّفتها سيرة الحكّام السابقين هى أزمة ارتباك المفاهيم و ما رافقها من تقليد و سطحية فى الفكر، فلم تتجلّ حقيقة التصور الاسلامى عند الكثير من المسلمين لكثرة التيارات الهدامة و نشاطها فى تحريف المفاهيم السليمة و تزيف الحقائق، فكان دور الإمام (عليه السّلام) هو حمل النفوس على التمييز ما هو أصيل من العقيدة عمّا هو زيف، و على تحكيم الأفكار و المفاهيم الأصلية فى عالم الضمير و عالم السلوك على حد سواء، و الاستقامة على المنهج الذى يريده الله تعالى للإنسان.

و قد مارس الإمام (عليه السّلام) عدّة نشاطات لإصلاح الأفكار و العقائد، نشير الى أهمّها كما يلي:

١- الردّ على الافكار و العقائد الدّامة و المذاهب المنحرفة

وجد المنحرفون لأفكارهم و عقائدهم الهدامة أو ساطا تتقبلها و تروج لها - جهلا أو طمعا أو تأمرا على الإسلام الخالد - و في عهد الإمام الباقر (عليه السلام) نشطت حركة الغلاة بقيادة المغيرة بن سعيد العجلي.

روى على بن محمد النوفلي أن المغيرة استأذن على أبي جعفر (عليه السلام)

ص: ١٠٧

و قال له : أخبر الناس أنني أعلم الغيب، و أنا أطعمك العراق، فزجره الإمام (عليه السلام) زجرا شديدا و أسمعته ما كره فانصرف عنه، ثم أتى أبا هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية فقال له مثل ذلك، فوثب عليه، فضربه ضربا شديدا أشرف به على الموت، فلما برئ أتى الكوفة و كان مشعبا فدعا الناس الى آرائه و استغواهم فاتبعه خلق كثير^{٢٠٥}.

و استمر الإمام (عليه السلام) في محاصرة المغيرة و التحذير منه و كان يلعنه أمام الناس و يقول: «لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا»^{٢٠٦}.

و لعن (عليه السلام) بقية رؤساء الغلاة و منهم بنان الثبان، فقال : «لعن الله بنان الثبان، و ان بنانا لعنه الله كان يكذب على أبي»^{٢٠٧}.

و كان (عليه السلام) يحذر المسلمين و خصوصا أنصار أهل البيت (عليهم السلام) من افكار الغلو، و يرشدهم الى الاعتقاد السليم، بقوله :

«لا تضعوا عليا دون ما وضعه الله، و لا ترفعوه فوق ما رفعه الله»^{٢٠٨}.

و كان (عليه السلام) يخاطب أنصاره قائلا: «يا معشر الشيعة شيعة آل محمد كونوا النمرقة الوسطى : يرجع اليكم الغالي، و يلحق بكم التالي»^{٢٠٩}.

و حذر (عليه السلام) من المرجئة و لعنهم حين قل: «اللهم العن المرجئة فإنهم أعداؤنا في الدنيا و الآخرة»^{٢١٠}.

و كان (عليه السلام) يحذر من افكار المفوضة و المجبرة. و من اقواله في ذلك: «إياك

(١) شرح نهج البلاغة: ٨ / ١٢١.

(٢) بحار الانوار: ٢٥ / ٢٩٧.

^{٢٠٥} (١) شرح نهج البلاغة: ٨ / 121.

^{٢٠٦} (٢) بحار الانوار: 25 / 297.

^{٢٠٧} (٣) المصدر السابق: 25 / 297.

^{٢٠٨} (٤) المصدر السابق: 25 / 283.

^{٢٠٩} (٥) المصدر السابق: 67 : 101.

^{٢١٠} (٦) المصدر السابق: 46 / 291.

(٣) المصدر السابق: ٢٥ / ٢٩٧.

(٤) المصدر السابق: ٢٥ / ٢٨٣.

(٥) المصدر السابق: ٦٧: ١٠١.

(٦) المصدر السابق: ٤٦ / ٢٩١.

ص: ١٠٨

أَنْ تَقُولَ بِالتَّفْوِيزِ! فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَفُوضِ الْأَمْرَ إِلَى خَلْقِهِ وَهَذَا وَهَذَا، وَلا أَجْبِرُهُمْ عَلَى مَعَاصِيهِ ظُلْمًا»^{٢١١}.

و في عرض هذا الردّ القاطع الصريح كان الإمام (عليه السّلام) يبيّن الافكار السليمة حول التوحيد لكي تتعرف الامة على عقيدتها السليمة.

و كان ممّا ركّز عليه الإمام (عليه السّلام) في هذا المجال بيان مقومات التوحيد و نفى التشبيه و التجسيم لله تعالى.

قال (عليه السّلام): «يا ذا الذي كان قبل كل شيء، ثم خلق كل شيء، ثم يبقى و يفنى كل شيء، و يا ذا الذي ليس في السموات العلى و لا في الارضين السفلى، و لا فوقهنّ، و لا بينهما و لا تحتهنّ إله يعبد غيره»^{٢١٢}.

و في جوابه (عليه السّلام) للسائلين عن جواز القول بأنّ الله موجود، قال: «نعم، تخرجه من الحدّين: حدّ الابطال، و حدّ التشبيه»^{٢١٣}.

و قال (عليه السّلام): «ان ربّي تبارك و تعالى كان لم يزل حيّا بلا كيف، و لم يكن له كان، و لا كان لكونه كيف، و لا كان له أين، و لا كان في شيء، و لا كان على شيء و لا ابتدع له مكانا»^{٢١٤}.

كما ركّز الإمام الباقر (عليه السّلام) على العبوديّة الخالصة لله و نهى عن الممارسات التي تتضمّن الشرك بالله تعالى.

قال (عليه السّلام): «لو أنّ عبدا عملا يطلب به وجه الله عزّ جلّ و الدار الآخرة، فأدخل فيه رضى أحد من الناس كان مشركا»^{٢١٥}.

(١) بحار الانوار: ٥ / ٢٩٨.

(٢) المصدر السابق: ٣ / ٢٨٥.

^{٢١١} (١) بحار الانوار: ٥ / 298.

^{٢١٢} (٢) المصدر السابق: ٣ / 285.

^{٢١٣} (٣) المصدر السابق: ٣ / 265.

^{٢١٤} (٤) المصدر السابق: ٣ / 326.

^{٢١٥} (٥) المصدر السابق: 69 / 297.

(٣) المصدر السابق: ٢٦٥ / ٣.

(٤) المصدر السابق: ٣٢٦ / ٣.

(٥) المصدر السابق: ٢٩٧ / ٦٩.

ص: ١٠٩

كما دعا الى الانقطاع الكامل لله تعالى بقوله: «لا يكون العبد عابدا لله حق عبادته؛ حتى ينقطع عن الخلق كله اليه»^{٢١٦}.

ونهى الإمام (عليه السلام) عن التكلم فى ذات الله تعالى، وذلك لأن الإنسان المحدود لا يحيط بغير المحدود فلا ينفعه البحث عن الذات اللامحدودة إلا بعدا، ومن هنا كان التكلم عن ذاته تعالى عبثا لا جدوى وراءه، فنهى (عليه السلام) عن ذلك، وحذر منه بقوله: «ان الناس لا يزال لهم المنطق، حتى يتكلموا فى الله، فاذا سمعتم ذلك فقولوا: لا اله إلا الله الواحد الذى ليس كمثله شئ»^{٢١٧}.

و مما ركز عليه الإمام الباقر (عليه السلام) الردع من اتباع المذاهب المنحرفة و الأفكار الهدامة هو بيان عاقبة أهل الشبهات و الأهواء و البدع، و استهدف الإمام (عليه السلام) من التركيز على عاقبة المنحرفين فكريا و عقائديا إبعاد المسلمين عن التأثير بهم، و إزالة حالة الانس و الالفه بينهم و بين الأفكار و العقائد المنحرفة.

قال (عليه السلام) فى تفسير قوله تعالى: **هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** : هم النصارى و القسيسون و الرهبان و أهل الشبهات و الأهواء من أهل القبلة و الحرورية و أهل البدع^{٢١٨}.

٢- الحوار مع المذاهب و الرموز المنحرفة

يعتبر الحوار احدى الوسائل التى تقع فى طريق اصلاح الناس، حيث تزعزع المناظرة الهادفة و الحوار السليم الأفكار و المفاهيم المنحرفة.

(١) بحار الأنوار: ٢١١ / ٦٧.

(٢) المصدر السابق: ٢٦٤ / ٣.

(٣) المصدر السابق: ٢٩٨ / ٢.

ص: ١١٠

^{٢١٦} (١) بحار الأنوار: 211 / 67.

^{٢١٧} (٢) المصدر السابق: 264 / 3.

^{٢١٨} (٣) المصدر السابق: 298 / 2.

من هنا قام الإمام (عليه السلام) بمحاورة بعض رؤوس المخالفين، لتأثيرهم الكبير على أتباعهم لو صلحوا و استقاموا على الحق. و إليك بعض مناظراته:

مع علماء النصارى: حينما أخرج هشام بن عبد الملك الإمام (عليه السلام) من المدينة الى الشام كان (عليه السلام) يجلس مع أهل الشام في مجالسهم، فبينما هو جالس و عنده جماعة من الناس يسألونه، اذ نظر الى النصارى يدخلون في جبل هناك، فسأل عن حالهم، فأخبر انهم يأتون عالما لهم في كل سنة في هذا اليوم يسألون عما يريدون و عما يكون في عامهم، و قد أدرك هذا العالم أصحاب الحواريين من اصحاب عيسى (عليه السلام)، فقال الإمام (عليه السلام): فهل نذهب إليه؟ فذهب (عليه السلام) الى مكانهم، فقال له النصراني: أسألك أو تسألني؟ قال (عليه السلام): تسألني، فسأله عن مسائل عديدة حول الوقت، و حول أهل الجنة، و حول عزرة وعزير، فأجابه (عليه السلام) عن كل مسألة.

فقال النصراني: يا معشر النصارى ما رأيتم أحدا قط أعلم من هذا الرجل لا تسألوني عن حرف و هذا بالشام ردوني فردوه الى كهفه، و رجع النصارى مع الإمام (عليه السلام).

و في رواية: أنه أسلم و أسلم معه أصحابه على يد الإمام (عليه السلام)^{٢١٩}.

مع هشام بن عبد الملك : ناظره هشام بن عبد الملك في مسائل متنوعة تتعلق بمقامات أهل البيت (عليهم السلام) و ميراثهم لعلم رسول الله (صلى الله عليه و اله) و ادعاء الإمام على (عليه السلام) علم الغيب، فأجابه الإمام (عليه السلام) عن مسأله المتنوعة و ناظره في اثبات مقامات أهل البيت (عليهم السلام) مستشهدا بالآيات القرآنية و الاحاديث

(١) بحار الانوار: ٤٦ / ٣١٣ - ٣١٥.

ص: ١١١

الشريفة، فلم يستطع هشام ان يرد عليه، و ناظره في مواضع اخرى، فقال له هشام : (اعطني عهد الله و ميثاقه ألا ترفع هذا الحديث الى أحد ما حييت)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): فأعطاه أبي من ذلك ما أرضاه^{٢٢٠}.

و قد ذكرنا تفصيل المناظرتين في بحث سابق فراجع^{٢٢١}.

مع الحسن البصري: قال له الحسن البصري: جئت لأسألك عن أشياء من كتاب الله تعالى.

و بعد حوار قصير قال له (عليه السلام): بلغني عنك أمر فما أدري أكذاك أنت؟ أم يكذب عليك؟ قال الحسن: ما هو؟

قال (عليه السلام): زعموا أنك تقول: إن الله خلق العباد ففوض اليهم امورهم.

^{٢١٩} (١) بحار الانوار: 46 / 313 - 315.

^{٢٢٠} (١) بحار الانوار: 46 / 308، 316.

^{٢٢١} (٢) راجع مبحث ملامح و أبعاد هامة في عصر الإمام الباقر (عليه السلام).

فسكت الحسن ... ثم وضح له الإمام (عليه السلام) بطلان القول بالتفويض و حذره قائلا: و إياك أن تقول بالتفويض، فإن الله عز و جل لم يفوض الأمر إلى خلقه، و هنا منه و ضعفا، و لا أجبرهم على معاصيه ظلما^{٢٢٢}.

و له (عليه السلام) مناظرات مع محمد بن المنكدر - من مشاهير زهاد ذلك العصر - و مع نافع بن الأزرق أحد رؤساء الخوارج، و مع عبد الله بن معمر الليثي، و مع قتادة بن دعامة البصري^{٢٢٣} و احتجاجات لا يتحمل شرحها هذا المختصر.

(١) بحار الأنوار: ٣٠٨ / ٤٦، ٣١٦.

(٢) راجع مبحث ملامح و أبعاد هامة في عصر الإمام الباقر (عليه السلام).

(٣) الاحتجاج: ١٨٤ / ٢.

(٤) أعيان الشيعة: ١ / ٤٥٣.

ص: ١١٢

٣- إدانة فقهاء البلاط

جاء قتادة بن دعامة البصري الى الإمام (عليه السلام) و قد هيا له أربعين مسألة ليمتحنه بها، فقال له (عليه السلام): أنت فقيه أهل البصرة؟ قال قتادة: نعم، فقال (عليه السلام):

«ويحك يا قتادة ان الله عز و جل خلق خلقا، فجعلهم حججا على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه»، فسكت قتادة طويلا، ثم قال:

أصلحك الله، و الله لقد جلست بين يدي الفقهاء، و قدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام أحد منهم ما اضطرب قدّامك^{٢٢٤}.

و أدان الإمام الباقر (عليه السلام) أبا حنيفة لقوله بالقياس، و علّق الاستاذ محمد أبو زهرة على هذه الإدانة قائلا: تتبين إمامة الباقر للعلماء، يحاسبهم على ما يبدو منهم، و كأنه الرئيس يحاكم رؤوسيه ليحملهم على الجادة، و هم يقبلون طائعين تلك الرئاسة^{٢٢٥}.

٤- الدعوة الى أخذ الفكر من مصادره النقيّة

^{٢٢٢} (٣) الاحتجاج: 184 / 2.
^{٢٢٣} (٤) أعيان الشيعة: 1 / 653.
^{٢٢٤} (١) بحار الأنوار: 46 / 357.
^{٢٢٥} (٢) تاريخ المذاهب الاسلامية: 689.

لقد حذر الإمام (عليه السلام) الناس من الوقوع في شرك الافكار والآراء والعقائد المنحرفة، و حذر من البدع و جعلها أحد مصاديق الشرك فقال:

«أدنى الشرك أن يبتدع الرجل رأياً فيحبّ عليه و يبغض»^{٢٢٦}.

كما حذر من الإفتاء بالرأى فقال : «من أفتى الناس بغير علم و لا هوى من الله لعنته ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب، و لحقه وزر من عمل بفتاه»^{٢٢٧}.

(١) بحار الأنوار: ٣٥٧ / ٤٦.

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية: ٦٨٩.

(٣) المحاسن: ٢٠٧.

(٤) المصدر السابق: ٢٠٥.

ص: ١١٣

و من هنا كان يدعو الناس الى اخذ العلم و الفكر من منابعه النقية و هم أهل البيت المعصومون من كل زيغ و انحراف. قال (عليه السلام) لسلمة بن كهيل و للحكم بن عتيبة: «شرقاً و غرباً فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا»^{٢٢٨}.

و كان يحذر من مجالسة أصحاب الخصومات و يقول : «لا تجالسوا أصحاب الخصومات، فإنهم يخوضون في آيات الله»^{٢٢٩}.

كما كان يشجع على ذكر مقامات أهل البيت (عليهم السلام) و فضائلهم فإنها من أسباب نشر الحق و الفضيلة، فعن سعد الاسكاف، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام):

انى اجلس فأقصّ، و اذكر حقكم و فضلکم. فقال (عليه السلام): «وددت انّ على كل ثلاثين ذراعاً قاصّاً مثلك»^{٢٣٠}.

٥- نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام)

لقد فتح الإمام (عليه السلام) أبواب مدرسته العلمية لعامة أبناء الامة الإسلامية، حتى وفد اليها طلاب العلم من مختلف البقاع الإسلامية، و أخذ عنه العلم عدد كبير من المسلمين بشتى اتجاهاتهم و ميولهم، منهم : عطاء بن أبي رباح، و عمرو بن دينار، و الزهرى، و ربيعة الرأى، و ابن جريج، و الاوزاعى، و بسام الصيرفى^{٢٣١}، و أبو حنيفة و غيرهم^{٢٣٢}.

^{٢٢٦} (٣) المحاسن: 207.

^{٢٢٧} (٤) المصدر السابق: 205.

^{٢٢٨} (١) الكافي: 1 / 399.

^{٢٢٩} (٢) كشف الغنة: 2 / 120.

^{٢٣٠} (٣) رجال الكشي: 215.

و في ذلك قال عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علما

(١) الكافي: ٣٩٩ / ١.

(٢) كشف الغمّة: ١٢٠ / ٢.

(٣) رجال الكشي: ٢١٥.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٤٠١ / ٤.

(٥) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٣٦١.

ص: ١١٤

منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم^{٢٣٣}.

و كانت أحاديثه مسنده عن آباءه عن رسول الله (صلى الله عليه و اله)، كما كان يرسل الحديث و لا يسنده. و حينما سئل عن ذلك، قال: إذا حدثت بالحديث فلم اسنده، فسندي فيه أبي زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن جبرئيل عن الله عزّ و جل^{٢٣٤}.

ثانيا: تأسيس المدرسة الفقهية النموذجية^{٢٣٥}

لقد جهد الإمام الباقر و ولده الصادق (عليهما السلام) على نشر الفقه الاسلامي و تبني نشره بصورة إيجابية في وقت كان المجتمع الاسلامي غارقا في الأحداث و الاضطرابات السياسية، حيث أهملت الحكومات في تلك العصور الشؤون الدينية إهمالا تاما، حتى لم تعد الشعوب الاسلامية تفقه من أمور دينها القليل و لا الكثير، يقول الدكت و ر علي حسن: «و قد أدى تتبعنا للنصوص التاريخية إلى امثلة كثيرة تدل على هذه الظاهرة - أى اهمال الشؤون الدينية - التي كانت تسود القرن الأول سواء لدى الحكام أو العلماء أو الشعب، و نعى بها عدم المعرفة بشؤون الدين، و التأرجح و عدم الجزم و القطع فيها حتى في العبادات، فمن ذلك ما روى أن ابن عباس خطب في آخر شهر رمضان على منبر البصرة فقال: اخرجوا صدقة صومكم فكان الناس لم يعلموا، فقال: من ها هنا من أهل المدينة؟ قوموا إلى إخوانكم فعلموهم، فإنهم لا يعلمون فرض رسول الله (صلى الله عليه و اله)^{٢٣٦}.

(١) مختصر تاريخ دمشق: ٧٩ / ٢٣.

٢٣١ (٤) سير أعلام النبلاء: 401 / 4.

٢٣٢ (٥) تاريخ المذاهب الإسلامية: 361.

٢٣٣ (١) مختصر تاريخ دمشق: 79 / 23.

٢٣٤ (٢) اعلام الوری: 294.

٢٣٥ (٣) راجع حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، باقر شريف القرشي 1/ 215 - 226.

٢٣٦ (٤) الاحكام في أصول الاحكام لابن حزم 2 / 131.

(٢) اعلام الوری: ٢٩٤.

(٣) راجع حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، باقر شريف القرشي ١/ ٢١٥ - ٢٢٦.

(٤) الاحكام في أصول الاحكام لابن حزم: ٢ / ١٣١.

ص: ١١٥

فأهل البلاد الاسلامية لم يعرفوا شؤون دينهم معرفة كافية، و قد كان يوجد في بلاد الشام من لا يعرف عدد الصلوات المفروضة، حتى راحوا يسألون الصحابة عن ذلك^{٢٣٧}.

إن الدور المشرق الذي قام به الإمام الباقر و الصادق (عليهما السلام) في نشر الفقه و بيان أحكام شريعة الله كان من اعظم الخدمات التي قدّمها للعالم الاسلامي.

و سعى إلى الأخذ من علومها أبناء الصحابة و التابعون، و رؤساء المذاهب الاسلامية كأبي حنيفة و مالك و غيرهما، و تخرج على يد الإمام أبي جعفر (عليه السلام) جمهرة كبيرة من الفقهاء كزرارة بن اعين، و محمد بن مسلم و ابان ابن تغلب، و إليهم يرجع الفضل في تدوين أحاديث الإمام (عليه السلام) و قد أصبحوا من مراجع الفتيا بين المسلمين، و بذلك أعاد الإمام أبو جعفر (عليه السلام) للإسلام نضارته و حافظ على ثرواته الدينية من الضياع و الضمور.

و من الجدير بالذكر أن الشيعة هم أول من سبق إلى تدوين الفقه . فقد قال مصطفى عبد الرزاق : «و من الم عقول أن يكون النزوع إلى تدوين الفقه كان أسرع إلى الشيعة لأن اعتقادهم العصمة في أئمتهم أو ما يشبه العصمة كان حريا إلى تدوين أقضيتهم و فتاواهم»^{٢٣٨}.

و بذلك فقد ساهمت الشيعة في بناء الصرح الاسلامي، و حافظت على أهم ثرواته ... و لا بد لنا من وقفة قصيرة للنظر في فقه أهل البيت (عليهم السلام) الذي هو مستمد من الرسول الاعظم (صلى الله عليه و اله).

(١) سنن النسائي: ١ / ٤٢.

(٢) تمهيد لتأريخ الفلسفة الاسلامية: ص ٢٠٢.

ص: ١١٦

مميزات مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الفقهيّة

^{٢٣٧} (١) سنن النسائي: ١ / ٤٢.
^{٢٣٨} (٢) تمهيد لتأريخ الفلسفة الاسلامية: ص ٢٠٢.

١- الاتصال بالنبي (صلى الله عليه و اله): و الشيء المهم فى فقه أهل البيت (عليهم السلام) هو أنه يتصل اتصالا مباشرا بالنبي (صلى الله عليه و اله) فطريقه إليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و جعلهم النبي (صلى الله عليه و اله) سفن النجاة، و أمن العباد، و عدلاء الذكر الحكيم حسبا تواترت الاخبار بذلك.

قال (عليه السلام): «لو إننا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من قبلنا، و لكننا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه (صلى الله عليه و اله) فبينها لنا»^{٢٣٩}.

٢- المرونة: إن فقه أهل البيت يساير الحياة، و يواكب التطور، و لا يشذ عن الفطرة و يتمشى مع جميع متطلبات الحياة، فليس فيه - و الحمد لله - حرج و لا ضيق، و لا ضرر، و لا إضرار، و إنما فيه الصالح العام، و التوازن فى جميع مناحى تشريعاته، و قد نال اعجاب جميع رجال القانون، و اعترفوا بأنه من أثرى ما قنن فى عالم التشريع عمقا و أصالة و إبداعا.

٣- فتح باب الاجتهاد: إن من أهم ما تميز به فقه أهل البيت (عليهم السلام) هو فتح باب الاجتهاد، فقد دل ذلك على حيوية فقه أهل البيت، و تفاعله مع الحياة و استمراره فى العطاء لجميع شؤون الانسان، و إنه لا يقف مكتوفا أما م الاحداث المستجدة التى يبتلى بها الناس خصوصا فى هذا العصر الذى برزت فيه كثير من الأحداث و استحدثت فيه كثير من الموضوعات، و قد أدرك كبار علماء المسلمين من الأزهر مدى الحاجة الملحة إلى فتح باب الاجتهاد، و متابعة الشيعة الإمامية فى هذه الناحية.

(١) اعلام الورى: ٢٧٠.

ص: ١١٧

قال السيد رشيد رضا: «و لا نعرف فى ترك الاجتهاد منفعة ما، و أمّا مضارّه فكثيرة، و كلها ترجع إلى إهمال العقل، و قطع طريق العلم، و الحرمان من استغلال الفكر، و قد أهمل المسلمون كل علم بترك الاجتهاد، فصاروا إلى ما نرى»^{٢٤٠}.

٤- الرجوع الى حكم العقل: انفرد فقهاء الامامية عن بقية المذاهب الاسلامية فجعلوا العقل واحدا من المصادر الأربعة لاستنباط الاحكام الشرعية، و قد أضفوا عليه أسمى ألوان التقديس فاعتبروه رسول الله الباطنى، و إنه مما يعبد به الرحمن، و يكتسب به الجنان. و من الطبيعى ان الرجوع إلى حكم العقل إنما يجوز إذا لم يكن فى المسألة نص خاص أو عام و إلا فهو حاكم عليه، و إن للعقل مسرعا كبيرا فى علم الاصول الذى يتوقف عليه الاجتهاد.

ثالثا: الاصلاح السياسى

استثمر الإمام (عليه السلام) بعض ظروف الانفراج السياسى النسبى من أجل بناء و توسعة القاعدة الشعبية، و تسليحها بالفكر السياسى السليم المنسجم مع رؤية أهل البيت (عليهم السلام)، و تعبئة الطاقات لاتخاذ الموقف المناسب فى الوقت المناسب، و لهذا لم تتطرق أى ثورة علوية فى عهده، لعدم اكتمال شروطها من حيث العدد و العدد.

^{٢٣٩} (١) اعلام الورى: 270.

^{٢٤٠} (١) الوحدة الاسلامية: 99.

وكان الإمام (عليه السلام) يقدم للامة المفاهيم و الافكار السياسية الأساسية مع الحيطة و الحذر؛ و كانت له مواقف سياسية صريحة من بعض الحكام لإعادتهم الى جادة الصواب.

و قد تجلّى دوره الاصلاحى فى الممارسات التالية:

(١) الوحدة الاسلامية: ٩٩.

ص: ١١٨

١- الدعوة الى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر يحرّران الانسان و المجتمع من الوان الانحراف فى الفكر و العاطفة و السلوك، و يحوّلان المفاهيم و القيم الاسلامية الثابتة الى ممارسات سلوكية واضحة المعالم، تترجم فيها الآراء و النصوص الى مشاعر و عواطف و أعمال و حركات و علاقات متجسدة فى الواقع لكى تكون الامة و الدولة بمستوى المسؤولية فى الحياة، و المسؤولية هى حمل الأمانة الإلهية و خلافة الله تعالى فى الأرض.

و من هنا جاءت تأكيدات الإمام (عليه السلام) على هذه الفريضة التى جعلها شاملة لجميع مرافق الحياة الانسانية حيث قال: «ان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر سبيل الأنبياء و منهاج الصالحين، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، و تأمن المذاهب، و تحلّ المكاسب، و تردّ المظالم و تعمّر الأرض، و ينتصف من الاعداء و يستقيم الأمر، فأذكروا بقلوبكم، و فظّوا بألسنتكم، و صكّوا بها جباههم، و لا تخافوا فى الله لومة لائم...»^{٢٤١}.

و حذر (عليه السلام) من مغبة التخلّى عن المسؤولية، و مDAHنة المنحرفين حكّاما كانوا أم من سائر أفراد الأمة فقال : «أوحى الله تعالى الى شعيب النبی (عليه السلام) إرّى لمعذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفا من شرارهم، و ستين ألفا من خيارهم، فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟

فأوحى الله عز و جلّ إليه: إنهم داهنوا أهل المعاصى، و لم يغضبوا لغضبي»^{٢٤٢}.

و حث (عليه السلام) على هذه المسؤولية و بيّن آثار التخلّى عنها فقال: «الأمر

(١) تهذيب الاحكام: ١٨٠ / ٦.

(٢) المصدر السابق: ١٨١ / ٦.

ص: ١١٩

^{٢٤١} (١) تهذيب الاحكام: ١٨٠ / ٦.

^{٢٤٢} (٢) المصدر السابق: ١٨١ / ٦.

بالمعروف و النهى عن المنكر خلقان من خلق الله عزّ وجلّ، فمن نصرهما أعزّه الله، و من خذلهما خذله الله عزّ و
جل»^{٢٤٣}.

٢- نشر المفاهيم السياسية السليمة

وجّه الإمام (عليه السّلام) الأنظار الى دور أهل البيت (عليهم السّلام) فى قيادة الامة، و توجيهها نحو الاستقامة و الرشاد فقال: «نحن ولاء أمر الله و خزائن علم الله، و ورثة وحي الله، و حملة كتاب الله، طاعتنا فريضة، و حبنا إيمان، و بغضنا كفر، محبّنا فى الجرة، و مبغضنا فى النار»^{٢٤٤}.

و حذر الامة من الابتعاد عن نهج أهل البيت (عليهم السّلام) فقال (عليه السّلام): «برئ الله ممن يبرأ منا، لعن الله من لعنا، أهلك الله من عادانا»^{٢٤٥}.

و حتّ (عليه السّلام) على نصرتهم فقال : «من أعاننا بلسانه على عدوّنا أنطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عزّ و
جل»^{٢٤٦}.

و وضّح (عليه السّلام) حدود الموالاة لهم، و بيّن المعيار لمعرفة الموالاة و الموالين فى حالة التباس المفاهيم و اختلاط المعايير، فقال: «أمّا محبتنا، فيخلص الحبّ لنا كما يخلص الذهب بالنّار لا كدر فيه، من أراد أن يعلم حبّنا ، فليمتحن قلبه فإن شاركه فى حبّنا حبّ عدوّنا، فليس منّا و لسنا منه»^{٢٤٧}.

و أكّد على أنّ طرق تولّى الإمام لمنصب الامامة منحصرة بالنصّ و الوصية، و لا عبرة بما هو الشائع من البيعة و العهد و الغلبة، و مما جاء فى ذلك قوله (عليه السّلام): «كل من دان الله عزّ و جلّ بعبادة يجهد فيها نفسه و لا إمام له من الله فسعيه غير

(١) الخصال: ١ / ٤٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٢٢٣.

(٣) بحار الانوار: ٢٧ / ٢٢٢.

(٤) المصدر السابق: ٢ / ١٣٥.

(٥) المصدر السابق: ٢٧ / ٥١.

^{٢٤٣} (١) الخصال: 1 / 42.
^{٢٤٤} (٢) مناقب آل أبي طالب: 4 / 223.
^{٢٤٥} (٣) بحار الانوار: 27 / 222.
^{٢٤٦} (٤) المصدر السابق: 2 / 135.
^{٢٤٧} (٥) المصدر السابق: 27 / 51.

مقبول، و هو ضالّ متحيّر، و الله شائنٍ لأعماله...»^{٢٤٨}.

و بيّن مواصفات الإمام لكي تتمكن الامّة من التمييز و التشخيص في خضم الاحداث التي حرّفت فيها المفاهيم و زوّرت فيها الحقائق فقال (عليه السّلام):

«ان الإمامة لا تصلح إلّا لرجل فيه ثلاث خصال : ورع يحجزه عن المحارم، و حلم يملك به غضبه، و حسن الخلافة على من ولي، حتى يكون له كالوالد الرحيم»^{٢٤٩}.

و رسم قاعدة كلية في أساسيات حقوق و واجبات الإمام تجاه الامّة، لكي تدرك الامّة مدى قرب و بعد الحكّام عن أداء مسؤوليتهم، فقال (عليه السّلام):

«حقّه عليهم أن يسمعوا و يطيعوا ... و حقهم عليه: يقسم بينهم بالسوية و يعدل في الرعيّة»^{٢٥٠}.

و في خضم الاحداث الصاخبة و ما طرأ من تشويه و تدليس في الحقائق، بيّن (عليه السّلام) المفهوم الحقيقي للتشيع، لكي لا يعطى مبرراً للحكّام الامويين لتشويه سمعة أنصار أهل البيت (عليهم السّلام) في المحافل المختلفة، و استغلال بعض السلبات للطعن في مفاهيم الولاء و التولي، فقال (عليه السّلام): «فو الله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله و أطاعه، و ما كانوا يعرفون إلّا بالتواضع، و التخشع، و الامانة، و كثرة ذكر الله، و الصوم، و الصلاة، و البر بالوالدين، و التعاهد للجيران من الفقراء و أهل المسكنة، و الغارمين، و الأيتام، و صدق الحديث و تلاوة القرآن، و كفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، و كانوا امناء عشائريهم في الأشياء»^{٢٥١}.

و التشيع ليس ادعاء بل هو ممارسة عملية محسوسة في الواقع، و الشيعة هو مثال التدين و الاخلاص و الطاعة لله تعالى.

و لم يكتف الإمام البقر (عليه السّلام) ببيان المظاهر الخارجية لمن ينتسب

(١) الكافي: ١ / ١٨٤.

(٢) الخصال: ١ / ١١٦.

(٣) بحار الانوار: ٢٧ / ٢٤٤.

(٤) الكافي: ٢ / ٧٤.

^{٢٤٨} (١) الكافي: ١ / 184.

^{٢٤٩} (٢) الخصال: ١ / 116.

^{٢٥٠} (٣) بحار الانوار: 27 / 244.

^{٢٥١} (٤) الكافي: 2 / 74.

لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) و إنما تعدّي ذلك الى مجموعة من المعالم الفريدة لشيعةهم، فقال (عليه السلام): «أنما شيعة على (عليه السلام) الشاحبون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيرة ألوانهم، مصفرة وجوههم، إذا جنّهم الليل اتخذوا الأرض فراشا، و استقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاءهم، يفرح الناس و هم محزونون»^{٢٥٢}.

٣- فضح الواقع الاموى

كشف الإمام (عليه السلام) حقيقة الحكم الاموى و كيفية وصوله الى الحكم، و ما مارسه من أعمال لإدامة السيطرة على رقاب المسلمين، و وضّح الجرائم التى ارتكبتها سلف هؤلاء الحكّام فى حق أهل البيت (عليهم السلام) و أنصارهم، فبعد أن بيّن ملايسات الخلافة، و كيفية الاستحواذ عليها و إقصاء أهل البيت (عليهم السلام) عن موقعهم فيها، قال: «... و كان عظم ذلك و كبره زمن معاوية بعد موت الحسن (عليه السلام) فقتلت شيعةنا بكل بلدة، و قطعت الأيدي و الأرجل على الظنّة، و كان من يذكر بحبنا و الانقطاع الينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد و يزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (عليه السلام) ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلّة، و أخذهم بكل ظنّ و تهمة، حتى أن الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبّ اليه من أن يقال: شيعة علىّ، و حتى صار الرجل الذى يذكر بالخير - و لعلّه يكون و رعا صدوقا - يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، و لم يخلق الله تعالى شيئا منها، و لا كانت و لا وقعت و هو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب، و لا بقلّة ورع»^{٢٥٣}.

(١) بحار الانوار: ١٤٩ / ٦٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٢، ٤٤.

٤- الدعوة الى مقاطعة الحكم القائم

دعا (عليه السلام) الى مقاطعة الحكم الجائر و نهى عن إسناده بأى شكل من أشكال المساندة و إن كانت لا تتعلق بسياساتهم، فقال (عليه السلام) - فى معرض جوابه عن العمل معهم - : «و لا مدة قلم، إن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئا إلّا أصابوا من دينه مثله»^{٢٥٤}.

و وضّح أساسيات التعامل مع الحكام الجائرين و الفاسقين بقوله: «لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله»^{٢٥٥}.

^{٢٥٢} (١) بحار الانوار: ١٤٩ / ٦٥.

^{٢٥٣} (٢) شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٢، ٤٤.

^{٢٥٤} (١) الكافي: ١٠٧ / ٥.

^{٢٥٥} (٢) بحار الانوار: ١٢٢ / ٢.

و أكد (عليه السّلام) على أن تكون العلاقة معهم علاقةً التوجيه و الارشاد، و القيام بأداء مسؤولية الوعظ فقال : «من مشى الى سلطان جائر، فأمره بتقوى الله، و خوفه و وعظه كان له مثل أجر الثقلين من الجن و الانس، و مثل أعمالهم»^{٢٥٦}.

و استثنى (عليه السّلام) المواقف التي تتخذ من أجل مصلحة الإسلام الكبرى، فجوّز إسنادهم بالسلاح إن كان القتال مع أعداء الإسلام، لأنهم يدفعون بالسلاح العدو المشترك، قال (عليه السّلام) لمن كان يحمل إليهم السلاح : «إحمل إليهم، فإنّ الله يدفع بهم عدونا و عدوكم - يعنى الروم - و بعهم، فإذا كانت الحرب بيننا فلا تحملوا»^{٢٥٧}.

و قال (عليه السّلام) فى حق حكام الجور : «ان ائمة الجور و اتباعهم لمعزولون عن دين الله و الحقّ، قد ضلّوا بأعمالهم التي يعملونها»^{٢٥٨}.

(١) الكافي: ١٠٧ / ٥.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٢ / ٢.

(٣) بحار الأنوار: ٣٧٥ / ٧٢.

(٤) الكافي: ١١٢ / ٥، كتاب المعيشة، باب بيع السلاح منهم.

(٥) المحاسن: ٩٣.

ص: ١٢٣

٥- مواقفه المباشرة من الحكام المنحرفين

إنّ دور الإمام الحقيقى هو دور القدوة، و من أهم المسؤوليات الملقاة على عاتقه إصلاح الحاكم و الامّة معا، و القضاء على الانحراف فى مهده. أو الحيلولة دون التمدادى فيه، و هذا الدور تختلف أساليبه و برامجه تبعا للعوامل و الظروف السياسية المحيطة بالامام، و تتغيّر المواقف تبعا للمقومات التالية:

أ- المصلحة الاسلامية العامة.

ب- المصلحة الاسلامية الخاصة، و التي تتعلق بالحفاظ على منهج أهل البيت (عليهم السّلام) و رفده بالعناصر النزيهة، لضمان استمرار حركته فى الامّة.

ت- الظروف العامة و الخاصة من حيث قوة الحاكم، و قوة القاعدة الشعبية لأهل البيت (عليهم السّلام).

^{٢٥٦} (٣) بحار الأنوار: 375 / 72.

^{٢٥٧} (٤) الكافي: 112 / 5، كتاب المعيشة، باب بيع السلاح منهم

^{٢٥٨} (٥) المحاسن: 93.

و كانت التقيّة اسلوبا يتخذه الإمام (عليه السّلام) في مواقفه من الحاكم الجائر عندما لا تكون المواجهة العلنية مفيدة و مثمرة، و أوضح الإمام حدودها بقوله:

«التقيّة في كل ضرورة»^{٢٥٩}. و قال (عليه السّلام): «إنما جعلت التقيّة ليحقن بها الدماء، فإذا بلغ الدم فلا تقيّة»^{٢٦٠}.

و في العهود التي سبقت عهد عمر بن عبد العزيز، كان الإمام (عليه السّلام) يتّقى المواجهة مع الحاكم حفاظا على كيان أهل البيت (عليهم السّلام) و إبعادا لأنصاره عن حراب الحاكم و أعوانه، و لم يتدخل (عليه السّلام) في شؤون الحاكم إلّا في حدود ضيقة، و حينما وصل الأمر الى عمر بن عبد العزيز و تبدلت الاوضاع و الظروف تقرب عمر بن عبد العزيز إلى أهل البيت (عليهم السّلام) و فضّلهم على بنى أمية، قائلا:

افضّلهم لأنّي سمعت ... أن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) كان يقول: «إنما فاطمة شجنة^{٢٦١} منّي

(١) بحار الانوار: ٧٢ / ٣٩٩.

(٢) المصدر السابق. ^{٢٦٢}

(٣) الشجن: القرع من كل شيء.

ص: ١٢٤

يسرّني ما أسرها، و يسوؤني ما أساءها، فأنا ابتغى سرور رسول الله (صلّى الله عليه و اله) و أتقى مساءته»^{٢٦٣}.

و استثمر الإمام (عليه السّلام) هذه الحرية النسبيّة، فقام بدوره في اصلاح الحاكم و أجهزته و إرشاده و حتّه على الاستقامة في التعامل مع الرعيّة.

و حينما بعث اليه ان يقدم عليه، لبّى (عليه السّلام) الدعوة و اجتمع معه، و أخذ ينصحه و يطلب منه أن يوفق بين ممارساته و بين القيم الاسلاميّة في مجال التعامل، و ممّا جاء في نصائحه له قوله (عليه السّلام): «... فاتق الله، و اجعل في قلبك اثنتين تنظر الّذى تحبّ أن يكون معك إذا قدمت على ربّك، فقدّمه بين يديك، و تنظر الّذى تكرهه أن يكون معك إذا

^{٢٥٩} (١) بحار الانوار: 72 / 399.

^{٢٦٠} (٢) المصدر السابق.

^{٢٦١} (٣) الشجن: القرع من كل شيء.

^{٢٦٢} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.

^{٢٦٣} (١) بحار الأنوار: 46 / 320.

قدمت على ربك، فابتغ به البذل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك، و اتق الله يا عمر و افتح الأبواب و سهّل الحجاب، و انصر المظلوم و ردّ المظالم»^{٢٦٤}.

و استشاره عمر في بعض الأمور، و حينما أراد الرجوع الى المدينة قال له عمر : فأوصني يا أبا جعفر، فقال (عليه السلام): «أوصيك بتقوى الله و اتّخذ الكبير أبا، و الصغير ولدا، و الرجل أخا»^{٢٦٥}.

و في عهد هشام بن عبد الملك كان (عليه السلام) يتحرك تبعا لمواقف هشام من حيث اللين و الشدة، فحينما دخل هشام المسجد الحرام نظر الى الإمام (عليه السلام) و قد أحرق الناس به، فقال : من هذا؟ ف قيل له : محمد بن علي بن الحسين، فقال:

هذا المفتون به أهل العراق؟ فأرسل اليه، و سأله بعض الاسئلة، فأفحمه الإمام (عليه السلام) و ظهر عليه أمام أتباعه^{٢٦٦}.

(١) بحار الأنوار: ٣٢٠ / ٤٦.

(٢) المصدر السابق: ١٨٢ / ٧٥.

(٣) مختصر تاريخ دمشق: ٧٧ / ٢٣.

(٤) المصدر السابق: ٧٩ / ٢٣.

ص: ١٢٥

و لمّا حمل الى الشام و أراد هشام أن ينتقص منه، نهض قائما ثم قال:

«أيها الناس أين تذهبون و أين يراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم، و بنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجل، فإن لنا ملكا مؤجلا...»^{٢٦٧}.

٦- موقفه من الثورة المسلحة

وقف الإمام (عليه السلام) موقف الحياد من الثورات التي قادها الخوارج، فلم يصدر منه تأييد و لا معارضة، لكي لا يستثمر قادة الثورات أو الحكّام موقف الإمام (عليه السلام) لصالحهم، و لكي تستمر روح الثورة في النفوس.

^{٢٦٤} (٢) المصدر السابق: 182 / 75.

^{٢٦٥} (٣) مختصر تاريخ دمشق: 77 / 23.

^{٢٦٦} (٤) المصدر السابق: 79 / 23.

^{٢٦٧} (١) مناقب آل أبي طالب: 206 / 4.

و في عهده (عليه السلام) لم تنطلق أى ثورة علوية يقودها أحد أهل البيت (عليهم السلام) أو أحد أنصارهم، لأن الإمام (عليه السلام) كان مشغولا ببناء و توسعة القاعدة الشعبية، لكي تنطلق فيما بعد، أى بعدا كمال العدة و العدد، و كان (عليه السلام) يوجّه الانظار الى ثورة أخيه زيد التي أخبر أنها ستنتطلق في المستقبل القريب.

و كان يربط بين موقف زيد المستقبلي و بين موقفه (عليه السلام) منه فيقول:

«أما عبد الله فيدى التي أبطش بها، و أما عمر فبصرى الذي أبصر به، و أما زيد فلساني الذي أنطق به»^{٢٦٨}...^{٢٦٩}.

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢٠٦ / ٤.

(*) عبد الله الباهر أخو الإمام الباقر (عليه السلام)، كان من أبرز علماء المسلمين في فضله، و سمو منزلته العلمية، و قد روى عن أبيه علوما شتى، و كتب الناس عنه ذلك. «غاية الاختصار ١٠٦».

و أما عمر بن علي بن الحسين (عليه السلام) فهو أخو الإمام الباقر (عليه السلام) أيضا كان فاضلا جليلا و ولي صدقات النبي (صلى الله عليه و اله) و صدقات أمير المؤمنين (عليه السلام) و كان ورعا سخيّا، و يروى عنه، قال: يشترط على من ابتاع صدقات علي (عليه السلام) أن يثلم في الحائط كذا و كذا ثلثة لا يمنع من دخله أن يأكل منه.

و كذلك زيد الشهيد فإنه ثالث إخوته، و كان من أجل علماء المسلمين و قد تخصص في علوم كثيرة كعلم الفقه و الحديث و التفسير و علم الكلام و غيرها، و هو الذي تبنى حقوق المظلومين و المضطهدين، و قاد سيرتهم النضالية في ثروته الخالدة التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الإسلامي و ساهمت مساهمة إيجابية و فعالة في الإطاحة بالحكم الاموي.

(٢) سفينة البحار: ٢٧٣ / ٢.

ص: ١٢٤

و كان (عليه السلام) يحذر من خذلان زيد و محاربته فيقول: «ان أخى زيد بن علي خارج فمقتول على الحق، فالويل لمن خذله، و الويل لمن حاربه، و الويل لمن قاتله»^{٢٧٠}.

وكان (عليه السلام) هو الموجّه لحركة أخيه زيد، و كان زيد أحد المنضوين تحت لواء إمامته، و كانت حركته العسكرية ذراعا واقعيّا لأهل البيت (عليهم السلام) ليقاوموا من خلالها انحراف الحكّام بعد عجز الاساليب الاخرى عن التأثير.

^{٢٦٨} (*) عبد الله الباهر أخو الإمام الباقر (عليه السلام)، كان من أبرز علماء المسلمين في فضله، و سمو منزلته العلمية، و قد روى عن أبيه علوما شتى، و كتب الناس عنه ذلك. «غاية الاختصار 106».

و أما عمر بن علي بن الحسين (عليه السلام) فهو أخو الإمام الباقر (عليه السلام) أيضا كان فاضلا جليلا و ولي صدقات النبي (صلى الله عليه و اله) و صدقات أمير المؤمنين (عليه السلام) و كان ورعا سخيّا، و يروى عنه، قال: يشترط على من ابتاع صدقات علي (عليه السلام) أن يثلم في الحائط كذا و كذا ثلثة لا يمنع من دخله أن يأكل منه

و كذلك زيد الشهيد فإنه ثالث إخوته، و كان من أجل علماء المسلمين و قد تخصص في علوم كثيرة كعلم الفقه و الحديث و التفسير و علم الكلام و غيرها، و هو الذي تبنى حقوق المظلومين و المضطهدين، و قاد سيرتهم النضالية في ثروته الخالدة التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الإسلامي و ساهمت مساهمة إيجابية و فعالة في الإطاحة بالحكم الاموي

^{٢٦٩} (٢) سفينة البحار: 273 / 2.

^{٢٧٠} (١) مقتل الخوارج: 113 / 2.

و ممّا يؤكد هذه التبعية قول زيد رحمه الله:

ثوى باقر العلم فى ملحد

إمام الورى طيّب المولد

فمن لى سوى جعفر بعده

إمام الورى الأوحى الأمجد^{٢٧١}

فتأجلت الثورة المسلحة الى وقتها المناسب و تفجّرت بعد أقلّ من عشر سنين من استشهاد الإمام محمد الباقر (عليه السلام).

رابعاً: الإصلاح الاخلاقى و الاجتماعى

بذل الإمام (عليه السلام) عناية فائقة لاصلاح الاخلاق و تغيير الاوضاع الاجتماعية باتجاه القواعد و الموازين و القيم العليا الثابتة فى الشريعة الاسلامية، و كانت مهمته التركيز على اصلاح جميع الوجودات القائمة، بدء بالمقربين منه ثم الاوساط الاجتماعية ثم المؤسسات الحكومية و اتباع الحاكم.

و كان (عليه السلام) يستثمر جميع الفرص المتاحة للإصلاح و التغيير و بناء واقع جديد، و لهذا تعددت اساليبه الإصلاحية و التغييرية فى المجال الاخلاقى و الاجتماعى. و إليك بعض نشاطاته فى هذا المجال:

١- الدعوة لتطبيق السنة النبوية

(١) مقتل الخوارزمي: ١١٣ / ٢.

(٢) مناقب آل أبى طالب: ٢١٣ / ٤.

ص: ١٢٧

قام الإمام (عليه السلام) بنشر الاحاديث الشريفة النبوية المرتبطة بالجوانب الاخلاقية و الاجتماعية لكى تكون هى الحاكمة على الممارسات السلوكية و العلاقات الاجتماعية، و لكى تكون نبراسا لافراد المجتمع بمختلف طبقاتهم فى مسيرتهم الانسانية، تنطلق بهم نحو السمو و التكامل، و الارتقاء للوصول الى المقامات العالية التى وصل اليها الصالحون و الاولياء.

و كان (عليه السلام) - من خلال نشر هذه الاحاديث النبوية - يشير الى العوامل الاساسية فى صلاح الاخلاق و الاوضاع الاجتماعية، و هى صلاح الفقهاء و الامراء، فقد روى (عليه السلام) قول جدّه (صلّى اللّٰه عليه و اله): «صنفان من امتى إذا صلحا صلحت امتى، و اذا فسدا فسدت امتى ... الفقهاء و الامراء»^{٢٧٢}.

^{٢٧١} (٢) مناقب آل أبى طالب: 213 / 4.

و دعا (عليه السّلام) الى اخلاص النصيحة و الايثار في الممارسة الاصلاحية على ضوء ما جاء عن جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه»^{٢٧٣}.

و أكّد (عليه السّلام) على دعوة رسول الله (صلّى الله عليه و اله) الى العفّة و تعجيل الخير بقوله:

«ان الله يحبّ الحيّ الحليم العفيف المتعفف»^{٢٧٤}. و قوله (صلّى الله عليه و اله): «ان الله يحب من الخير ما يعجل»^{٢٧٥}.

و أكّد (عليه السّلام) على الاحاديث الداعية الى حسن الخلق و الكف عن أعراض المؤمنين منها قوله (عليه السّلام): «و الذي لا اله الا هو ما اعطى مؤمن قط خير الدنيا و الآخرة الا بحسن ظنه بالله و رجائه له، و حسن خلقه، و الكف عن اغتياب المؤمنين»^{٢٧٦}.

(١) الخصال: ٢٦ / ١.

(٢) الكافي: ٢٠٨ / ٢.

(٣) المصدر السابق: ١١٢ / ٢.

(٤) المصدر السابق: ١٤٢ / ٢.

(٥) المصدر السابق: ٧٢ / ٢.

ص: ١٢٨

و قال (عليه السّلام): «ان رسول الله (صلّى الله عليه و اله) نهى عن القيل و القال، و فساد المال، و كثرة السؤال»^{٢٧٧}.

و دعا (عليه السّلام) الى ادخال السرور على المؤمن كما ورد في قول رسول الله (صلّى الله عليه و اله): «من سرّ مؤمنا فقد سرني و من سرني فقد سر الله»^{٢٧٨}.

و حث (عليه السّلام) على صلة الرحم بقوله (صلّى الله عليه و اله): «ان أعجل الخير ثوابا صلة الرحم»^{٢٧٩}.

^{٢٧٢} (١) الخصال: 26 / 1.

^{٢٧٣} (٢) الكافي: 208 / 2.

^{٢٧٤} (٣) المصدر السابق: 112 / 2.

^{٢٧٥} (٤) المصدر السابق: 142 / 2.

^{٢٧٦} (٥) المصدر السابق: 72 / 2.

^{٢٧٧} (١) الكافي: 60 / 1.

^{٢٧٨} (٢) المصدر السابق: 188 / 2.

^{٢٧٩} (٣) المصدر السابق: 152 / 2.

٠ و ذكر (عليه السّلام) عشرات الاحاديث الشريفة التي تدعو الى مكارم الاخلاق في الصدق و الايثار و التعاون و الوفاء بالعهد و حسن التعامل مع المسلمين و غيرهم، اضافة الى الاحاديث الناهية عن الممارسات السلبية كالكذب و البهتان و التعبير و نقض العهد، و الخيانة و الاعتداء على الاعراض و النفوس.

و ممّا جاء في ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه و اله): «سباب المؤمن فسوق، و قتاله كفر، و أكل لحمه معصية»^{٢٨٠}.

و قال (عليه السّلام): سئل رسول الله (صلى الله عليه و اله) عن خيار العباد، فقال: «الذين إذا أحسنوا استبشروا، و اذا أسأوا استغفروا، و إذا أعطوا شكروا و إذا ابتلوا صبروا، و إذا غضبوا غفروا»^{٢٨١}.

و لم يكتف (عليه السّلام) بنشر الاحاديث الشريفة و الدعوة الى تجسيد محتواها في الواقع، و إنّما قام بأداء دور القدوة في ذلك فكان بنفسه قمة في جميع المكارم و المآثر، و قد أبرز للمسلمين من خلال سلوكه نموذجاً من أرقى

(١) الكافي: ١ / ٦٠.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ١٨٨.

(٣) المصدر السابق: ٢ / ١٥٢.

(٤) المحاسن: ١٠٢.

(٥) الخصال: ١ / ٣١٧.

ص: ١٢٩

نماذج الخلق الاسلامي الرفيع، فكان (عليه السّلام) القمة السامية في الصدق و الوفاء بالعهد، و أداء الأمانة، و في التواضع و احترام الآخرين، و الاهتمام بامور المسلمين، و قضاء حوائج المحتاجين، فكانت معالجته للواقع معالجة عملية من خلال سلوكه النموذجي مع مختلف أصناف الناس موالين، و مخالفين.

٢- الدعوة الى مكارم الأخلاق

كثّف الإمام (عليه السّلام) دعوته الى اصلاح مكارم الاخلاق لتكون هي العلامة الفارقة لتعامل المسلمين فيما بينهم، فكان (عليه السّلام) يدعو الى افشاء السلام و هو مظهر من مظاهر روح الإخاء و الودّ و المحبة و الصفاء في العلاقات الاجتماعية حتى قال (عليه السّلام): «ان الله يحب افشاء السلام»^{٢٨٢}.

و دعا الى العفة و اعتبرها افضل العبادة، فقال: «أفضل العبادة عفة البطن و الفرج»^{٢٨٣}.

^{٢٨٠} (4) المحاسن: 102.

^{٢٨١} (5) الخصال: 1 / 317.

^{٢٨٢} (1) تحف العقول: 220.

و دعا الى تطهير اللسان و تقييده بقيود شرعية، لإدامة العلاقات بين الناس، فقال (عليه السلام): «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعان السبّاب الطّعان على المؤمن نين، الفاحش المتفحش، السائل الملحف، و يحبّ الحبي الحليم العفيف المتعفف»^{٢٨٤}.

و وضح كيفية التعامل مع مختلف طبقات المجتمع فقال: «صانع المنافق بلسانك، و أخلص مودتك للمؤمن، و إن جالسك يهودى فأحسن مجالسته»^{٢٨٥}.

و بيّن اسس التعامل مع مختلف الأصناف من الناس فقال: «أربع من كنّ

(١) تحف العقول: ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق: ٢١٧.

(٣) المصدر السابق: ٢٢٠.

(٤) المصدر السابق: ٢١٣.

ص: ١٣٠

فيه بنى الله له بيتا فى الجنة، من آوى اليتيم، و رحم الضعيف، و أشفق على والديه، و رفق بمملوكه»^{٢٨٦}.

و دعا (عليه السلام) الى الارتباط بأهل التقوى و تعميق أواصر العلاقات معهم لما اختصوا به من خصائص تؤثر على المصاحبين لهم تأثيرا إيجابيا لتجسيد المثل و القيم الاسلامية فى الواقع، قال (عليه السلام): «ان أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة و أكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكروك، و إن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوامين بأمر الله»^{٢٨٧}.

و وضح (عليه السلام) بعض حقوق المؤمن على المؤمن فقال: «إن المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه و لا يحرمه و لا يسيء به الظن»^{٢٨٨}.

و قال (عليه السلام): «من اغتیب عنده أخوه المؤمن فنصره و أعانه نصره الله فى الدنيا و الآخرة، و من لم ينصره، و لم يدفع عنه و هو يقدر على نصرته و عونته خفّضه الله فى الدنيا و الآخرة»^{٢٨٩}.

^{٢٨٣} (٢) المصدر السابق: 217.

^{٢٨٤} (٣) المصدر السابق: 220.

^{٢٨٥} (٤) المصدر السابق: 213.

^{٢٨٦} (١) الخصال: 1/ 223.

^{٢٨٧} (٢) صفة الصفوة: 2/ 109.

^{٢٨٨} (٣) تحف العقول: 216.

^{٢٨٩} (٤) المحاسن: 103.

و حذرّ من ظلم الآخرين أو الاعانة على ظلمهم فقال : «من أعان على مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله»^{٢٩٠}.

و دعا الى مقابلة الاساءة و القطيعة بالاحسان و الصلة فقال : «ثلاثة من مكارم الدنيا و الآخرة : أن تعفو عنّ ظلمك و تصل من قطعك، و تحلم إذا جهل عليك»^{٢٩١}.

(١) الخصال: ٢٢٣ / ١.

(٢) صفة الصفوة: ١٠٩ / ٢.

(٣) تحف العقول: ٢١٦.

(٤) المحاسن: ١٠٣.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تحف العقول: ٢١٤.

ص: ١٣١

خامسا: الاصلاح الاقتصادي

لم يكن الإمام (عليه السلام) على رأس سلطة حتى يستطيع اصلاح الاوضاع الاقتصادية اصلاحا عمليا و جذريا، و لذا اقتصر (عليه السلام) على نشر المفاهيم الاسلامية المرتبطة بالحياة الاقتصادية السليمة متمثلة في النظام الاقتصادي الاسلامي، و التي تعصم مراعاتها الانسان و المجتمع من الانحراف الاقتصادي التي من أسبابها : الانسياق وراء اشباع الشهوات اشباعا مخلا بالتوازن الاقتصادي، فحدّد الإمام (عليه السلام) الاهداف المتوخاة من التصرف بالاموال، إذ جعل الله المال وسيلة لتحقيق الهدف الذي خلق الانسان من أجله، و هو الوصول الى عبادة الله تعالى، و تطبيق منهجه في الحياة، قال (عليه السلام): «نعم العون الدنيا على طلب الآخرة»^{٢٩٢}.

و أوضح الأهداف المشروعة التي يبتغى طلب المال من أجلها، فقال (عليه السلام): «من طلب الرزق في الدنيا استغففا عن الناس، و توسيعا على أهله، و تعظفا على جاره؛ لقي الله عزّ و جلّ يوم القيامة و وجهه مثل القمر ليلة البدر»^{٢٩٣}.

و استعان (عليه السلام) بالأحاديث الشريفة الواردة في ضرورة المشروعية في التصرفات الاقتصادية، فروى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّه قال: «العبادة سبعون جزءا أفضلها طلب الحلال»^{٢٩٤}.

^{٢٩٠} (5) المصدر السابق.

^{٢٩١} (6) تحف العقول: 214.

^{٢٩٢} (1) الكافي: 73 / 5.

^{٢٩٣} (2) المصدر السابق: 78 / 5.

و أكد (عليه السلام) على حرمة جملة من التصرفات المالية كالتطيف في المكيال، إذ قال (عليه السلام): «انزل في الكيل: **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ**، و لم يجعل الويل لأحد

(١) الكافي: ٥ / ٧٣.

(٢) المصدر السابق: ٥ / ٧٨.

(٣) المصدر السابق.

ص: ١٣٢

حتى يسميه كافرا ...»^{٢٩٥}.

كما دعا (عليه السلام) الى استصلاح المال و تنمية الثروة بشكل صحيح بقوله (عليه السلام): «من المروءة استصلاح المال»^{٢٩٦}.

و قدّم اشباع حاجات المسلمين و سد ثغرات حياتهم على أهم العبادات المستحبة و هو الحج تطوعاً، فقال (عليه السلام): «لأن أحجّ حجة أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة و رقبة - حتى انتهى الى سبعين -، و لأن أعول أهل بيت من المسلمين، أشبع جوعتهم و أكسو عورتهم و أكفّ وجوههم عن الناس أحبّ إليّ من أن أحجّ حجة و حجة - حتى انتهى الى عشر و عشر و عشر و مثلها حتى انتهى الى سبعين -»^{٢٩٧}.

و دعا (عليه السلام) الى الترفع عن الحرص و الطمع حيث روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّه قال: «... لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله و أجملوا في الطلب، و لا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله، فإنّه لا يدرك ما عند الله إلّا بطاعته»^{٢٩٨}.

و وجّه الأنظار الى الآثار السلبية للحرص فقال: «مثل الحريص على الدنيا، كمثل دودة القزّ، كلّما ازدادت على نفسها لفّاً، كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً»^{٢٩٩}.

و أكد على زوال المال ما دام الانسان مخلوقاً للآخرة و معرضاً للفناء فقال: «ملك ينادى كل يوم: ابن آدم؛ لد الموت، و اجمع للفناء، و ابن للخراب»^{٣٠٠}.

^{٢٩٤} (٣) المصدر السابق.

^{٢٩٥} (١) تفسير نور الثقلين: ٥ / 527.

^{٢٩٦} (٢) الخصال: ١ / 10.

^{٢٩٧} (٣) الكافي: ٤ / 2.

^{٢٩٨} (٤) المصدر السابق: ٢ / 74.

^{٢٩٩} (٥) المصدر السابق: ٢ / 134.

^{٣٠٠} (٦) المصدر السابق: ٢ / 131.

(١) تفسير نور الثقلين: ٥/ ٥٢٧.

(٢) الخصال: ١٠ / ١.

(٣) الكافي: ٢ / ٤.

(٤) المصدر السابق: ٢ / ٧٤.

(٥) المصدر السابق: ٢ / ١٣٤.

(٦) المصدر السابق: ٢ / ١٣١.

ص: ١٣٣

و كان (عليه السلام) يحثّ على القناعة لأنها إحدى مقدمات السعادة الروحية، و قد تجلّى ذلك في سلوكه و قوله (عليه السلام): «من قنع بما أوتى قرّت عينه»^{٣٠١}.

و دعا الى مراعاة القصد و الوسطية و تجنب الافراط و التفریط في الطرف و الإنفاق في مختلف الظروف و اعتبره من المنجيات، فقال (عليه السلام): «أما المنجيات فخوف الله في السر و العلانية، و القصد في الغنى و الفقر»^{٣٠٢}.

كما حدّد الإمام (عليه السلام) لكل انسان حقّه، و حذّر من الاعتداء على أموال الآخرين لأنها تؤدي الى الخلل الاقتصادي فضلا عمّا لها من تأثيرات سلبية اخرى على المستقبل الاخرى للفرد و المجتمع، نلاحظ ذلك في قوله (عليه السلام):

«من أصاب مالا من أربع لم يقبل منه أربع: من أصاب مالا من غلول أو ربا أو خيانة أو سرقة؛ لم يقبل منه في زكاة و لا صدقة و لا في حجّ و لا في عمرة»^{٣٠٣}.

و من أجل تحقيق التوازن الاقتصادي، و رفع المستوى المعاشي لعموم الناس دعا (عليه السلام) الى الالتزام بالانفاق الواجب، فقال: «ان الله تبارك و تعالى قرن الزكاة بالصلاة ... فمن أقام الصلاة، و لم يؤت الزكاة، فكأنه لم يتم الصلاة»^{٣٠٤}.

و روى عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قوله: «ملعون كل مال لا يزكى»^{٣٠٥}.

و بيّن الآثار السلبية لمنع الزكاة فقال (عليه السلام): «وجدنا في كتاب عليّ (عليه السلام) قال رسول الله (صلّى الله عليه و اله): إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها»^{٣٠٦}.

^{٣٠١} (١) سفينة البحار: ٢ / 452.

^{٣٠٢} (٢) الخصال: ١ / 84.

^{٣٠٣} (٣) أمالي الصدوق: 359.

^{٣٠٤} (٤) الكافي: 3 / 506.

^{٣٠٥} (٥) وسائل الشيعة: 9 / 29.

و حدّد (عليه السّلام) حدود البذل بأنّه الإيصال الى مرتبة إغناء الفقير لإتقاده من الفقر و آثاره السلبية، فقال (عليه السّلام): «إذا أعطيته فأغنه»^{٣٠٧}.

(١) سفينة البحار: ٢ / ٤٥٢.

(٢) الخصال: ١ / ٨٤.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٥٩.

(٤) الكافي: ٣ / ٥٠٦.

(٥) وسائل الشيعة: ٩ / ٢٩.

(٦) الكافي: ٣ / ٥٠٥.

(٧) المصدر السابق: ٣ / ٥٤٨.

ص: ١٣٤

و لا يتحقق التوازن الاقتصادي و لا التكافل الاجتماعي إلّا باشتراك جميع الناس في ممارسات مكثّفة لرفع المستوى الاقتصادي لجميع الفقراء و المعوزين، من خلال القيام بالايثار و الانفاق التطوعي مضافا الى أداء الحق الشرعي الواجب، لذا حت (عليه السّلام) على الاحسان و أداء اعمال البر و الصدقة فقال:

«البرّ و الصدقة ينفيان الفقر و يزيدان في العمر، و يدفعان سبعين ميتة سوء»^{٣٠٨}.

و حت على معونة الاخوان و قضاء حوائجهم فقال (عليه السّلام): «من بخل بمعونة أخيه المسلم و القيام في حاجته؛ ابتلى بمعونة من يأثم عليه و لا يؤجر»^{٣٠٩}.

و روى عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) أنّه قال: «داووا مرضاكم بالصدقة ... و حصنوا أموالكم بالزكاة»^{٣١٠}.

و حدّد الإمام (عليه السّلام) موارد الانفاق المنسجمة مع الشريعة الإسلامية، و أثبت انحراف الاسلوب الذي قام به الحكّام حيث قاموا بتوزيع الأموال حسب أهوائهم و رغباتهم دون التقيد بالقيود التي وضعها المنهج الاسلامي.

فقد روى عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قوله: «خمسة لعنتهم و كلّ نبيّ مجاب ...

^{٣٠٦} (٦) الكافي: ٣ / 505.

^{٣٠٧} (٧) المصدر السابق: ٣ / 548.

^{٣٠٨} (١) الخصال: ١ / 48.

^{٣٠٩} (٢) المحاسن: 99.

^{٣١٠} (٣) وسائل الشيعة: ٩ / 29.

و ذكر منهم: المستأثر بالفىء و المستعمل له»^{٣١١}.

كما حدّد (عليه السّلام) موارد اعطاء الصدقات فقال: «ان الصدقة لا تحلّ لمحترف، و لا لذى مرّة سوى قوى...»^{٣١٢}.

و كان (عليه السّلام) يقوم بانفاق ما يحصل عليه على الفقراء و المعوزين لتقتدى به الامة، و تعرف انحراف الممارسات المالية التى كان يقوم بها الحكام و المخالفة للاسس الإسلامية و القواعد الثابتة للانفاق.

(١) الخصال: ١ / ٤٨.

(٢) المحاسن: ٩٩.

(٣) وسائل الشيعة: ٩ / ٢٩.

(٤) الكافي: ٢ / ٢٩٣.

(٥) وسائل الشيعة: ٩ / ٢٣١.

ص: ١٣٥

الباب الرابع فيه فصول:

الفصل الأوّل:

الإمام الباقر (عليه السّلام) و بناء الجماعة الصالحة الفصل الثانى:

اغتيال الإمام محمّد الباقر (عليه السّلام) و استشهاده الفصل الثالث:

تراث الإمام محمّد الباقر (عليه السّلام)

ص: ١٣٧

الفصل الأوّل الإمام الباقر (عليه السّلام) و بناء الجماعة الصالحة^{٣١٣}

^{٣١١} (4) الكافي: 2 / 293.

^{٣١٢} (5) وسائل الشيعة: 9 / 231.

^{٣١٣} (1) اعتمدنا في هذا البحث بشكل اساسي على الكتاب القيم الذي نشره المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السّلام) «دور أهل البيت (عليهم السّلام) في بناء الجماعة الصالحة» لسماحة السيد محمد باقر الحكيم (دام عزه) و استخلصنا منه ما يناسب حياة الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) بشكل خاص من هذه الموسوعة.

إن إصلاح الأوضاع الاجتماعية يتوقف على وجود جماعة صالحة تقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الإسلام وإلى المنهج السليم الذي تبناه أهل البيت (عليهم السلام) استناداً إلى الأوامر الإلهية في تشكيل الأمة الآمرة بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولهذا سعى الأئمة المعصومون (عليهم السلام) إلى بناء الجماعة الصالحة ورسم المعالم والملاحم اللازمة لها لتكون الطليعة الواعية المخلصة لتبني مسؤولية الإصلاح والتغيير طبقاً لمنهج أهل البيت (عليهم السلام).

وقد شرع أهل البيت (عليه السلام) في تكوين الجماعة الصالحة منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنه إلى جانب تبليغه العام قام بإعداد مجموعة صالحة تهتم بالدعوة إلى الله على بصيرة ووعي وأبدى لهم عناية فائقة حيث خصص لهم أوقاتاً خاصة، وكلف الإمام علياً (عليه السلام) بإعداد آخرين.

واستمر الإمام علي (عليه السلام) بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بانجاز هذه المهمة، وكرس جهوده لتهيئة الطليعة والكوادر الرسالية. وقد أثمرت نشاطاته حينما

(١) اعتمدنا في هذا البحث بشكل أساسي على الكتاب القيم الذي نشره المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) «دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة» لسماحة السيد محمد باقر الحكيم (دام عزه) واستخلصنا منه ما يناسب حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) بشكل خاص من هذه الموسوعة.

ص: ١٣٨

عادت له السلطة، وكان لتلك الكتلة الصالحة دور كبير في إخماد الفتن الداخلية وتقرير منهج أهل البيت (عليهم السلام) في الواقع العملي.

واصل الإمام الحسن (عليه السلام) مسيرة جده وأبيه، حيث كان أحد بنود الهدنة مع معاوية هو إيقاف الملاحقة لأنصاره وأنصار أبيه، وتفرغ الإمام (عليه السلام) بعد الهدنة لتوسيع قاعدة الجماعة الصالحة لتقوم بأداء دورها في الوقت والظرف المناسب. وبالفعل قامت بالتصدي للانحراف الأموي في عهد يزيد، وشاركت مع الإمام الحسين (عليه السلام) في حركته المسلحة لاطاحة بالحكم الجائر.

وكان للجماعة الصالحة دور كبير في قيا دة الثورات المسلحة ضد الحكم الأموي على طول الخط، كثورة أهل المدينة، و ثورة المختار، و ثورة التوابين، التي أعقبت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) الإصلاحية و كان لمجموعها دور كبير في إرساء دعائم منهج أهل البيت (عليهم السلام) و تعميقه و تجذيره في العقول و القلوب و الممارسات السلوكية و التعجيل في زوال الحكومات الجائرة.

واستمر الإمام زين العابدين (عليه السلام) في استثمار الفرص المتاحة لتكملة البناء الذي شيده من سبقه من الأئمة الأطهار، فقد تمتع بحرية نسبية في إعداد الطليعة الرسالية في عهد عبد الملك بن مروان ، لتكون ذراعاً لحركة أهل البيت (عليهم السلام) في عهده.

و استمر الإمام الباقر (عليه السلام) في تشييد هذا الصرح و رفده بعناصر جديدة لتستمر الحركة الإصلاحية على منهج أهل البيت (عليهم السلام) و تقريره في واقع الحياة، فقد ربّى (عليه السلام) مجموعة من الفقهاء المصلحين و على رأسهم: زرارۀ بن أعين، و معروف بن خربوذ، و أبو بصير الأسدي، و الفضيل بن يسار، و محمد بن مسلم الطائفي، و بريد بن معاوية العجلي.

ص: ١٣٩

و ربّى طبقة ثانية التي تلى المتقدمين و منهم : حمران بن أعين، و اخوته، و عبد الله بن ميمون القدّاح، و محمد بن مروان الكوفي، و اسماعيل ابن الفضل الهاشمي، و ابو هارون المكفوف ... و آخرون^{٣١٤}.

و تنوّعت مهمة الجماعة الصالحة، فمنهم الفقهاء، و منهم قادة الثورات، و منهم المصلحون الذين كانوا يجوبون الأمصار لتعميق منهج أهل البيت (عليهم السلام) في القلوب و النفوس.

و فيما يلي سوف نستعرض بعض مظاهر حركة الإمام (عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة، و إعدادها إعداداً شمولياً بشمول الإسلام و شمول منهج أهل البيت (عليهم السلام) لجميع مرافق الحياة الانسانية.

و قد أوضحنا أن المهمة الأساسية للإمام الباقر (عليه السلام) بعد العقود الثلاثة من النشاط المستمر للإمام زين العابدين (عليه السلام) بهذا الاتجاه هي رسم المعالم التفصيلية للجماعة الصالحة و بيان كل ما يلزم لتكوين المجتمع الاسلامي النموذجي في وسط التيارات المنحرفة التي ملأت الساحة الإسلامية العامة، و هي الى جانب كونها النموذج المطلوب للامة المسلمة الرائدة تكون الذراع الحقيقي للأئمة (عليهم السلام) لإقرار الإسلام الشامل في المجتمع الإسلامي الآخذ بالتمادي في الانحراف و الانهيار؛ إذ من خلالها يكون النشاط الحقيقي للإمام الباقر (عليه السلام) في مرحلته الخاصة التي تجلّت في رسم هذه المعالم و إقرارها و تربية الأجيال عليها . و هي المهمة التي اشترك فيها أبوه الإمام زين العابدين و ابنه الإمام الصادق و حفيده الإمام الكاظم (عليهم السلام).

و قد لخصنا هذا البحث الأساسي في عشر نقاط أساسية ترتبط بالجماعة الصالحة و توضح معالمها الرئيسة.

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢٢٩ / ٤.

ص: ١٤٠

أولاً: الإمام الباقر (عليه السلام) و مقومات الجماعة الصالحة

١- العقيدة السليمة

^{٣١٤} (١) مناقب آل أبي طالب: ٢٢٩ / ٤.

فى خضم الأحداث و المواقف المتباينة و المتناقضة جراء تعدد التيارات الفكرية و العقائدية، و اضطراب عقول الكثير من المسلمين، لابتعادهم عن إدراك اسس العقيدة السليمة، قام الإمام (عليه السلام) بدور كبير فى بيان العقيدة السليمة للجماعة الصالحة؛ لتقوم بدورها فى اصلاح المفاهيم و الافكار، و نشر عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) فى مختلف الاوساط و على جميع المستويات.

لقد بين (عليه السلام) الاسس العامة للتوحيد، فعن حريز بن عبد الله، و عبد الله بن مسكان قالا : قال أبو جعفر (عليه السلام): «لا يكون شىء فى الارض و لا فى السماء إلّا بهذه الخصال السبعة : بمشيئة، و ارادة، و قضاء، و إذن، و كتاب، و أجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة منهن فقد كفر»^{٣١٥}.

و بين حقيقة التوحيد تميزا لعقيدة أهل البيت (عليهم السلام) عن العقائد الاخرى فقال (عليه السلام): «لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواس و لا يقاس بالناس، معروف بالآيات، منعت بالعلامات، لا يجور فى قضيته، بان من الاشياء و بانت الأشياء منه»^{٣١٦}.

و بين حدود الوصف لله تعالى فهى عن التكلم فى ذات الله و ما يتفرع عنه من آراء و مفاهيم، فقال (عليه السلام): «تكلّموا فيما دون العرش، و لا تكلّموا فيما فوق

(١) المحاسن: ٢٤٤.

(٢) مختصر تاريخ دمشق: ٨١ / ٢٣.

ص: ١٤١

العرش، فإن قوما تكلّموا فى الله فتأهوا...»^{٣١٧}.

و بين (عليه السلام) معيارى الايمان و الإسلام فقال: «الايمان إقرار و عمل، و الإسلام إقرار بلا عمل»^{٣١٨}.

و قال (عليه السلام): «الإيمان ما كان فى القلب، و الإسلام ما عليه التناكح و التوارث و حقنت به الدماء، و الايمان يشرك الإسلام، و الإسلام لا يشرك الايمان»^{٣١٩}.

و بين الأصل الأساسى من اصول العقيدة بعد أصل التوحيد و هو الولاية و الإمامة المجعولة من الله تعالى؛ لأن الولي و الإمام يقوم بدور الحجّة نيابة عن الله تعالى، و بين مصير من لا يتولّى من نصّبه الله تعالى، فقال : «إنّ من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه بلا إمام عادل من الله، فإنّ سعيه غير مقبول و هو ضالّ متحيّر، و مثله كمثل شاة لا راعى لها ضلّت عن راعيها و قطيعها فتأهت ذاهبةً و جائيةً يومها، فلمّا أن جنّها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها فجاءت اليها فباتت معها فى

^{٣١٥} (١) المحاسن: 244.

^{٣١٦} (٢) مختصر تاريخ دمشق: 81 / 23.

^{٣١٧} (١) المحاسن: 238.

^{٣١٨} (٢) تحف العقول: 217.

^{٣١٩} (٣) المصدر السابق: 218.

ربضتها متحيّرة تطلب راعيها و قطيعها، فبصرت بسرح قطيع غنم آخر فعمدت نحوه و حنّت اليها، فصاح بها الراعى الحقى بقطيعك فإنّك تائهة متحيّرة قد ضللت عن راعيك و قطيعك، فهجمت ذعرة متحيّرة لا راعى لها يرشدها الى مرعاها و يردها، فبينما هي كذلك اذ اغتتم الذئب ضيعتها فأكلها، و هكذا يا محمّد بن مسلم من أصبح من هذه الامة و لا إمام له من الله عادل أصبح تائها متحيّرا، إن مات على حاله تلك مات ميتة كفر و نفاق، و اعلم يا محمد أنّ أئمة الحقّ و أتباعهم على دين الله»^{٣٢٠}.

و بيّن حدود ولاية أهل البيت (عليهم السّلام) و حدود شفاعتهم فقال: «يا جابر!

(١) المحاسن: ٢٣٨.

(٢) تحف العقول: ٢١٧.

(٣) المصدر السابق: ٢١٨.

(٤) المحاسن: ٩٢، ٩٣.

ص: ١٤٢

فو الله ما يتقرب الى الله تبارك و تعالى إلّا بالطاعة، و ما معنا براءة من النار، و لا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعا فهو لنا وليّ، و من كان لله عاصيا فهو لنا عدوّ، و لا تنال و لا يتنا إلّا بالعمل و الورع»^{٣٢١}.

و حذر اتباعه من التأثير بافكار و اعتقادات الغلاة لأنها مخالفة للتوحيد، و مخالفة للمن هج العقائدى لأهل البيت (عليهم السّلام).

٢- مرجعية أهل البيت (عليهم السّلام)

ان المنهج الاسلامى هو منهج واقعى للحياة، بكل ما للحياة من تشكيلات و تنظيمات و أوضاع و قيم و أخلاق و آداب و عبادات و شعائر، و هو كمنهج نظرى يراد تطبيقه فى الواقع بحاجة الى قدوة تجسده فى الواقع كى يقتدى بها الناس ليندفعوا اشواطا الى الأمام فى مسيرة التنفيذ و التطبيق، و لهذا ركّز الإمام (عليه السّلام) على القدوة الناطقة بالكتاب و السنّة و هم أهل البيت (عليهم السّلام) تمييزا عن غيرهم من الذين تنكبوا طريق الاستقامة و انحرفوا عن المنهج انطلاقا من أهوائهم و مصالحهم التى تخدم السلاطين و الحكّام و انفلاتا من قيود العقيدة و الشريعة.

فقد أكّد الإمام (عليه السّلام) على الولاية باعتبارها أهم أركان الإسلام فقال : «بنى الإسلام على خمس : على الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الولاية، و لم يناد بشىء كما نودى بالولاية»^{٣٢٢}، التى أوضحها فى نص آخر بأنها الولاية لأهل البيت (عليهم السّلام)^{٣٢٣}.

^{٣٢٠} (4) المحاسن: 92، 93.

^{٣٢١} (1) الكافي: 74 / 2.

و أورد الاحاديث الشريفة عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) التى تؤكد على ولاية

(١) الكافي: ٧٤ / ٢.

(٢) المصدر السابق: ١٨ / ٢.

(٣) الخصال: ٢٧٨ / ١.

ص: ١٤٣

أهل البيت (عليهم السلام) و مرجعيتهم فى الامة، و منها توجيه الانظار الى ولاية أول الائمة أعنى الإمام على بن أبى طالب (عليه السلام) متمثلة بالولاء العاطفى له، قال رسول الله (صلى الله عليه و اله). «ما من مؤمن إلّا و قد خلص و دى الى قلبه، و ما خلص و دى الى قلب أحد إلّا و قد خلص و دى الى قلبه، كذب يا على من زعم أنه يحببنى و يبغضك»^{٣٢٤}.

و فسر الآيات النازلة فى حق أهل البيت (عليهم السلام) و بين مؤدّاها بشكل دقيق و هو مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) فى جميع شؤون الحياة فكرية و عاطفية و سلوكية.

ففى قوله تعالى:

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^{٣٢٥}، قال (عليه السلام): نحن أهل الذكر.

و فى قوله تعالى: لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ^{٣٢٦}، قال (عليه السلام): نحن هم.

و فى قوله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا^{٣٢٧}، قال (عليه السلام): نحن الامة الوسط.

و فى قوله تعالى: وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ^{٣٢٨}، قال (عليه السلام): أى مع آل محمد^{٣٢٩}.

و أمّا أحاديثه التى رواها عن رسول الله حول ولاية أهل البيت (عليهم السلام) و مرجعيتهم للامة فمنها قوله (صلى الله عليه و اله): «أنا رسول الله الى الناس أجمعين و لكن سيكون بعدى أئمة على الناس من أهل بيتى من الله، يقومون فى الناس فيكذبونهم و يظلمونهم أئمة الكفر و الضلال و أشياعهم، ألا فمن والاهم و اتبعهم و صدقهم فهو منى و معى و سيلقانى، ألا

^{٣٢٢} (٢) المصدر السابق: 18 / 2.

^{٣٢٣} (٣) الخصال: 278 / 1.

^{٣٢٤} (١) المحاسن: 151.

^{٣٢٥} (٢) النحل (١٦): 43.

^{٣٢٦} (٣) البقرة (٢): 143.

^{٣٢٧} (٤) البقرة (٢): 143.

^{٣٢٨} (٥) التوبة (٩): 119.

^{٣٢٩} (٦) مناقب آل أبى طالب: 4 / 194، 195.

(١) المحاسن: ١٥١.

(٢) النحل (١٦): ٤٣.

(٣) البقرة (٢): ١٤٣.

(٤) البقرة (٢): ١٤٣.

(٥) التوبة (٩): ١١٩.

(٦) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ١٩٤، ١٩٥.

ص: ١٤٤

و من ظلمهم و أعان على ظلمهم و كذبهم، فليس منى و لا معى و أنا منه برىء»^{٣٣٠}.

و حثّ (عليه السّلام) على الرجوع الى القرآن و السنّة، و أكّد مرجعيّة أهل البيت (عليهم السّلام) باعتبار أنّ سنّتهم امتداد للسنّة النبويّة الشريفة، و باعتبار أعلميّتهم بمنهج القرآن الكريم و سيرة النّبي العظيم؛ فإنّهم أهل بيت الوحي و الرّسالة فهم أدري بما فى البيت .

٣- خصائص الانتماء لأهل البيت (عليهم السّلام)

بيّن الإمام (عليه السّلام) خصائص الانسان الشيعى و هو الإنسان الموالى و المتّبع لأهل البيت (عليهم السّلام) تمييزاً له عمّن سواه ممّن يحمل شعار الولاء و المشايعة لهم، قال (عليه السّلام): «فو الله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله و اطاعه...»^{٣٣١}.

و قال أيضاً: «لا تذهب بكم المذاهب، فو الله ما شيعتنا إلّا من اطاع الله عزّ و جلّ»^{٣٣٢}.

و بيّن الخصائص الولائيّة و السلوكيّة للجماعة الصالحة من حيث علاقاتهم فيما بينهم و علاقاتهم مع الآخرين . فقال (عليه السّلام): «انما شيعة علىّ:

المتبازلون فى ولايتنا. المتحابون فى مودّتنا. المتزاورون لإحياء أمرنا.

الذين إذا غضبوا لم يظلموا. و إذا رضوا لم يسرفوا. بركة على من جاؤوا. سلم لمن خالطوا»^{٣٣٣}.

^{٣٣٠} (١) المحاسن: 155.

^{٣٣١} (٢) الكافي: 74 / 2.

^{٣٣٢} (٣) المصدر السابق: 73 / 2.

^{٣٣٣} (٤) تحف العقول: 220.

و قال أيضا: «إنما شيعة عليّ: من لا يعدو صوته سمعه، و لا شحناؤه بدنه، لا يمدح لنا قاليا . و لا يواصل لنا مبغضا. و لا يجالس لنا عائبا»^{٣٣٤}.

(١) المحاسن: ١٥٥.

(٢) الكافي: ٧٤ / ٢.

(٣) المصدر السابق: ٧٣ / ٢.

(٤) تحف العقول: ٢٢٠.

(٥) بحار الأنوار: ١٦٨ / ٦٥.

ص: ١٤٥

و قال أيضا: «إنما شيعة عليّ: الحلماء العلماء، الذبل الشفاه، تعرف الرهبانية على وجوههم»^{٣٣٥}.

و قال أيضا: «إنما المؤمن الذي إذا رضى لم يدخله رضاه في إثم و لا باطل، و إذا سخط لم يخرج سخطه من قول الحق، و الذي إذا قدر لم تخرجه قدرته إلى التعدي إلى ما ليس له بحق»^{٣٣٦}.

و بين (عليه السلام) اسس التقييم الموضوعي لمن يريد إثبات صحة انتمائه للجماعة الصالحة . و من هذه الاسس عرض الإنسان نفسه على كتاب الله.

قال (عليه السلام): «يا جابر و اعلم بأنك لا تكون لنا وليّا حتى لو اجتمع عليك أهل مصر، و قالوا: انك رجل سوء لم يحزنك ذلك، و لو قالوا: انك رجل صالح لم يسرك ذلك . و لكن اعرض نفسك على كتاب الله؛ فإن كنت سالكا سبيله زاهدا في تزهيد راعبا في ترغيبه خائفا من تخويفه فائت و أبشر، فإنه لا يضرك ما قيل فيك . و ان كنت مبائنا للقرآن فما الذي يغرك من نفسك؟!...»^{٣٣٧}.

و العلامة المميّزة لأفراد الجماعة الصالحة هي التزامهم بمبادئ القرآن الكريم و قيمه في مختلف مجالات الحياة الإسلامية، في العبادة و الارتباط بالله تعالى، و في العلاقات الاجتماعية، و قد بين ذلك بقوله (عليه السلام) - كما مرّ سابقا -:

^{٣٣٤} (٥) بحار الأنوار: 168 / 65.

^{٣٣٥} (١) بحار الأنوار: 189 / 65.

^{٣٣٦} (٢) الكافي: 234 / 2.

^{٣٣٧} (٣) تحف العقول: 206، مستدرك الوسائل: 460 / 1.

«فو الله ما شيعتنا إلا من اتقى الله و أطاعه، و ما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع و التخشع و الأمانة. و كثرة ذكر الله و الصوم و الصلاة. و البر بالوالدين و التعاهد للجيران من الفقراء، و أهل المسكنة، و الغارمين، و الأيتام . و صدق الحديث و تلاوة القرآن. و كفّ الألسن عن الناس إلا من خير. و كانوا امناء عشائريهم فى الأشياء»^{٣٣٨}.

(١) بحار الأنوار: ١٨٩ / ٦٥.

(٢) الكافي: ٢ / ٢٣٤.

(٣) تحف العقول: ٢٠٦، مستدرک الوسائل: ١ / ٤٦٠.

(٤) الكافي: ٢ / ٧٤.

ص: ١٤٦

ثانيا: الإمام الباقر (عليه السلام) و التزكية

١- مقومات التزكية عند الإمام الباقر (عليه السلام):

لا تتحقق التزكية إلا بعد أن تنطلق من القلب و الضمير و تتفاعل مع الشعور بخشية مستمرة و حذر دائم و توقّ من الرغائب و الشهوات، و المطاعم و المطامح، فلا بد و أن تكون شعورا فى الضمير، و حالة فى الوجدان، و ضعا فى المشاعر لتتهيأ النفوس لتلقى اسسها و تقريرها فى الواقع، و لهذا ركّز الإمام ام (عليه السلام) فى الجانب النظرى على أهم المقومات التى تدفع النفس للتزكية و هى:

أ- تحكيم العقل.

ب- تبعية الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية.

ج- استشعار الرقابة الإلهية.

د- التوجّه الى اليوم الآخر.

أ- تحكيم العقل:

ان الله تعالى خلق الانسان مزودا بعقل و شهوة، و منحه معرفة سبل الهداية من خلال البيانات و الحقائق الثابتة، و هو مكلف بإعداد القلب للتلقى و الاستجابة و التطلع الى افق اعلى و اهتمامات أرفع من الرغبات و الشهوات الحسّية، و لهذا ركّز

الإمام (عليه السلام) على تحكيم العقل على جميع الرغبات و الشهوات، ليكون للإنسان واعظ من نفسه يعينه على تزكية نفسه.

قال (عليه السلام): «من لم يجعل الله له من نفسه واعظا، فإن مواعظ الناس لن تغنى

ص: ١٤٧

عنه شيئا»^{٣٣٩}.

و قال أيضا: «من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه»^{٣٤٠}.

ب- تبعية الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية:

ان تكامل النفس لا يتم إلّا من خلال التطابق بين الإرادة الإنسانية و الإرادة الإلهية و ذلك باتباع المنهج الإلهي في الحياة، و هذا التطابق يحتاج الى مجاهدة الهوى و الهيمنة على الشهوات و تقييدها بقيود شرعية؛ فإن مجاهدة النفس تجعل الإنسان مستعدّا بالفعل لتلقّي الفيض الإلهي لإكمال نفسه و تزكيتها على أساس المنهج الربّاني للإنسان في هذه الحياة.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «يقول الله عزّ و جلّ: و عزّتي و جلالتي، لا يؤثر عبد هوأى على هواه إلّا جعلت غناه في قلبه، و همّه في آخرق ...»^{٣٤١}.

ج- استشعار الرقابة الإلهية:

لا تتم التزكية إلّا باستشعار الرقابة الإلهية في العقل و الضمير و الوجدان، و الإحساس بأنّ الله تعالى محيط بالإنسان، يحصى عليه حركاته و سكناته، و لهذا ركّز الإمام الباقر (عليه السلام) على هذه الرقابة لتكون هي الدافع لاصلاح النفس و تزكيتها، ففي موعظته لجماعة من أنصاره قال : «ويلك ... كلّما عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت اليه و أقدمت بجهلك عليه، فارتكبتك كأنك لست بعين الله، أو كأن الله ليس لك بالمرصاد! ...»^{٣٤٢}.

(١) تحف العقول: ٢١٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) جامع الأخبار: ٢٧٠.

(٤) تحف العقول: ٢١٢.

^{٣٣٩} (١) تحف العقول: 214.

^{٣٤٠} (٢) المصدر السابق.

^{٣٤١} (٣) جامع الأخبار: 270.

^{٣٤٢} (٤) تحف العقول: 212.

د- التوجّه الى اليوم الآخر:

إن التوجه الى الحياة الاخرى الخالدة يمنع الانسان من الانحراف و يدفعه لتخليص النفس من ربة الشهوات و ظلمة المطامع و أدناس الهوى.

و قد وجّه الإمام (عليه السلام) الجماعة الصالحة الى ذلك اليوم ليجعلوه نصب أعينهم ليكون حافزا لهم لاصلاح النفس و تركيتها، و مما جاء فى موعظته لجماعة منهم قوله (عليه السلام): «... يا طالب الجنة ما أطول نومك و أكل مطيتك، و أوهى همك، فله أنت من طالب و مطلوب!

و يا هاربا من النار ما أحت مطيتك إليها و ما أكسبك لما يوقعك فيها!

يا ابن الأيام الثلاث: يومك الذى ولدت فيه، و يومك الذى تنزل فيه قبرك، و يومك الذى تخرج فيه إلى ربك، فياله من يوم عظيم! يا ذوى الهيئة المعجبة و الهيم المعطنة ما لى أرى أجسامكم عامرة و قلوبكم دامرة؟!»^{٣٤٣}.

و بين الإمام (عليه السلام) ان الدنيا دار بلاء و امتحان، و ان هذا الابتلاء يتناسب مع درجة إيمان الإنسان فقال: «إنما يبتلى المؤمن فى الدنيا على قدر دينه»^{٣٤٤}.

٢- منهج التزكية عند الإمام الباقر (عليه السلام)

رسم الإمام (عليه السلام) للجماعة الصالحة منهجا واقعيا متكاملا و شاملا لتزكية النفس و تربيتها بحيث يكون كفيلا بتحقيقها عند مراعاته بشكل دقيق.

و تتحدد معالم هذا المنهج بالنقاط التالية:

(١) تحف العقول: ٢١٢، ٢١٣.

(٢) جامع الاخبار: ٣١٣.

أ- الارتباط الدائم بالله تعالى

^{٣٤٣} (١) تحف العقول: ٢١٢، ٢١٣.

^{٣٤٤} (٢) جامع الاخبار: ٣١٣.

الارتباط بالله تعالى والاستسلام له والعزم على طاعته من شأنه أن يمحص القلوب، و يطهر النفوس، لأنه ينقل الإنسان من مرحلة التفكير والتدبر في عظمة الله تعالى و هيمنته و رقابته الى مرحلة العمل الصالح في ظل هذا التدبر، فالعزم يتبعه العون منه تعالى، و يتبعه التثبيت على المضى في طريق تزكية النفس.

و الارتباط بالله تعالى يبدأ بمعرفته التي تحول بين الإنسان و بين مخالفة ربه و خالقه، قال (عليه السلام): «ما عرف الله من عصاه»^{٣٤٥}.

فإن المعرفة تنتج الحبّ و الحبّ الصادق يحول بين الإنسان و بين مخالفة محبوبه.

و الارتباط بالله تعالى يتجسد في مراتب عديدة منها : حسن الظن بالله و رجاء رحمته، فقد روى عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنه قال: «و الذي لا اله إلا هو ما اعطى مؤمن قط خير الدنيا و الآخرة إلا بحسن ظنه بالله و رجائه له و حسن خلقه و الكف عن اغتياب الناس»^{٣٤٦}.

و يتحقق الارتباط بالله تعالى أيضا عن طريق المداومة على العبادات و قد حثّ الإمام (عليه السلام) الجماعة الصالحة على كثرة العبادّة، حتى جعلها احدى خصائصهم - كما تقدم-.

و حثّ (عليه السلام) على قراءة القرآن الكريم و السير على منهاجه.

كما حثّ (عليه السلام) على جعل الروابط و العلاقات الاجتماعية قائمة على أساس القرب و البعد من الله تعالى، فقد أورد أحاديث لرسول الله (صلى الله عليه و اله) تؤكد

(١) تحف العقول: ٢١٥.

(٢) الكافي: ٧٢ / ٢.

ص: ١٥٠

على ذلك و منها قوله (صلى الله عليه و اله): «ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، و من أحبّ في الله، و أبغض في الله، و أعطى في الله، و منع في الله؛ فهو من أصفياء الله»^{٣٤٧}.

ب- الاقرار بالذنب و التوبة

ان منهج أهل البيت (عليهم السلام) يهدف الى علاج النفوس البشرية، و استجاشة عناصر الخير فيها، و الى مطاردة عوامل الشر و الضعف و الغفلة.

^{٣٤٥} (١) تحف العقول: 215.

^{٣٤٦} (٢) الكافي: 72 / 2.

^{٣٤٧} (١) المحاسن: 263.

و الطبيعة البشرية قد تستقيم مرة و تنحرف مرة أخرى، و لهذا فإنَّ العودة الى الاستقامة تقتضى محاسبة النفس باستمرار، و الاقرار بالأخطاء، ثم التوبة، و العزم على عدم العود، و لذا أكّد الإمام (عليه السّلام) على هذه المقومات، و بدأ بالاقرار بالذنب كمقدمة للنجاء منه، فقال (عليه السّلام): «و الله ما ينجو من الذنب إلّا من أقرّ به»^{٣٤٨}.

و قال (عليه السّلام): «كفى بالندم توبة»^{٣٤٩}.

و الاقرار يتبعه الغفران بعد طلبه من الله تعالى، قال (عليه السّلام): «لقد غفر الله لرجل م ن أهل البادية بكلمتين دعا بهما قال: اللهم إن تعذّبنى فأهل ذلك أنا، و إن تغفر لى فأهل ذلك أنت، فغفر له»^{٣٥٠}.

و التوبة تمحى الذنب فيعود الانسان من خلالها الى الاستقامة ثانية، قال (عليه السّلام): «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، و المقيم على الذنب و هو مستغفر منه كالمستهزئ»^{٣٥١}.

(١) المحاسن: ٢٦٣.

(٢) الكافي: ٢ / ٣١١.

(٣) وسائل الشيعة: ١٦ / ٥٩.

(٤) المصدر السابق: ١٦ / ٦٠.

(٥) الكافي: ٢ / ٣١٦.

ص: ١٥١

ج- الحذر من التورّط بالذنوب

الحذر و الحيطة من الذنوب ضرورة ملحة في تركية النفس، و هى تتطلب الدقة في تناول كل خالجه و كل حركة و كل موقف، و تتطلب التحليل الشامل للأسباب و الظواهر، و العوامل المسببة للموقف، و تعالى بالنفس فى ميادينها الباطنية، و لهذا دعا الإمام (عليه السّلام) الى الحذر و الحيطة من جميع الممارسات فقال : «انّ الله خبأ ثلاثة أشياء فى ثلاثة اشياء : خبأ رضاه فى طاعته، فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعلّ رضاه فيه، و خبأ سخطه فى معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعلّ سخطه فيه، و خبأ أولياءه فى خلقه، فلا تحقرن أحداً فلعلّه ذلك الولي»^{٣٥٢}.

^{٣٤٨} (٢) الكافي: ٢ / 311.

^{٣٤٩} (٣) وسائل الشيعة: ١6 / 59.

^{٣٥٠} (٤) المصدر السابق: ١6 / 60.

^{٣٥١} (٥) الكافي: ٢ / 316.

^{٣٥٢} (١) كشف الغمة: 2 / 148.

و دعا (عليه السّلام) الى الاحتياط فى القول فى الحكم على الاشخاص و الاعمال و الممارسات فقال : «لا يسلم أحد من الذنوب حتى يخزن لسانه»^{٣٥٣}.

و قال (عليه السّلام) لاحد أصحابه: «يا فضيل بلغ من لقيت من موالينا عنا السّلام، و قل لهم: إني أقول: أنى لا أغنى عنكم من الله شيئا إلّا بورع، فاحفظوا سنتكم، و كفّوا أيديكم، و عليكم بالصبر و الصلاة؛ ان الله مع الصابرين»^{٣٥٤}.

د- تعميق الحياء الداخلى

ان موجبات التزكية كامنة فى النفس ذاتها، قبل التأثر بالعوامل الخارجية، و التزكية ليست مجرد كلمات و رؤى نظرية بل هى ممارسة و سلوك عملي، يجب ان تنطلق من داخل النفس الانسانية، و لا بد ان يتسلّح الانسان

(١) كشف الغمة: ١٤٨ / ٢.

(٢) تحف العقول: ٢١٨.

(٣) تفسير العياشي: ٦٨ / ١.

ص: ١٥٢

بالواعز الذاتى الذى يصده عن فعل القبيح، و لذا أكّد الإمام (عليه السّلام) على الحياء لأنه حصن حصين يردع الأهواء و الشهوات من الانطلاق اللامحدود، قال (عليه السّلام): «الحياء و الإيمان مقرونان فى قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»^{٣٥٥}.

ه- كسر الألفة بين الانسان و سلوكه الجاهلى

حينما يعتاد الانسان على السلوك الجاهلى فإنه سيأنس به، و يألّفه حتى يصبح و كأنه جزء من كيانه، ترضاه نفسه، و يقبله قلبه، و لهذا فهو بحاجة الى كسر هذه الألفة و هذا الأنس إن أراد أن يزكّى نفسه و يسمو بها الى مشارف الكمال، و لذا أكّد الإمام (عليه السّلام) على بعض الخطوات التى تكسر هذه الألفة، فقال: «ان الله يبغيض الفاحش المتفحش»^{٣٥٦}.

و زرع فى النفس كراهية الطمع و الرغبات المذلة، فقال: «بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده، و بئس العبد عبد له رغبة تذله»^{٣٥٧}.

^{٣٥٣} (٢) تحف العقول: 218.
^{٣٥٤} (٣) تفسير العياشي: 68 / 1.
^{٣٥٥} (1) تحف العقول: 217.
^{٣٥٦} (2) الكافي: 245 / 2.
^{٣٥٧} (3) وسائل الشيعة: 24 / 16.

و من أجل زرع الكراهية للشر روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «ألا إن شرار امتي الذين يكرمون مخافة شرهم، الا و إن من أكرمه الناس اتقاء شره فليس مني»^{٣٥٨}.

و قال (عليه السلام): «... إن أسرع الشر عقوبة البغي، و كفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، و أن يأمر للناس بما لا يستطيع التحول عنه، و أن يؤدي جليسه بما لا يعنيه»^{٣٥٩}.

فإذا كسرت الالفه بين الانسان و سلوكه الجاهلي فإنه سيقلع عنه، و يكون مهياً لتقبل السلوك الاسلامي.

(١) تحف العقول: ٢١٧.

(٢) الكافي: ٢ / ٢٤٥.

(٣) وسائل الشيعة: ١٦ / ٢٤.

(٤) الخصال: ١ / ١٥.

(٥) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٨٦.

ص: ١٥٣

و- ازالة الحاجز النفسي بين الانسان والسلوك السليم

قد يحدث حاجز نفسي بين الانسان و السلوك السليم بسبب ضغط الأهواء و الشهوات، أو بسبب الهواجس و الوسوس المطبقة عليه، و سوء التصور، و رواسب الجاهلية، و الضعف البشري، فلا بد من ازالة هذه الحواجز أولاً ثم التمرين على ممارسة السلوك السليم ثانياً.

فقد حَبَّب الإمام (عليه السلام) الى اصحابه السلوك الصالح، بربطه بالعبادة و طلب العون من الله تعالى، فقال: «ما من عبادة أفضل من عفة بطن و فرج، و ما من شيء أحب الى الله من أن يسأل، و ما يدفع القضاء إلّا الدعاء، و إن أسرع الخير ثواباً البر...»^{٣٦٠}.

و حَبَّب الى النفوس حسن الخلق و الرفق، فقال: «من اعطى الخلق و الرفق، فقد اعطى الخير كله، و الراحة، و حسن حاله في دنياه و آخرته، و من حرم الرفق و الخلق كان ذلك له سبيلاً الى كل شر و بليّة إلّا من عصمه الله تعالى»^{٣٦١}.

^{٣٥٨} (٤) الخصال: 1 / 15.

^{٣٥٩} (٥) مختصر تاريخ دمشق: 23 / 86.

^{٣٦٠} (1) مختصر تاريخ دمشق: 23 / 86.

^{٣٦١} (2) حلية الاولياء: 3 / 187.

و حَبَّبَ الى نفوس أصحابه الأدب و حسن السيرة، فقال: «ما استوى رجلان في حسب و دين قط إلّا كان أفضلهما عند الله آديهما»^{٣٦٢}.

و روى (عليه السلام) عن الإمام عليّ (عليه السلام) قوله: «انّ من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا»^{٣٦٣}.

و حتّ (عليه السلام) على أداء العبادات المندوبة لكي تتجذر في النفوس و في الارادة، لأنها تساعد على اصلاح النفس و تركيتها، و بين ثواب من عمل بها،

(١) مختصر تاريخ دمشق: ٨٦ / ٢٣.

(٢) حلية الاولياء: ١٨٧ / ٣.

(٣) مختصر تاريخ دمشق: ٨٥ / ٢٣.

(٤) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٦.

ص: ١٥٤

و استمر على أدائها في جميع الظروف و الأحوال.

و حتّ على التمرّن على الأخلاق الفاضلة و الخصائص الحميدة، فقال (عليه السلام): «عليكم بالورع و الاجتهاد، و صدق الحديث، و أداء الأمانة الى من ائتمنكم عليها برا كان أو فاجرا، فلو أن قاتل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ائتمنى على أمانة لأديتها اليه»^{٣٦٤}.

ثالثا: المنهج التتقيفي عند الإمام الباقر (عليه السلام)

العلم خير وسيلة لتجلية حقيقة التصور الاسلامي، و المنهج الإلهي في الحياة الانسانية . و هو الوسيلة المثلى لتوجيه الجماعة الصالحة للارتفاع بها الى مستوى الامانة العظيمة التي ناطها الله بها . و لذا كان أهل البيت (عليهم السلام) يتشدّدون مع الجماعة الصالحة في أمر تلقي العلوم المرتبطة بالعقيدة و الشريعة من مصادرها الأصيلة و هي القرآن و السنة الشريفة.

و في منهج الإمام الباقر (عليه السلام) التتقيفي و التعليمي المعد للجماعة الصالحة نلاحظ التأكيد على الامور التالية:

١- الحث على طلب العلم

^{٣٦٢} (٣) مختصر تاريخ دمشق: 85 / 23.

^{٣٦٣} (٤) وسائل الشيعة: 12 / 16.

^{٣٦٤} (١) تحف العقول: 219.

حَثَّ الإمام (عليه السَّلام) على طلب العلم، و خصوصاً علم الفقه فقال : «الكمال كل الكمال: التفقه في الدين، و الصبر على النائبة و تقدير المعيشة»^{٣٦٥}.

و حَثَّ (عليه السَّلام) على السؤال باعتباره مفتاح العلم، و روى عن

(١) تحف العقول: ٢١٩.

(٢) الكافي: ٣٢ / ١.

ص: ١٥٥

رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «العلم خزائن و مفتاحها السؤال، فاسئلوا يرحمكم الله، فانه يؤجر فيه أربعة : السائل، و المعلم، و المستمع، و المجيب لهم»^{٣٦٦}.

٢- موقع العلماء المتميّز و فضلهم

بيّن الإمام الباقر (عليه السَّلام) فضل العالم و قدّمه على العابد، لأن العلم الحقيقي يجعل الانسان على وعى كامل بالحقائق و التصورات و بالاحداث و المواقف، فلا يختلط عليه أمر بأمر و لا موقف بموقف فيكون قادراً على التمييز و التشخيص، و إصابة الواقع في جميع مجالاته، قال (عليه السَّلام): «عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد»^{٣٦٧}.

و قال (عليه السَّلام): «و الله لموت عالم أحبّ الى ابليس من موت سبعين عابدا»^{٣٦٨}.

و بيّن (عليه السَّلام) خصائص العالم فقال : «إنّ الفقيه حق الفقيه : الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، المتمسك بسنة النبي»^{٣٦٩}.

٣- الاخلاص في طلب العلم

حَثَّ (عليه السَّلام) على إخلاص النية في طلب العلم، بأن يكون الهدف النهائي من طلبه للعلم هو الوصول الى الحق، و تقريره في عقول الناس و قلوبهم تقرباً الى الله تعالى، و تجسيدا لمنهجيه في الحياة.

قال (عليه السَّلام): «من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يمارى به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس اليه، فليتبوء مقعده من النار، إنّ الرئاسة لا تصلح إلّا لأهلها»^{٣٧٠}.

^{٣٦٥} (٢) الكافي: 32 / 1.

^{٣٦٦} (١) حلية الاولياء: 192 / 3.

^{٣٦٧} (٢) المصدر السابق: 183 / 3.

^{٣٦٨} (٣) تذكرة الخواص: 304.

^{٣٦٩} (٤) الكافي: 70 / 1.

^{٣٧٠} (٥) المصدر السابق: 47 / 1.

(١) حلية الأولياء: ٣ / ١٩٢.

(٢) المصدر السابق: ٣ / ١٨٣.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٠٤.

(٤) الكافي: ١ / ٧٠.

(٥) المصدر السابق: ١ / ٤٧.

ص: ١٥٦

٤- ضرورة نشر العلم و تنقيف الناس

حث الإمام (عليه السلام) على نشر العلم و تعليمه للناس، و إشاعته في الأوساط المختلفة، نهى عن كتمانها، بقوله (عليه السلام): «من علّم باب هدى فله أجر من عمل به، و لا ينقص أولئك من أجورهم شيئا ...»^{٣٧١}.

و قال (عليه السلام): «رحم الله عبدا أحيا العلم ... يذاكر به أهل الدين و أهل الورع»^{٣٧٢}.

و جعل على العلم زكاة فقال: «زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله»^{٣٧٣}.

كما جعل تذاكره و مدارسته صلاة، فقال: «تذاكر العلم دراسة، و الدراسة صلاة حسنة»^{٣٧٤}.

٥- مزالق و آفات المتعلّمين

ان الانسان مهما اوتي من علم فإنه يبقى بحاجة الى المزيد، و يبقى في كثير من الأحيان جاهلا ببعض الحقائق، لذا حثّ الإمام (عليه السلام) على الاحتياط في الاجابة لكي يأمن الانحراف، و لا تؤدي الى تغيير الآخرين، قال (عليه السلام):

«الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، و تركك حديثا لم تروه خير من روايتك حديثا لم تحصه»^{٣٧٥}.

و قال: «ما علمتم فقولوا، و ما لم تعلموا فقولوا: الله اعلم، ان الرجل لينتزع الآية من القرآن يخرف فيها أبعد ما بين السماء و الأرض»^{٣٧٦}.

و جعل هذا الاحتياط حقا لله على العباد، فقال: «حق الله على العباد: أن

^{٣٧١} (١) الكافي: ١ / 35.

^{٣٧٢} (٢ و ٣ و ٤) المصدر السابق: ١ / 41.

^{٣٧٣} (٢ و ٣ و ٤) المصدر السابق: ١ / 41.

^{٣٧٤} (٢ و ٣ و ٤) المصدر السابق: ١ / 41.

^{٣٧٥} (٥) المصدر السابق: ١ / 50.

^{٣٧٦} (٦) المصدر السابق: ١ / 42.

(١) الكافي: ٣٥ / ١.

(٢) و ٣ و ٤ المصدر السابق: ٤١ / ١.

(٥) المصدر السابق: ٥٠ / ١.

(٦) المصدر السابق: ٤٢ / ١.

ص: ١٥٧

يقولوا ما يعلمون، و يقفوا عند ما لا يعلمون»^{٣٧٧}.

٦- المرجعية العلمية

من الحقائق المشهورة عند المسلمين أنّ علياً (عليه السلام) أعلم الصحابة بكتاب الله و سنة رسوله (صلى الله عليه و اله)، و هو باب علم الرسول (صلى الله عليه و اله)، و قد علّم أبناءه ما تعلّمه من رسول الله (صلى الله عليه و اله) و كانوا يتوارثون العلم فيما بينهم، من هنا كان أهل البيت (عليهم السلام) أعلم الناس بالقرآن و السنة، و لهذا أكّد الإمام الباقر (عليه السلام) على مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) العلمية، و بيّن أن علمهم موروث منذ آدم الى يومه هذا، فقال : «ان العلم الذي نزل مع آدم (عليه السلام) لم يرفع، و العلم يتوارث، و كان عليّ (عليه السلام) عالم هذه الامة، و انه لم يهلك منّا عالم قط إلّا خلفه من أهله من علم مثل علمه، أو ما شاء الله»^{٣٧٨}.

و بيّن اختصاص أهل البيت (عليهم السلام) بعلم القرآن ظاهره و باطنه فقال : «ما يستطيع أحد ان يدعى أنّ عنده جميع القرآن كلّ ظاهره و باطنه غير الاوصياء»^{٣٧٩}.

كما بيّن أنّ علمهم (عليهم السلام) علم صائب، فقال : «ليس عند أحد من الناس حقّ و لا صواب و لا أحد من الناس يقضى بقضاء حقّ إلّا ما خرج منّا أهل البيت»^{٣٨٠}.

و قد أثبت الواقع أهليّتهم (عليهم السلام) للمرجعية العلمية العامّة للمسلمين جميعاً، فكانوا مقصد العلماء من جميع أمصار العالم الاسلامي.

و كان (عليه السلام) يحث الجماعة الصالحة على الرجوع لأهل البيت الأطهار

(١) الكافي: ٤٣ / ١.

^{٣٧٧} (١) الكافي: ٤٣ / ١.
^{٣٧٨} (٢) المصدر السابق: ٢٢٢ / ١.
^{٣٧٩} (٣) المصدر السابق: ٢٢٨ / ١.
^{٣٨٠} (٤) المصدر السابق: ٣٩٩ / ١.

(٢) المصدر السابق: ٢٢٢ / ١.

(٣) المصدر السابق: ٢٢٨ / ١.

(٤) المصدر السابق: ٣٩٩ / ١.

ص: ١٥٨

تجسيدا لهذه المرجعية و تحصينا لهم من الزيغ و الانحراف^{٣٨١}.

و كان أيضا يرشد اصحابه الى مراجعة العلماء الذين أخذوا العلم من أهل البيت (عليهم السلام) و اتقنوا فنونه و اسسه و قواعده^{٣٨٢}.

٧- المؤسسات الثقافية

كان للإمام الباقر (عليه السلام) دور كبير في توسيع المؤسسات الثقافية، فقد أسس عدة مدارس في أهم الامصار الإسلامية:

✳ مدرسة المدينة: و كان يشرف عليها مباشرة، و ينتقى منها الفقهاء ليواصلوا حمل العلم و نشره.

✳ مدرسة الكوفة: و كان يشرف عليها من تتلمذ على يديه، و تخرج من مدرسته، و قد اثمرت هذه المدرسة في نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) و ارجاع الناس اليهم، حتى اعترف الحاكم الاموي هشام بن عبد الملك بهذه الحقيقة، فقد أشار إلى الإمام (عليه السلام) قائلا: هذا المفتون به أهل العراق^{٣٨٣}.

و لذا أمر الامويون بمنع أهل العراق من الالتقاء بالإمام (عليه السلام)^{٣٨٤}.

✳ مدرسة قم: و كان يشرف عليها بعض من تتلمذ على يدى الإمام (عليه السلام) و هى متفرعة من مدرسة الكوفة.

و تأثرت بمدرسة الكوفة و قم مدارس اخرى في الشرق الإسلامي، كمدرسة الرى و خراسان^{٣٨٥}.

(١) المحاسن: ٢١٣.

(٢) بحار الانوار: ٣٢٨ / ٤٦.

(٣) مختصر تاريخ دمشق: ٧٩ / ٢٣.

^{٣٨١} (١) المحاسن: 213.
^{٣٨٢} (٢) بحار الانوار: 328 / 46.
^{٣٨٣} (٣) مختصر تاريخ دمشق: 79 / 23.
^{٣٨٤} (٤) المصدر السابق: 83 / 23.
^{٣٨٥} (٥) دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة: 1 / 133.

(٤) المصدر السابق: ٨٣ / ٢٣.

(٥) دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة: ١ / ١٣٣.

ص: ١٥٩

و هنالك مدارس جواله كان يؤسسها طلابه أينما حلوا و هى محدوده بحدود عدد الأفراد المشرفين و بمقدار الاستجابة لهم من قبل الناس.

و المؤسسات الثقافية كان لها دور كبير فى تخريج الفقهاء و المبلغين من مختلف الأمصار.

و كانت أساليب الإمام التثقيف متنوعة، بعضها ذو طابع فردى و الآخر ذو طابع جماعى . كما كان التثقيف يتم عن طريق التدريس، و اخرى عن طريق الرسائل و الوصايا.

و لم يكن تثقيفه و تعليمه مقتصرًا على الفقه و الاصول أو العلوم الدينية بشكل خاص، بل كان شاملا لجميع العلوم المعروفة آنذاك^{٣٨٦}.

رابعاً: الإمام الباقر (عليه السلام) و إحياء الروح الثورية فى الامة

كانت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ذات دور كبير فى إحياء الروح الثورية، و إلهاب الحماس فى النفوس المؤمنة بالله و رسوله ضدّ الحكّام الظالمين، و لهذا نشط الإمام الباقر (عليه السلام) ليجعل الثورة حيّة تمنح الناس طاقة ثورية لخوض المواجهة فى وقتها و ظرفها المناسب.

و قد تجسّد إحياءه للروح الثورية هذه فى مظهرين:

الأول: اقامة الشعائر الحسينية

كان الإمام (عليه السلام) يقوم بنفسه باحياء الشعائر الحسينية، حيث كان يقيم مجالس العزاء فى منزله، دون معارضة من قبل الحكّام الامويين لأنهم لا يستطيعون منع مجلس عزاء يقيمه الإمام (عليه السلام) على جدّه، و لأنهم كانوا

(١) الإرشاد: ٢٦٤.

ص: ١٦٠

يحاولون إلقاء اللوم فى قتل الحسين و أهل بيته و صحبه على آل أبى سفيان.

و تجسّدت الشعائر الحسينية بالممارسات التالية:

^{٣٨٦} (١) الإرشاد: 264.

١- الحزن وإقامة مجالس العزاء : شجّع الإمام على البكاء لمصاب جدّه الإمام الحسين (عليهما السّلام) و أهل بيته، و الأبرار من صحابته من أجل أن تتجدّر الرابطة العاطفية به (عليه السّلام) في المشاعر، و كان يقول : «من ذرفت عيناه على مصاب الحسين و لو مثل البعوضة غفر الله له ذنوبه»^{٣٨٧}.

٢- الزيارة: حثّ الإمام الباقر (عليه السّلام) على زيارة قبر جدّه الإمام الحسين (عليه السّلام) لتعميق الارتباط به شخصا و منهجا، و استلهاهم روح الثورة منه، و معاهدته على الاستمرار على نهجه.

و كان يؤكّد لمحبيه و المؤمنين بقيادته الاهتمام بها، و يقول : «مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي، و زيارته مفروضة على من أقرّ للحسين بالإمامة»^{٣٨٨}.

و أكّد (عليه السّلام) على لزوم اقتران حب أهل البيت (عليهم السّلام) بزيارة قبر الحسين (عليه السّلام) كما جاء في قوله : «من كان لنا محبّا فليرغب في زيارة قبر الحسين (عليه السّلام)، فمن كان للحسين زوّارا عرفناه بالحب لنا أهل البيت»^{٣٨٩}.

٣- إنشاء الشعر: كما كان (عليه السّلام) يشجع على قول الشعر في الإمام الحسين (عليه السّلام) و قد بذل من أمواله لنوادب يندبن بمنى أيام الموسم^{٣٩٠}.

و قد أثمر هذا الحثّ إحياء روح الثورة و النهوض، حتى أن الثورات

(١) بحار الأنوار: ٩٨ / ١.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٣ / ٤٤.

(٣) المصدر السابق: ٩٨ / ٤.

(٤) مقتل الحسين للمقرّم: ١٠٦.

التي انطلقت بعد عصر الإمام الباقر (عليه السّلام) كانت تنطلق في عاشوراء؛ إذ كان الثّوار يتزوّدون من قبره (عليه السّلام) ثم ينطلقون بثورتهم و حركتهم المسلّحة غالبا.

(١) بحار الأنوار: ٩٨ / ١.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٣ / ٤٤.

(٣) المصدر السابق: ٩٨ / ٤.

(٤) مقتل الحسين للمقرّم: ١٠٦.

٣٩١ گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، ١٤٢٥ هـ.ق.

التانى: إحياء الإيمان بقضية الإمام المهدي (عليه السلام)

إن الصراع بين الإسلام و الجاهلية، و بين الحق و الباطل لا ينتهى ما دام كل منهما موجودا و له كيان و قيادة و أنصار . و يستمر الصراع الى أن ينتصر الحق على الباطل فى نهاية الشوط . و يمثل ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) و ثورته ضد الظلم العالمى الشامل آخر حلقة من حلقات الصراع المستمرة حيث يختفى الباطل و لا يبقى له كيان مستقل.

و انتظار الإمام المهدي الثائر (عليه السلام) هو حركة ايجابية و تعبير عن حيوية الروح الثورية و هو يتطلب تعبئة الافكار و الطاقات للاشتراك فى علمية الخلاص و الانقاذ الشامل.

و قد اكّ جميع الائمة من أهل البيت (عليهم السلام) على هذه الحقيقة لا سيما الإمام الباقر (عليه السلام)؛ و ذلك لكى تتعمق هذه القضية الكبرى فى العقول و النفوس جميعا.

قال (عليه السلام): «أنما نجومكم كنجوم السماء كلما غاب نجم طلع نجم حتى اذا أشرتم بأصابعكم، و ملتم بحواجيبكم غيب الله عنكم نجمكم و استوت بنو عبد المطلب فلم يعرف أى من أى فإذا طلع نجمكم، فاحمدوا ربكم»^{٣٩٢}.

و اعتبر ثورة الإمام المهدي (عليه السلام) من الأمر الإلهي المحتوم، حين قال:

«من المحتوم الذى حتمه الله قيام قائمنا»^{٣٩٣}.

(١) بحار الأنوار: ١٣٨ / ٥١.

(٢) المصدر السابق: ١٣٩ / ٥١.

ص: ١٤٢

و قال (عليه السلام): «لا تزالون تمدّون أعناقكم الى الرجل منّا تقولون هو هذا، فيذهب الله به، حتى يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون ولد أم لم يولد، خلق أو لم يخلق»^{٣٩٤}.

و كان يهوى الاذهان للتعبئة الى ذلك اليوم و يقول : «إذا قام قائمنا و ظهر مهدينا كان الرجل أجراً من ليث و أمضى من سنان»^{٣٩٥}.

خامسا: الإمام الباقر (عليه السلام) و تشخيص هوية الجماعة الصالحة

^{٣٩٢} (١) بحار الأنوار: 138 / 51.

^{٣٩٣} (٢) المصدر السابق: 139 / 51.

^{٣٩٤} (١) بحار الأنوار: 140 / 51.

^{٣٩٥} (٢) حلية الأولياء: 184 / 3.

اهتم الإمام الباقر (عليه السلام) بتشخيص هوية الجماعة الصالحة، و تمييزها عن غيرها من الهويات التي ترافق سائر الوجودات و الكيانات و التيارات القائمة في الواقع.

و قد كان للجماعة الصالحة وجود مميز من حيث الاسم و الصفات و من حيث الولاء و الاقتداء، و من حيث التقييم و الدرجة و المرتبة من بين الدرجات و المراتب، فهي تنتمي الى الإسلام أولا و الى منهج أهل البيت ثانيا.

و تشخيص الهوية له آثار ايجابية على تجذر الانتماء و إدامته، و له آثار عملية على الافكار و العواطف و الممارسات السلوكية، حيث انها تتبع الانتماء، و تتحرك على ضوء الاهداف المحددة للهوية المشخصة، و من هذه الآثار:

١- الشعور بالانتماء و هو أمر فطري يدفع الانسان للاعتزاز بانتمائه، لأنه يشعر بأن شخصيته و وجوده يحددها الانتماء و الهوية الظاهرة.

٢- ان لتشخيص الهوية دورا كبيرا من وحدة الاهداف و وحدة البرامج، و وحدة المصير، و وحدة المصالح، و لهذه الوحدة دور أساسي في

(١) بحار الأنوار: ٥١ / ١٤٠.

(٢) حلية الأولياء: ٣ / ١٨٤.

ص: ١٤٣

تحريك المنتمين الى العمل الجاد و الحركة الدؤوبة لتحقيق الأهداف المنشودة و التضحية من أجلها.

٣- ان لتشخيص الهوية دورا كبيرا في تعميق علاقات الاخوة داخل الجماعة الصالحة، و دفعها نحو التآزر و التكاتف و التعاون من أجل رفع مستواها الفكري و السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي، كما يمنحها القوة و المنعة و العزة.

٤- إن تشخيص الهوية و الشعور بالانتماء الموحد يدفع الحركة باتجاه توسيع قاعدتها الشعبية على أساس تقوية مظاهر الهوية في الواقع الموضوعي و يدفعها نحو التنافس المشروع مع الوجودات القائمة لربط بقية أفراد الامة بالمفاهيم و القيم الصالحة، و تجسيدها في الواقع.

محاور الانتماء في الجماعة الصالحة

الإسلام هو المحور الاساسي للانتماء عند الجماعة الصالحة، و هو المحرك الأول للعمل و الحركة و للسلوك و للعلاقات، و المصلحة الإسلامية العليا هي الحاكمة على جميع المصالح.

و الإسلام هو الانتماء الاساسي الذي يدفع بالمنتمين إليه نحو التعالي على الأواصر الضيقة و الروابط الثانوية، و يوجه الانظار و المواقف الى الهدف المشترك و الى الافق الأرحب الذي تنضوي تحته جميع الانتماءات، لتكون العلاقات في ظله

قائمة على أساس التكافل و التراحم و التناصح، و الأمانة و العدل و السماحة و المودة و الاحسان، و هذه العلاقات تتطلب التحرر من ضغط القيم و الاوضاع المحدودة، و المصالح و المطامع الذاتية العارضة.

ص: ١٤٤

و الإسلام هو الانتماء الأرحب الذى يضم جميع من نطق بالشهادتين، فهو فى رأى الإمام الباقر (عليه السلام): «... و الإسلام ما عليه التناكح و التوارث و حقنت به الدماء»^{٣٩٦}.

و على ذلك فإن الجماعة الصالحة هى جزء من المجتمع الاسلامى الكبير بمختلف تياراته و مذاهبه الفكرية و السياسية، و مسؤولة عن الحفاظ على هذا الوجود من التصدع.

و الفكر المشترك أو العقيدة المشتركة بين الجماعة الصالحة و سائر الجماعات القائمة هى : الايمان بالله و رسله و كتبه، و الايمان برسالة خاتم الأنبياء (صلّى الله عليه و اله) و الايمان بيوم القيامة.

و الانتماء الى منهج أهل البيت (عليهم السلام) هو الهوية المشخصة للجماعة الصالحة لتمييزها عن غيرها من الجماعات التى تنتمى الى مناهج اخرى.

و الانتماء الى أهل البيت (عليهم السلام) يعنى الولاء لهم بجميع مراتبه و مصاديقه المتمثلة فى حبهم و نصرتهم، و الاستسلام لأوامرهم و نواهيهم التى هى أوامر الله و رسوله للإنسان المسلم على مدى الحياة و فى جميع مجالات الحياة؛ بحيث تكون العقول و القلوب و الأفعال منسجمة مع منهجهم العقائدى و السياسى فى آن واحد، لأنهم الامتداد الحقيقى للرسالة الإسلامية و هم القيمون على المنهج الإلهى الذى أرسى دعائمه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فى حديث الثقلين و غيره من النصوص النبوية الشريفة . و من هنا قال الإمام الباقر (عليه السلام): «نحن أهل بيت الرحمة و شجرة النبوة و معدن الحكمة، و مختلف الملائكة و مهبط الوحي»^{٣٩٧}.

و هذا الانتماء يجعل جميع أفراد الجماعة الصالحة مكلفين بأداء دور القدوة ازاء الانتماء الرحب و هو الإسلام، فينبغى أن يكونوا قدوة لغيرهم،

(١) تحف العقول: ٢١٧ - ٢١٨.

(٢) الارشاد: ٢٤٤.

ص: ١٤٥

^{٣٩٦} (١) تحف العقول: 217 - 218.

^{٣٩٧} (٢) الارشاد: 266.

و قد وصفهم الإمام (عليه السلام) في أحاديث متقدمة بمواصفات خاصة و منها : طاعة الله، و التقوى، و أداء الواجبات و اجتناب المحرمات، و حسن الخلق، و حسن السيرة، و أكد على أن هذا الانتماء لا يتحقق إلّا بالتقوى و الورع و العمل الصالح.

مشخصات الهوية

الأول: الاسم

أطلق الإمام الباقر (عليه السلام) تبعا لآبائه و أجداده (عليهم السلام) عددا من الاسماء و العناوين لتشخيص هوية الجماعة الصالحة و فرزها و تمييزها عن غيرها في خضم الالتباس في المفاهيم و الخلط في العناوين، و منها^{٣٩٨}.

١- شيعة عليّ.

٢- شيعة فاطمة.

٣- شيعة آل محمد.

٤- شيعة ولد فاطمة.

و اسم الشيعة هو مورد اعتزاز الجماعة الصالحة لمشايعتهم أهل البيت (عليهم السلام) المطهّرين من كل رجس و دنس.

و قد بشر الإمام الباقر (عليه السلام) افراد الجماعة الصالحة بهذا الاسم، فعن أبي بصير، قال : «ليهنكم الاسم، قلت : ما هو جعلت فداك؟ قال : «و إن من شيعته لإبراهيم »^{٣٩٩} و قوله: فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ^{٤٠٠}، فليهنكم الاسم^{٤٠١}.

(١) بحار الأنوار: ٤٨، ٤٠، ٥٦ / ٦٥ / ١٤.

(٢) الصافات (٣٧): ٨٣.

(٣) القصص (٢٨): ١٥.

(٤) بحار الأنوار: ١٢ / ٦٥ / ١٣ - ١٢.

^{٣٩٨} (١) بحار الأنوار: ١٤ / ٦٥ / ٤٨، ٤٠، ٥٦.

^{٣٩٩} (٢) الصافات (٣٧): ٨٣.

^{٤٠٠} (٣) القصص (٢٨): ١٥.

^{٤٠١} (٤) بحار الأنوار: ١٢ / ٦٥ / ١٣ - ١٢.

فهذا الاسم اسم شريف سَمِيَ به الله تعالى أتباع الأنبياء السابقين.

و أقرّ (عليه السلام) اسم الرافضة على الجماعة الصالحة بعد أن سمّاهم به اتباع السلطان، فحينما شكى اليه بعض أصحابه هذه التسمية قال له: «و أنا من الرافضة» قالها ثلاثاً^{٤٠٢}.

و عن أبي بصير، قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام): جعلت فداك اسم سمّينا به استحلّلت به الولاة دماءنا و أموالنا و عذابنا قال: و ما هو، قال: الرافضة، فقال أبو جعفر (عليه السلام): «انّ سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأَتوا موسى (عليه السلام) فلم يكن في قوم موسى (عليه السلام) أشدّ اجتهاداً و لا أشدّ حباً لهارون منهم، فسمّاهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله الى موسى: أن ثبتّ لهم هذا الاسم في التوراة، فإنّي قد نحلّتهم، و ذلك اسم قد نحلّكموه الله»^{٤٠٣}.

و هنالك أسماء اخرى ذكرها الإمام الباقر (عليه السلام) و هي: المؤمن و الموالى^{٤٠٤}.

الثاني: الصفات

وصف الإمام الباقر (عليه السلام) أفراد الجماعة الصالحة بمواصفات خاصة تشخصهم بها عن غيرهم^{٤٠٥} و منها:

١- أصحاب اليمين.

٢- خير البرية.

٣- أولياء الله.

(١) المحاسن: ١٥٧.

(٢) المصدر السابق: ١٥٧.

(٣) بحار الأنوار: ١٦ / ٦٥.

(٤) المصدر السابق: ٢٩ / ٦٥، ٣٠، ٥٨، ٤٤.

ص: ١٦٧

٤- شرط الله.

٥- أعوان الله.

^{٤٠٢} (١) المحاسن: 157.

^{٤٠٣} (٢) المصدر السابق: 157.

^{٤٠٤} (٣) بحار الأنوار: 16 / 65.

^{٤٠٥} (٤) المصدر السابق: 29 / 65، 30، 58، 44.

النالت: منزلة الجماعة الصالحة

ذكر الإمام (عليه السلام) للجماعة الصالحة التي تحمل اسم شيعة أهل البيت (عليهم السلام) منزلة و مرتبة في كلتا الحياتين: الدنيا و الآخرة.

١- منزلة الجماعة الصالحة في الحياة الدنيا : ان الجماعة الصالحة مرّت بمراحل من التمحيص في داخل النفس و في مكنون الضمير، و في الواقع العملي، فخرجت مستقرة على الحق، و اتبعت منهج أهل البيت (عليهم السلام) في وقت كان فيه قاداته مطاردين ملاحقين محاصرين من جهات شتى، و استقرارها على الحق هذا جعل لها منزلة و مرتبة في دار الاختبار و الامتحان، و قد أوضح الإمام (عليه السلام) هذه الفضيلة بقوله: «ان الله عزّ و جلّ أعطى المؤمن ثلاث خصال: العزّ في الدنيا و الدين، و الفلج في الآخرة، و المهابة في صدور العالمين»^{٤٠٦}.

و دخل الإمام المسجد الحرام فوجد فيه جماعة من أصحابه، فدنا منهم و سلّم ثم قال لهم: «و الله اني لأحبّ ربحكم و أرواحكم ... انتم شرط الله، و أنتم أعوان الله، و أنتم أنصار الله، و أنتم السابقون الأولون و السابقون الآخرون ... قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ألا و إن لكل شيء شرفا، و شرف الدين الشيعة، ألا و إن لكل شيء عمادا و عماد الدين الشيعة، ألا و إن لكل شيء سيّدا و سيّد المجالس مجلس شيعتنا ...»^{٤٠٧}.

و الجماعة الصالحة هي المعيار العملي في الولاء لأهل البيت (عليهم السلام)

(١) بحار الأنوار: ١٦ / ٦٥.

(٢) بشاره المصطفى: ١٦.

ص: ١٦٨

لقرّنه (عليه السلام): «كونوا النمرقة الوسطى يرجع اليكم الغالى و يلحق بكم التالى»^{٤٠٨}.

٢- منزلة الجماعة الصالحة في الحياة الآخرة : إن للجماعة الصالحة منزلة في الحياة الاخرى، لأنها اجتازت الامتحان الإلهي بنجاح، و ثبتت على المنهج الإلهي في جميع الأبعاد : في الفكر و العاطفة و السلوك، و بذلت الغالى و النفيس دفاعا عن القيم الإسلامية الثابتة التي ارسى دعائمها القرآن و رسول الإسلام (صلّى الله عليه و اله) و أهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

و من هذه المنازل و المراتب هي كرامتهم عند الله تعالى، قال الإمام الباقر (عليه السلام): «ان الله سبحانه يبعث شيعتنا يوم القيامة من قبورهم ... و وجوههم كالقمر ليلة البدر، مسكنة روعاتهم، مستورة عوراتهم، قد اعطوا الأمن و الأمان، يخاف

^{٤٠٦} (١) بحار الأنوار: 16 / 65.

^{٤٠٧} (٢) بشاره المصطفى: 16.

^{٤٠٨} (١) بحار الأنوار: 178 / 65.

الناس و لا يخافون، و يحزن الناس و لا يحزنون، يحشرون على نوق لها أجنحة من ذهب تتلألأ، قد ذللت من غير ريا ضة أعناقها من ياقوت أحمر، ألين من الحرير، لكرامتهم على الله»^{٤٠٩}.

قال (عليه السلام): «و فى شيعه ولد فاطمه أنزل الله هذه الآية خاصة **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»^{٤١٠، ٤١١}.

و روى (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «ان عليا و شيعته هم الفائزون»^{٤١٢}.

و هذه المنازل و المراتب سينالها أفراد الجماعة الصالحة المتبعين منهج ائمتهم المطيعين لله تعالى إذ جسّدوا القيم الإلهية فى واقع الحياة.

(١) بحار الأنوار: ١٧٨ / ٤٥.

(٢) بشاره المصطفى: ٥٥، ٥٦.

(٣) الزمر (٣٩): ٥٣.

(٤) قرب الاسناد: ٢٩.

(٥) بحار الأنوار: ٣١ / ٤٥.

ص: ١٦٩

سادسا: الإمام الباقر (عليه السلام) و العلاقات فى نظام الجماعة الصالحة

الجماعة الصالحة لها قيادة و طليعة و قاعدة ترتبط فيما بينها بعلاقات تحددها المفاهيم و القيم الحاكمة على جميع الافراد و من مختلف المستويات.

و لكل من مراتب الجماعة علاقات مع الجماعات الاخرى تحددها الاهداف و المصالح المشتركة ضمن الافق الأرحب و المصير الأكبر.

و تربطها علاقات مع اتباع الاديان الاخرى من المعاهدين و أهل الذمة.

١- العلاقات داخل الجماعة الصالحة

^{٤٠٩} (٢) بشاره المصطفى: ٥٥، ٥٦.

^{٤١٠} (٣) الزمر (٣٩): ٥٣.

^{٤١١} (٤) قرب الاسناد: ٢٩.

^{٤١٢} (٥) بحار الأنوار: ٣١ / ٤٥.

أ- العلاقة بين القيادة والطبيعة : القيادة تتمثل في الإمام المعصوم (عليه السلام) الذي يشرف على بناء و توجيه الجماعة الصالحة، و تنظيم شؤونها المختلفة، و هو المرجع في إصدار الأوامر و اتخاذ الخطط و القرارات.

و بما ان الجماعة الصالحة لها امتداد في جميع البلدان و الامصار، لذا فإن العلاقة بين أفرادها و بين الإمام (عليه السلام) تكون عن طريق الطبيعة الواعية المخلصة و التي تتمثل بالوكلاء، و هم المقربون من الإمام (عليه السلام) و المختصون به، و هم بدورهم يشرفون على باقي افراد الجماعة.

و قد كان الإمام (عليه السلام) يخصص كثيرا من وقته لتوجيه الطبيعة و ارشادها عن طريق اللقاءات المباشرة اليومية، و اللقاءات الدورية، و عن طريق المراسلات.

ص: ١٧٠

ب- العلاقة بين القيادة و القاعدة : كانت للإمام (عليه السلام) علاقات مباشرة و غير مباشرة مع قواعده في المدينة، و في مختلف الامصار، و كان أهل المدينة و غيرهم يلتقون به و يزورونه، و كان يقوم (عليه السلام) بزيارتهم و الالتقاء بهم، أما المقيمون في بلدان اخرى فكانوا يلتقون به في موسم الحج و غيره، و كان (عليه السلام) يرأسل بعضهم، لتدوم العلاقة بينه و بينهم، و قد رسم لهم منهاجا في العلاقات، و جعل عليهم أن يزوروه، حين قال (عليه السلام): «إنما امر الناس أن ياتوا هذه الاحجار، فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم و يعرضوا علينا نصرهم»^{٤١٣}.

و قال أيضا: «تمام الحج لقاء الإمام»^{٤١٤}.

و كانت العلاقة مستمرة بين الإمام (عليه السلام) و القاعدة عن طريق الطبيعة (الوكلاء)، و عن طريق المراسلة.

ج- العلاقة بين الافراد : حث الإمام (عليه السلام) على ادامة العلاقة بين افراد الجماعة الصالحة، و قال: «تزاوخوا في بيوتكم، فإن ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبدا أحبب أمرنا»^{٤١٥}.

و نهى (عليه السلام) عن المقاطعة و الهجران فقال: «ما من مؤمنين اختلفا فوق ثلاث إلاً و برئت منهما في الثالثة»، فقليل له: يا ابن رسول الله هذا حال الظالم، فما بال المظلوم؟ فقال (عليه السلام): «ما بال المظلوم لا يصير الى الظالم؟ فيقول: أنا الظالم حتى يصطلحا»^{٤١٦}.

(١) الكافي: ٤ / ٥٤٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الخصال: ١ / ٢٢.

^{٤١٣} (١) الكافي: ٤ / ٥٤٩.

^{٤١٤} (٢) المصدر السابق.

^{٤١٥} (٣) الخصال: ١ / ٢٢.

^{٤١٦} (٤) المصدر السابق: ١ / ١٨٣.

(٤) المصدر السابق: ١ / ١٨٣.

ص: ١٧١

اسس العلاقات الداخلية

أ- طاعة الإمام (عليه السلام): الإمام المعصوم هو القائد الرباني للجماعة الصالحة، وهو المشرف على جميع شؤونها، و ان جميع البرامج و الخطط لا يمكن تحقيقها بالصورة المشروعة إلّا بالرجوع اليه و امتثال أوامره و الاخلاص له في النصيحة، و قد روى الإمام الباقر (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّه قال: «ما نظر الله عزّ و جلّ الى ولى له يجهد نفسه بالطاعة لإمامه و النصيحة إلّا كان معنا في الرفيق الاعلى»^{٤١٧}.

ب- قاعدة الحب في الله و البغض في الله : و روى الإمام الباقر (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّه قال: «ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، و من أحبّ في الله، و أبغض في الله، و أعطى في الله، و منع في الله فهو من أصفياء الله»^{٤١٨}.

ج- اخلاص المودة: إن الحب و المودة هي أساس العلاقات داخل الجماعة الصالحة؛ لذا قال (عليه السلام): «و اخلاص مودتك للمؤمن»^{٤١٩}.

د- الايثار من أجل حقوق الاخوان: قال (عليه السلام): «أشرف أخلاق الأئمة و الفضليين من شيعتنا استعمال التقية و أخذ النفس بحقوق الاخوان»^{٤٢٠}.

(١) الكافي: ١ / ٤٠٤.

(٢) المحاسن: ٢٦٣.

(٣) تحف العقول: ٢١٣.

(٤) جامع الاخبار: ٢٥٢.

ص: ١٧٢

هـ- التكافل الاجتماعي

و- التناصر و التآزر

^{٤١٧} (١) الكافي: ١ / 404.

^{٤١٨} (٢) المحاسن: 263.

^{٤١٩} (٣) تحف العقول: 213.

^{٤٢٠} (٤) جامع الاخبار: 252.

ز- ادامة العلاقة: قال (عليه السلام): «ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة: أن تعفو عمن ظلمك، و تصل من قطعك، و تحلم إذا جهل عليك»^{٤٢١}.

و قال (عليه السلام): «ان المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه و لا يحرمه و لا يسىء به الظن»^{٤٢٢}.

٢- العلاقات مع الجماعات الإسلامية الأخرى

١- إنَّ التعايش و الانفتاح مع عامة المسلمين و جمهورهم الذين ليس لهم عداً لأهل البيت (عليهم السلام)- و إن كانوا لا يرون لهم حق الولاية و الإمامة- هو من سيرة الإمام (عليه السلام) و قد كانت للجماعة الصالحة علاقات واسعة مع جماعات عديدة من المسلمين.

٢- العلاقة السلبية مع اعداء أهل البيت (عليهم السلام): إنَّ المقاطعة هي السمة الغالبة للعلاقات مع من نصب العداً لأهل البيت (عليهم السلام)، و يلحق بها مقاطعة أصحاب البدع، و الغلاة، و أعوان النظام الجائر ممن أبغض أهل البيت (عليهم السلام).

و درجة المقاطعة تتحكم بها الظروف عادة، فإذا كانت الظروف غير مؤاتية فالمصانعة هي العلاقة المختارة، فقد قال (عليه السلام): «صانع المنافق بلسانك»^{٤٢٣}.

٣- إنَّ المشاركة في النشاطات العامة التي فيها مصلحة للإسلام و مصلحة الجماعة الصالحة هي أمر مطلوب و محمود و لا يضر بالانتماء لأهل البيت (عليهم السلام).

(١) تحف العقول: ٢١٤.

(٢) المصدر السابق: ٢١٦.

(٣) المصدر السابق: ٢١٣.

ص: ١٧٣

٣- العلاقة مع أهل الذمة

رسم الإمام (عليه السلام) منهجاً لعلاقة الجماعة الصالحة مع أهل الذمة، على أساس المعاشة و عدم الاعتداء، قال (عليه السلام): «... فإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم، و حرمت أموالهم و حلت لنا مناكحتهم»^{٤٢٤}.

^{٤٢١} (١) تحف العقول: 214.

^{٤٢٢} (٢) المصدر السابق: 216.

^{٤٢٣} (٣) المصدر السابق: 213.

^{٤٢٤} (١) تحف العقول: 210، و المعروف عند علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أن النكاح الجائز مع أهل الذمة هو النكاح المؤقت فحسب

و قال (عليه السلام): «ما من رجل آمن رجلا على ذمة ثم قتله إلّا جاء يوم القيامة يحمل لواء الغدر»^{٤٢٥}.

و حرّم (عليه السلام) الاعتداء على أموالهم و ممتلكاتهم بغصب أو سرقة أو غش^{٤٢٦}.

و أوصى باحترام احكامهم الفقهية و المدينة و أحكام القضاء و الموارد، و ان كانت مخالفة للشريعة الإسلامية^{٤٢٧}.

٤- العلاقة مع الكفار

إنّ العلاقة مع الكفار قائمة على أساس قاعدة البراءة، و هي المفاصلة بين الإسلام و الكفر، فلا تجوز المعاونة لهم بأى لون، و يحرم إسنادهم بأى شكل من أشكال الإسناد.

و البراءة تستدعى المقاومة بل المواجهة معهم أحيانا، و لذا كان (عليه السلام) يشجع على بيع السلاح لمن يحارب به الكفار و ان كان مخالفا أو معاديا لأهل

(١) تحف العقول: ٢١٠، و المعروف عند علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أن النكاح الجائز مع أهل الذمة هو النكاح المؤقت فحسب.

(٢) الكافي: ٣١ / ٥.

(٣) المصدر السابق: ٥ / ٥٦٨.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٦: ٣١٩.

ص: ١٧٤

البيت (عليهم السلام) و للجماعة الصالحة؛ فإنّ هذا العمل فى رأى الإمام (عليه السلام) يتم به دفع العدو المشترك، و إبعاد خطره الذى يهدّد الكيان الاسلامى.

سابعاً: الإمام الباقر (عليه السلام) و النظام الأمنى للجماعة الصالحة

أولى الإمام (عليه السلام) اهتماما خاصا بالنظام الأمنى للجماعة الصالحة، حفاظا على سلامة أفرادها و كيانها من التصدّع أو التصفية الجسدية، ليبقى أفرادها أحرار فى حركتهم الاصلاحية و التغييرية . و الاحتياط و الحذر الأمنى له آثار ايجابية على سلامة العقيدة و سلامة الشريعة و سلامة القيم الإسلامية، فإنّ أى خلل فى الوضع الأمنى يؤدى الى سجن أو قتل أو تهجير من له تأثير ايجابى فى الامة، و بالتالى يكون خير فرصة للمنحرفين لنشر عقائدهم و افكارهم لبلبله الأفكار و خلق الاضطراب فى العقول و القلوب و النفوس، بعد خلو الميدان من المصلحين الذين ينتمون الى الجماعة الصالحة.

^{٤٢٥} (٢) الكافي: ٣١ / ٥.

^{٤٢٦} (٣) المصدر السابق: ٥ / ٥٦٨.

^{٤٢٧} (٤) وسائل الشيعة: ٢٦: ٣١٩.

و الاهتمام بالنظام الأمنى يضمن للجماعة الصالحة بقاء القيادة و هى المعصومة (عليه السلام) بين ظهرائهم، ترشدهم و توجيههم و تربيتهم، و تعلّمهم أحكام الدين و سبل الشريعة.

و للنظام الأمنى معالم و مظاهر يمكن تحديدها فى النقاط التالية:

١- التقيّة

التقية عملية مشروعة لما لها من آثار ايجابية على سير الجماعة الصالحة و توجيه حركتها نحو اصلاح الواقع و تغييره دون عرقلة أو منع أو تحجيم.

و للتقية موارد عديدة تحددها طبيعة الظروف المحيطة بالفرد

ص: ١٧٥

و بالجماعة الصالحة، من حيث القوة و الضعف، و من حيث موقف الحكام و أجهزته من الإمام (عليه السلام) و من الجماعة الصالحة.

و القاعدة الاساسية فى استخدام التقية هى قول الإمام (عليه السلام): «التقية فى كل ضرورة»^{٤٢٨}.

فالضرورة هى التى تحدّد استثمارها و استخدامها من حيث الوجوب و الاستحباب، و من حيث المرّة و التكرار.

و الهدف من التقية هو حقن الدماء و حفظها فى مواقف ليست ضرورية، و ليس لها تأثير على سير حركة الاصلاح و التغيير، أمّا إذا لم تحقق هدفها ذاك فلا ينبغى ممارستها.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): «إنما جعلت التقية ليحقن بها الدماء، فإذا بلغ الدّم فلا تقيّة»^{٤٢٩}.

و من موارد التقية:

أ- كتمان المعتقد بالاسلام إذا كان المجتمع مجتمعا غير اسلامى محاربا للمسلمين، و كتمان المعتقد بمذهب أهل البيت (عليه السلام) إذا كان المجتمع مخالفا أو معاديا لهم، و يستحل قتل أو تعذيب من يروج له أو يعلن الانتماء اليه.

أو كان الاعلان عن المعتقد يؤدى الى عزل المؤمن عن المجتمع و عدم التأثير بقوله و فعله، أى فى حال عرقلة مهمة الاصلاح و التغيير.

ب- كتمان الأحكام الفقهية إن أدّت الى الضرر الكبير.

ت- كتمان الآراء السياسية.

^{٤٢٨} (١) بحار الأنوار: 399 / 72.

^{٤٢٩} (٢) المصدر السابق: 399 / 72.

ث - كتمان الأسرار السياسية.

(١) بحار الأنوار: ٧٢ / ٣٩٩.

(٢) المصدر السابق: ٧٢ / ٣٩٩.

ص: ١٧٦

ج - كتمان البرامج و الخطط المعدة لاصلاح الواقع و تغييره.

و التقيّة قد تكون بكتمان هذه الموارد، أو التظاهر بغيرها . و بعبارة اخرى: ان التقيّة هي المصانعة مع المخالفين أو المعادين للجماعة الصالحة تخلصاً من عدوانهم و أذاهم، أو إضرارهم بالعمل.

و التقيّة هي الموقف المتوازن بين الانعزال عن المجتمع و الابتعاد عن ميدان الاصلاح و التغيير، و بين المواجهة و الصراع، لأنّ عدم ممارستها يؤدي الى واحد من الموقفين، و في كليهما لا يحقق الانسان اهدافه في الحياة الاج تماعية، و قد يؤدي احيانا الى النكوص و التراجع أو التخلّي نهائيا عن المنهج السليم، أو الانحراف عنه.

فالانعزال قد يؤدي الى الوقوع في حبال الغلو، و التحول إلى الباطنية كما حدث للحركة الاسماعيلية.

و المواجهة قد تؤدي الى الضعف أمام أساليب الإرهاب و الإغراء و الخداع و التضليل ان كانت الجماعة الصالحة غير مهيئة لخوض غمار الصراع و المواجهة.

و قد استطاع الإمام (عليه السلام) أن يحافظ على أمن الجماعة الصالحة بتأكيده على التقيّة، حيث استطاع أن يوسّع قاعدته الشعبية، و يرفد الجماعة الصالحة بأفراد جدد، و بكوادر جديدة، و استطاع أن ينشر علوم أهل البيت (عليه السلام) و ان يشيع الفضائل و المكارم في المجتمع، دون ان يمنح للحكّام فرصة لاغتياله أو اعتقاله أو منعه من نشاطاته العامة في التدريس، و اللقاءات، و الزيارات.

و التقيّة قد تتوقف احيانا و في حدود خاصة على تظاهر الانسان بالجنون حفاظا على نفسه و الجماعة التي ينتمي اليها، و هي حالة نادرة أمر بها الإمام (عليه السلام) جابر بن يزيد الجعفي، حيث كتب اليه كتابا في ذلك، فلما دخل

ص: ١٧٧

الكوفة، لم ير ضاحكا و لا مسرورا، و تظاهر بالجنون، و بعد أيام من كتاب الإمام (عليه السلام) جاء كتاب هشام بن عبد الملك يأمر بقتله، فتركه الوالي و لم يقتله، بعد أن أخبره الناس بجنونه^{٤٣٠}.

٢- كتمان الاسرار

ان الظروف المحيطة بالإمام (عليه السلام) و بالجماعة الصالحة جعلت الإمام (عليه السلام) يأمر بكتمان الاسرار، قال (عليه السلام): «اكتنموا اسرارنا و لا تحمّلوا الناس على أعناقنا»^{٤٣١}.

و الجماعة الصالحة محاطة بجماعات و تيارات و أجهزة أمنية تتابع أقوالها و أفعالها و ممارساتها العملية، و تستثمر الثغرات و الفرص المتاحة لتشويه سمعتها في عقيدتها و في أحكامها و في سلوكها، و تحجيم دورها في الحياة؛ و لهذا فهي بحاجة الى عناية اضافية بكتمان الاسرار، سواء كانت ممّا يتعلق بفضائل و مكارم أهل البيت (عليهم السلام) التي لا تتحملها عقول المخالفين، أو ممّا يتعلق بتنظيم الجماعة الصالحة من حيث العدة و العدد، و أسماء الوكلاء، أو الطليعة المؤثرة على سير الأحداث، أو كانت من أسرار العلاقات و اللقاءات، أو الأسرار السياسية المتعلقة بالبرامج و الخطط الموضوعة لاصلاح و تغيير الواقع السياسي و الاجتماعي، أو الأسرار المتعلقة بساعات التنفيذ و ما شابه ذلك.

فالإمام (عليه السلام) كان يتكتم على المواقف المهمة، فحينما حرّم الدخول الى السلاطين و التعاون معهم، كان هذا التحريم محدودا لم يبلغ به إلّا

(١) بحار الأنوار: ٢٨٣ / ٤٦.

(٢) المصدر السابق: ٢٢٥ / ٧١.

ص: ١٧٨

المقربين منه.

و كان يخطط لثورة زيد دون أن تعلم به السلطات، و دون علم كثير من أفراد الجماعة الصالحة، و كان يكتفي بمدح شخصية زيد ليوجه الانظار بصورة غير مباشرة اليه و الى مواقفه المستقبلية.

و كان يثنى على المختار مقرأ بثورته و ولائه لأهل البيت (عليهم السلام) و لكن في نطاق محدود أمام بعض أصحابه.

و لم يعلن (عليه السلام) عن إمامة الإمام الصادق (عليه السلام) إلّا في نطاق محدود لمن كان يثق به و يعتمد عليه في عدم كشف السرّ إلّا في وقته المناسب.

٣- التوازن في العلاقة مع الحكّام

إنّ مقاطعة الحاكم الجائر هي إحدى الخصائص التي اختص بها أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، و قد كانت ارشادات و أوامر الإمام الباقر (عليه السلام) الى أفراد الجماعة الصالحة تؤكد على المقاطعة في جميع صورها، لأنّ العمل مع الجائر يؤدى الى احتمالات واقعية، هي:

أ- تقويته و دعم أركان دولته المنحرفة.

^{٤٣١} (٢) المصدر السابق: 225 / 71.

ب- ممارسة الاعمال المنحرفة التي يميلها الواقع المنحرف.

ت- تأثر العامل معه- فى بعض الأحيان- بالاغراء المتنوع، بالأموال و المناصب و الجاه، و قد يؤدى هذا إلى التخلي عن الانتماء الى الجماعة الصالحة.

ث- تحول العامل الى عدو للجماعة الصالحة فى بعض الاحيان.

ص: ١٧٩

و لهذا أمر (عليه السلام) بمقاطعة الحاكم الجائر^{٤٣٢}. و جعل العمل مع الجائر دليلا على كراهية الجنة، تشديدا منه على عدم الدخول معه فى الاعمال. عن عقبه ابن بشير الأسدى، قال: دخلت على أبى جعفر (عليه السلام) فقلت له: انى من الحسب الضخم من قومى، و ان قومى كان لهم عريف فهلك، فأرادوا ان يعرفونى عليهم، فما ترى لى؟

قال (عليه السلام): «فإن كنت تكره الجنة و تبغضها، فتعرف على قومك، يأخذ سلطان جائر بإمرئ مسلم يسفك دمه، فتشركهم فى دمه، و عسى أن لا تنال من دنياهم شيئا»^{٤٣٣}.

و على الرغم من أوامره فى مقاطعة الحاكم الجائر إلا أنه راعى المصلحة الإسلامية العليا فى موارد عديدة، فجوّز (عليه السلام) بيع السلاح أو حمله إلى اتباع السلطان^{٤٣٤} للمساهمة فى ردّ أعداء الكيان الإسلامى، و لإثبات حسن التعامل للحاكم إن سمع أو لاحظ هذه الإسناد.

و كان (عليه السلام) لا يمتنع إن دعاه الحاكم للقاء به، و لا يمنع أصحابه من ذلك، حفاظا على أمنهم، لأنّ التمرد على طلبه قد يؤدى الى كشف نواياهم فى المعارضة و عدم الرضى بحكمه.

و لم يمنع (عليه السلام) أفراد الجماعة الصالحة من المشاركة فى الغزوات التى كان يقودها حكام الجور المسلمون فى مختلف الأزمان.

(١) كفاية الأثر: ٢٥١.

(٢) رجال الكشي: ٢٠٤.

(٣) الكافي: ١١٢ / ٥.

ص: ١٨٠

٤- مراعاة المستويات المختلفة

^{٤٣٢} (١) كفاية الأثر: 251.

^{٤٣٣} (٢) رجال الكشي: 204.

^{٤٣٤} (٣) الكافي: 112 / 5.

راعى الإمام (عليه السلام) فى أوامره و تعليماته، و فى اشراك أفراد الجماعة الصالحة فى النشاطات و الاعمال المختلفة، تفاوت مستويات الأفراد المختلفة من حيث الطاقات و الامكانيات، و من حيث الوعى و الادراك، و درجة التحمل، و القدرة على أداء الواجب أو الاستمرار فى الأعمال، و حدّد لكل فرد مستواه؛ لكي يكلف بقدر مستواه.

عن سدير قال: قال لى أبو جعفر (عليه السلام): «ان المؤمنين على منازل، منهم على واحدة، و منهم على اثنين، و منهم على ثلاث، و منهم على أربع، و منهم على خمس، و منهم على ست، و منهم على سبع، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة تنتين لم يقو، و على صاحب التنتين ثلاثا لم يقو، و على صاحب الثلاث أربعا لم يقو...»^{٤٣٥}.

و كذا الحال فى اعطاء الاسرار المتعلقة بالفضائل و الكرامات لأهل البيت (عليهم السلام) أو الاسرار السياسية، فلكل فرد حسب طاقته العقلية و العاطفية و البدنية.

ثامنا: الإمام الباقر (عليه السلام) و النظام الاقتصادى للجماعة الصالحة

للاقتصاد دور كبير فى حركة الامم و الجماعات، من حيث النمو و الثبات و التكامل، و مدّها بالقدرة على مواجهة الصعاب التى تقع فى طريق النمو و التكامل، فهو أحد العوامل الاساسية فى بناء الحضارات و رفدها باسّس البقاء و الاستمرار، حتى ان الإسلام فى جميع مراحلها لم يحقق أهدافه القريبة أو البعيدة إلّا بالاستعانة بالاقتصاد، و بالمال الذى هو العصب الاساسى له.

(١) الكافي: ٢ / ٤٥.

ص: ١٨١

و أكّد الإمام الباقر (عليه السلام) فى توجيهاته و ارشاداته للجماعة الصالحة على أهمية المال فى نجاح أعمالها، و استقامة شؤونها، و قوة كيائها، فقال (عليه السلام):

«... هى الدنانير و الدراهم خواتيم الله فى أرضه، جعلها الله مصلحة لخلقه، و به تستقيم شؤونهم و مطالبهم»^{٤٣٦}.

التأكيد على أهمية العامل الاقتصادى

و حتّ الإمام (عليه السلام) على العمل لكسب الرزق، و الاستغناء عن الناس.

حين حتّ على التجارة و الزراعة و الصناعة و على تعلم الحرفة، و كان (عليه السلام) يعمل بنفسه و يرى انّ فى العمل طاعة لله، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال:

^{٤٣٥} (١) الكافي: ٢ / ٤٥.

^{٤٣٦} (١) أمالي الطوسي: ٢ / ١٢٣.

إنَّ مُحَمَّدَ بنَ المنكدر كان يقول : ما كنت أرى أنَّ عليَّ بنَ الحسين (عليه السَّلام) يدع خلفا أفضل منه، حتى رأيت ابنه محمد بن عليَّ (عليه السَّلام) فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه : بأى شيء وعظك؟ قال : خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة، فلقيني أبو جعفر محمد بن عليٍّ، وكان رجلا بادنا ثقيلا و هو متكئ على غلامين أسودين أو موليَّين، فقلت في نفسي:

سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، أما والله لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه فردَّ عليَّ بنهر، و هو يتصبَّب عرقا، فقلت : أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا أرايت لو جاء أهلك و أنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟

فقال (عليه السَّلام): لو جاءني الموت و أنا على هذه الحالة جائي و أنا في طاعة من طاعة الله عز و جل؛ اكفَّ بها نفسي و عيالي عنك و عن النَّاس، و إنما كنت أخاف أن لو جاءني الموت و أنا على معصية من معاصي الله.

(١) أمالي الطوسي: ١٢٣/٢.

ص: ١٨٢

فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني^{٤٣٧}.

و كان (عليه السَّلام) يستشهد بسيرة آبائه و أجداده للحث على العمل و طلب الرزق، فقد روى (عليه السَّلام): أن رجلا لقي أمير المؤمنين (عليه السَّلام) و تحته وسق من نوى، فقال له : ما هذا يا أبا الحسن تحتك؟ فقال : مائة عذق ان شاء الله، فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة^{٤٣٨}.

و كان ينهى عن الكسل و التقاعس عن العمل، و قد ج عل الكسل عن الآخرة ملازما للكسل عن طلب الدنيا، فقال : «إنِّي لأبغض الرجل - أو أبغض للرجل - أن يكون كسلانا عن أمر دنياه، و من كسل عن أمر دنياه، فهو عن أمر آخرته أكسل»^{٤٣٩}.

و بيّن ان الرزق من الله تعالى، و هو الذى حدّد لكل نفس رزقها، فما على الانسان إلّا السعى لطل به، قال (عليه السَّلام): «ليس من نفس إلّا و قد فرض الله عزّ و جلّ لها رزقا حلالا يأتيها في عافية، و عرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت شيئا من الحرام قاصّها به من الحلال الذى فرض لها، و عند الله سواهما فضل كثير، و هو قوله عزّ و جلّ : وَ سَتَلُوا اللَّعْنَ مِنْ فَضْلِهِ^{٤٤٠}...»^{٤٤١}.

^{٤٣٧} (١) الكافي: ٧٣/ ٥ - ٧٤.
^{٤٣٨} (٢) المصدر السابق: ٧٥/ ٥.
^{٤٣٩} (٣) المصدر السابق: ٨٥/ ٥.
^{٤٤٠} (٤) النساء (٤): ٣٢.
^{٤٤١} (٥) الكافي: ٨٠/ ٥.

و نهى عن جمع المال من المكاسب المحرمة و منها الغلول، فقد سأله عمّار بن مروان عنها فقال : «كل شيء غلّ من الإمام فهو سحت، و أكل مال اليتيم و شبهه سحت، و السحت أنواع كثيرة : منها أجور الفواجر، و ثمن الخمر و النبيذ، و المسكر، و الربا بعد البيّنة، فأما الرّشا فى الحكم، فإنّ ذلك الكفر باللّٰه العظيم و برسوله»^{٤٤٢}.

(١) الكافي: ٥ / ٧٣ - ٧٤.

(٢) المصدر السابق: ٥ / ٧٥.

(٣) المصدر السابق: ٥ / ٨٥.

(٤) النساء (٤): ٣٢.

(٥) الكافي: ٥ / ٨٠.

(٦) المصدر السابق: ٥ / ١٢٦.

ص: ١٨٣

و نهى (عليه السّلام) عن الرّبا لأن فيه غضبا لحقوق الآخرين، و إضعافا لروح الودّ و الإخاء، و أماتة لروح الزهد فى الدنيا و الاحسان للآخرين، و لذا اعتبره (عليه السّلام) من أخبث المكاسب، فقال (عليه السّلام): «أخبث المكاسب كسب الرّبا»^{٤٤٣}.

و لم يحدّد لانصاره العمل غير اللائق بهم و ان كان حلالا كالعمل فى الحجامه^{٤٤٤}.

التوازن بين طلب الرزق و طلب المكارم

حثّ الإمام (عليه السّلام) على العمل و طلب الرزق كمقدمة للاستغناء عن الناس، و إشباع النفس و العيال لكى يتفرغوا للهدف الكبير الذى خلقوا من أجله و هو حمل الأمانة الإلهية، و تبليغها للناس جميعا، و تقرير اسسها و قواعدها فى الواقع، فقد أراد من أتباعه التطلع الى افق أعلى، و الى اهتمامات أرفع لتكون القيم المعنوية هى الحاكمة على جميع تصرفاتهم المادية، و لكى لا ينساقوا وراء الشهوات و ينشغلوا بأشباعها، قال (عليه السّلام): «ان أهل التقوى هم الأغنياء، أغناهم القليل من الدنيا، فمؤنتهم يسيرة ... أخروا شهواتهم و لذاتهم خلفهم»^{٤٤٥}.

و بيّن دعاء له الأهداف المتوخاة من طلب الرزق و حدوده، و التوازن بينه و بين القيم المعنوية، و من دعائه قوله (عليه السّلام): «... اسألك اللهم الرفاهية فى معيشتى ما أبقيتنى، معيشة اقوى بها على طاعتك، و أبلغ بها رضوانك، و أصير بها

^{٤٤٢} (٦) المصدر السابق: ٥ / 126.

^{٤٤٣} (١) الكافي: ٥ / 147.

^{٤٤٤} (٢) المصدر السابق: ٥ / 116.

^{٤٤٥} (٣) تحف العقول: 209.

بمنك الى دار الحيوان، و لا ترزقنى رزقا يطغينى، و لا تبتلنى بفقر أشقى به، مضيقا علىّ، أعطنى حظا وافرا فى آخرتى، و معاشا واسعا هنيئا مريئا فى دنياى ...»^{٤٤٦}.

(١) الكافي: ١٤٧ / ٥.

(٢) المصدر السابق: ١١٦ / ٥.

(٣) تحف العقول: ٢٠٩.

(٤) بحار الأنوار: ٣٧٩ / ٩٤، طبعة ثانية: ٣٧٩ / ٩٧.

ص: ١٨٤

و بين (عليه السلام) الميزان الاقتصادى و المالى للجماعة الصالحة لتوزن به درجة قربها و بعدها عن العمل للآخرة فقال : «أنا لنحبّ الدنيا و لا نؤتاها، و هو خير لنا، و ما أوتى عبد منها شيئا إلّا كان أنقص لحظه فى الآخرة، و ليس من شيعتنا من له مائة ألف و لا خمسون ألفا و لا أربعون ألفا، و لو شئت أن أقول ثلاثون ألفا لقلت، و ما جمع رجل قط عشرة آلاف من حلّها»^{٤٤٧}.

و دعا (عليه السلام) الى الاقتصاد فى اشباع الرغبات و الشهوات لكى لا تصبح هدفا بذاتها، فقال (عليه السلام): «إذا شبع البطن طغى»^{٤٤٨}.

و قال أيضا: «ما من شيء أبغض الى الله عزّ و جلّ من بطن مملوء»^{٤٤٩}.

الموارد المالية للجماعة الصالحة

الأول: الزكاة: الزكاة هى أحد الموارد المالية للجماعة الصالحة، و هى عبادة اقتصادية أمر الله تعالى بها لاشباع الجياع و كسوتهم و رفع المستوى المعاشى للفقراء و المحتاجين، و ايجاد التوازن بين الطبقات لكى لا يحدث تفاوت فاحش بين مستويات الناس الاقتصادية، و لكى لا تتكدس الأموال عند طبقة معينة.

و قد حثّ (عليه السلام) على اعطاء الزكاة، و مما جاء فى ذلك قوله (عليه السلام): «فرض الله الزكاة مع الصلاة»^{٤٥٠}.

و بين (عليه السلام) الآثار المترتبة على منع الزكاة و منها منع البركات

^{٤٤٦} (4) بحار الأنوار: 379 / 94، طبعة ثانية: 379 / 97.

^{٤٤٧} (1) بحار الأنوار: 66 / 69، طبعة ثانية: 66 / 72.

^{٤٤٨} (2) الكافي: 270 / 6.

^{٤٤٩} (3) المصدر السابق.

^{٤٥٠} (4) الكافي: 498 / 3.

(١) بحار الأنوار: ٦٩ / ٦٦، طبعة ثانية: ٧٢ / ٦٦.

(٢) الكافي: ٦ / ٢٧٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكافي: ٣ / ٤٩٨.

ص: ١٨٥

فقال (عليه السلام): «وجدنا في كتاب عليّ (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركايتها»^{٤٥١}.

و من آثار منعها في الحياة الاخرى هو العذاب الإلهي، قال (عليه السلام): «إن الله تبارك و تعالى يبعث يوم القيامة ناسا من قبورهم مشدودة أيديهم الى اعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنملة، معهم ملائكة يعيرونهم تعييرا شديدا، يقولون:

هؤلاء الذين منعوا خيرا قليلا من خير كثير، هؤلاء الذين اعطاهم الله، فمنعوا حق الله في أموالهم»^{٤٥٢}.

الثاني: الخمس: حث الإمام (عليه السلام) على اعطاء الخمس لأنه فريضة ثابتة في الشريعة الإسلامية، و هي حق ثابت فمن لم يعطه فقد أكل حقا، و من تصرف به فقد تصرف بأموال ليست له، قال (عليه السلام): «من اشترى شيئا من الخمس لم يعذره الله، اشترى ما لا يحل له»^{٤٥٣}.

و قال (عليه السلام): «لا يحل لأحد أن يشتري من الخمس شيئا حتى يصل إلينا حقنا»^{٤٥٤}.

و قد بين (عليه السلام) هذا الحق المغتصب و غيره من الحقوق، و أوضح قاعدة عامة فقال : «ما كان للملوك فهو للإمام»^{٤٥٥}.

و من الموارد المالية الواجبة: الكفارات، و هنالك موارد ثانوية غير واجبة كالهدايا و الصدقات و الانفاق في وجوه الخير.

(١) الكافي: ٣ / ٥٠٥.

(٢) المصدر السابق: ٣ / ٥٠٦.

^{٤٥١} (١) الكافي: ٣ / 505.

^{٤٥٢} (٢) المصدر السابق: ٣ / 506.

^{٤٥٣} (٣) تهذيب الاحكام: 4 / 136.

^{٤٥٤} (٤) الكافي: 1 / 458.

^{٤٥٥} (٥) المصدر السابق: 1 / 458.

(٣) تهذيب الاحكام: ١٣٦ / ٤.

(٤) الكافي: ١ / ٤٥٨.

(٥) المصدر السابق: ١ / ٤٥٨.

ص: ١٨٦

التكافل داخل الجماعة الصالحة

الجماعة الصالحة لها كيانها المستقل و مواردها المستقلة التي سبق ذكرها، و انّ انفاق الأموال في مواردها التي وضعها الله تعالى تؤدى الى التكافل داخل الجماعة الصالحة.

فالزكاة تدفع للفقراء و المساكين و العاملين عليها، و فى عتق الرقاب المؤمنة، و للمتقلين بالديون، و ابن السبيل و تدفع للمؤلفة قلوبهم للاسلام و لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) أو دفع شرهم، و لها موارد انفاق تقع تحت عنوان (فى سبيل الله).

و هى تدفع لهم مباشرة دون إذن الإمام (عليه السلام) كما يفهم من أحاديثه الشريفة^{٤٥٦}.

و هى فى الأصل تدفع إلى من ينتمى الى الجماعة الصالحة، فعن زريس قال: سأل المدائنى أبا جعفر (عليه السلام) قال: ان لنا زكاة نخرجها من أموالنا، ففيمن نضعها؟

فقال (عليه السلام): فى أهل ولايتك.

فقال: انى فى بلاد ليس فيها أحد من أوليائك.

فقال (عليه السلام): «ابعث بها الى بلدهم تدفع اليهم، و لا تدفعها الى قوم ان دعوتهم غدا إلى أمرك لم يجيبوك»^{٤٥٧}.

و قال (عليه السلام): «إنما موضعها أهل الولاية»^{٤٥٨}.

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣٠ / ٢.

(٢) الكافي: ٣ / ٥٥٥.

(٣) المصدر السابق: ٣ / ٥٤٥.

^{٤٥٦} (١) من لا يحضره الفقيه: 30 / 2.

^{٤٥٧} (٢) الكافي: 3 / 555.

^{٤٥٨} (٣) المصدر السابق: 3 / 545.

وكان يقدّم المهاجرين و أصحاب العقل و الفقه على غيرهم، فحينما سئل (عليه السّلام) عن كيفية العطاء فقال (عليه السّلام): «اعطهم على الهجرة في الدين و العقل و الفقه»^{٤٥٩}.

أما الرقاب و سهم المؤلفة قلوبهم فلا يشترط فيها الانتماء الى الجماعة الصالحة كما هو المشهور.

و الزكاة الواجبة تختص بالمحتاجين و غير القادرين على العمل، فلا ينبغي إعطاؤها لغيرهم، قال (عليه السّلام): «ان الصدقة لا تحل لمحترف، و لا لذي مرّة سوى قوى، فتنزهوا عنها»^{٤٦٠}.

و قد حدّد (عليه السّلام) أصناف و أوصاف المستحقين فقال: «المحروم: الرجل الذي ليس بعقله بأس، و لم يسط له في الرزق و هو محارف»^{٤٦١}.

«الفقير الذي لا يسأل، و المسكين الذي هو أجهد منه الذي يسأل»^{٤٦٢}.

و يجب اعطاء الزكاة مصحوبا بالتكريم، فعن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر (عليه السّلام): الرجل من أصحابنا يستحي أن يأخذ من الزكاة، فاعطيه من الزكاة و لا اسمي له أنّها من الزكاة؟

فقال (عليه السّلام): «اعطه و لا تسم له و لا تذلل المؤمن»^{٤٦٣}.

و العطاء ينبغي أن يكون الى حد الإغناء بحيث لا يبقى محتاجا،

(١) الكافي: ٣ / ٥٤٩.

(٢) وسائل الشيعة: ٩ / ٢٣١.

(٣) الكافي: ٣ / ٥٠٠.

(٤) المصدر السابق: ٣ / ٥٠٢.

(٥) المصدر السابق: ٣ / ٥٦٤.

^{٤٥٩} (١) الكافي: ٣ / 549.

^{٤٦٠} (٢) وسائل الشيعة: ٩ / 231.

^{٤٦١} (٣) الكافي: ٣ / 500.

^{٤٦٢} (٤) المصدر السابق: ٣ / 502.

^{٤٦٣} (٥) المصدر السابق: ٣ / 564.

قال (عليه السلام): «إذا أعطيته فأغنه»^{٤٦٤}.

أمّا مصرف الخمس فهو عائد للإمام قال (عليه السلام): «و الخمس لله و للرسول و لنا»^{٤٦٥}.

و الخمس ملك للإمام (عليه السلام) باعتبار منصبه، و ليست ملكا شخصيا له، و قد دلت سيرة الإمام الباقر (عليه السلام) و سيرة من سبقه من الأئمة (عليهم السلام) على ذلك، فكانوا يأخذونه و ينفقونه لا على أنفسهم، حيث كان ما ينفق على أنفسهم و عيالهم شيئا يسيرا، بالقياس الى ضخامة الأموال التي تجبى اليهم، و مع ذلك كان بعضهم محتاجا، لأنّه كان ملكا للمنصب و ليس للشخص.

و من أجل احياء روح التكافل الاقتصادي و الاجتماعي حتّ الإمام (عليه السلام) على الصدقة و هي الزكاة المستحبة فقال: «ان الصدقة لتدفع سبعين بليّة من بلايا الدنيا مع ميتة السوء»^{٤٦٦}.

و قال (عليه السلام): «ان صنائع المعروف تدفع مصارع السوء»^{٤٦٧}.

و حتّ (عليه السلام) على اطعام الطعام و ذبح الذبائح و اشباع الفقراء و المحتاجين منها فقال : «ان الله عز و جلّ يحب اطعام الطعام و اراقة الدماء»^{٤٦٨}.

و حتّ على الجود و السخاء، و الانفاق، و الهدية و القرض، و انظار المعسر في تسديد دينه، كما ورد في مختلف كتب الحديث عنه (عليه السلام).

و كان يتصدق في كل جمعة و يقول: «الصدقة يوم الجمعة تضاعف لفضل

(١) الكافي: ٣ / ٥٤٨.

(٢) المصدر السابق: ١ / ٥٣٩.

(٣) المصدر السابق: ٤ / ٦.

(٤) المصدر السابق: ٤ / ٢٩.

(٥) المصدر السابق: ٤ / ٥١.

٤٦٤ (١) الكافي: ٣ / 548.
٤٦٥ (٢) المصدر السابق: 1 / 539.
٤٦٦ (٣) المصدر السابق: 4 / 6.
٤٦٧ (٤) المصدر السابق: 4 / 29.
٤٦٨ (٥) المصدر السابق: 4 / 51.

يوم الجمعة على غيره من الأيام»^{٤٦٩}.

و كان ينفق الأموال على أصحابه، فقد أمر غلامه بإعطاء الأسود بن كثير سبعمائة درهم، و قال له : استنفق هذه فإذا فرغت فأعلمني^{٤٧٠}.

و عن سلمى مولاته قالت : كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده، حتى يطعمهم الطعام الطيب، و يكسوهم الثياب الحسنة في بعض الأحيان، و يهب لهم الدراهم، فأقول له في ذلك ليقبل منه.

فيقول: يا سلمى ما حسنة الدنيا إلّا صلة الإخوان و المعارف^{٤٧١}.

و جعل (عليه السلام) الاتفاق مقياسا للاخوة، حين قال لجماعة من أصحابه:

يدخل أحدكم يده في كمّ أخيه يأخذ حاجته؟ فقالوا: لا.

قال (عليه السلام): ما أنتم بإخوان^{٤٧٢}.

و نهى عن السؤال و مع ذلك شجّع على عدم رد السائل فقال: «لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحدًا، و لو يعلم المعطى ما في العطية ما ردّ أحد أحدًا»^{٤٧٣}.

و جعل التعامل الاقتصادي فيما بين الجماعة الصالحة أو غيرها من الجماعات قائما على أسس قاعدة (لا ضرر و لا ضرار)، التي رواها عن جدّه رسول الله^{٤٧٤}.

(١) ثواب الاعمال: ١٦٨.

(٢) صفة الصفوة: ٢ / ١١٢.

(٣) الفصول المهمة: ٢١٥.

(٤) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٨٥.

(٥) الكافي: ٢٠ / ٤.

(٦) المصدر السابق: ٥ / ٢٩٢.

^{٤٦٩} (١) ثواب الاعمال: 168.
^{٤٧٠} (٢) صفة الصفوة: 2 / 112.
^{٤٧١} (٣) الفصول المهمة: 215.
^{٤٧٢} (٤) مختصر تاريخ دمشق: 23 / 85.
^{٤٧٣} (٥) الكافي: 4 / 20.
^{٤٧٤} (٦) المصدر السابق: 5 / 292.

تاسعا: الإمام الباقر (عليه السلام) و النظام الاجتماعي للجماعة الصالحة

النظام الاجتماعي للجماعة الصالحة هو مصداق حقيقي للنظام الاجتماعي الاسلامي الذي أرسى دعائمه القرآن الكريم، و خاتم المرسلين (صلى الله عليه و اله) و هو قائم على اسس خلقية في التعامل و العلاقات، و على رأسها حسن الخلق، قال الإمام الباقر (عليه السلام): «إن أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا»^{٤٧٥}.

و من حسن الخلق تلقى الآخرين بوجه منبسط، فقد قال (عليه السلام): «أتى رسول الله رجل فقال: يا رسول الله أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال: الق أخاك بوجه منبسط»^{٤٧٦}.

و من مصاديق حسن الأخلاق الرفق بجميع أصناف الناس قال (عليه السلام):

«من قسم له الرفق قسم له الإيمان»^{٤٧٧}.

و وضع لكل وحدة اجتماعية نظامها الخاص بها، و علاقاتها مع الوحدات الاجتماعية الاخرى، ابتداء بالاسرة و انتهاء بالمجتمع الكبير.

١- الاسرة

الاسرة هي المؤسسة الاولى و الاساسية من بين المؤسسات الاجتماعية المتعددة، و هي المسؤولة عن رفد المجتمع بالعناصر الصالحة، و هي نقطة البدء التي تزاوّل انشاء و تنشئة العنصر الانساني. و قد وضع القواعد الأساسية

(١) الكافي: ٩٩ / ٢.

(٢) المصدر السابق: ١٠٣ / ٢.

(٣) المصدر السابق: ١١٨ / ٢.

في تنظيمها و ضبط شؤونها، ابتداء باختيار شريك الحياة المناسب على أساس التدين و حسن الخلق و الانحدار من اسرة صالحة، كما وضع برنامجا للحقوق و الواجبات على كل من الزوجين، و مراعاتهما من قبلهما كفيل بإشاعة الاستقرار و الطمأنينة في أجواء الاسرة.

^{٤٧٥} (١) الكافي: ٩٩ / ٢.

^{٤٧٦} (٢) المصدر السابق: ١٠٣ / ٢.

^{٤٧٧} (٣) المصدر السابق: ١١٨ / ٢.

فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) حق الزوج على الزوجة بقوله : «أن تطيعه و لا تعصيه، و لا تصدق من بيتها بشيء إلّا بإذنه، و لا تصوم تطوعا إلّا بإذنه، و لا تمنعه نفسها و إن كانت على ظهر قتب، و لا تخرج من بيتها إلّا بإذنه...»^{٤٧٨}.

و قال (عليه السلام): «جهاد المرأة حسن التبعل»^{٤٧٩}.

و دعا إلى تحمّل أذى الزوج من أجل إدامة العلاقة الزوجية، و عدم تفكّك الاسرة من خلال عدم مقابلة الأذى بأذى، بقوله (عليه السلام): «و جهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها و غيرته»^{٤٨٠}.

و وضع الإمام (عليه السلام) واجبات على الزوج اتجاه زوجته، و هو مسؤول عن تنفيذها لكي يتعمق الودّ بينهما، و يكون الاستقرار و الهدوء هو السائد في أجواء الاسرة، و من هذه الحقوق، الاطعام و ما تحتاجه من ثياب، قال (عليه السلام):

«من كانت عنده امرأة فلم يكسها ما يوارى عورتها و يطعمها ما يقيم صلبها كان حقا على الإمام أن يفرّق بينهما»^{٤٨١}.

و أكّد على الاهتمام بالزوجة و مراعاتها، فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «أوصاني جبرئيل بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلّا من

(١) مكارم الأخلاق: ٢١٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٢٧٨.

(٣) مكارم الاخلاق: ٢١٥.

(٤) المصدر السابق: ٢١٧.

ص: ١٩٢

فاحشة بينة»^{٤٨٢}.

و حتّى على تحمل الأذى من المرأة، و عدم مقابلة الأذى بالأذى لأن ذلك يؤدي إلى تردّي العلاقات و تشنّجها، فقال (عليه السلام): «من احتمل من امرأته و لو كلمة واحدة أعتق الله رقبتة من النار و أوجب له الجنة...»^{٤٨٣}.

و قد كان (عليه السلام) اسوة في تحمل الأذى، حتى قال الإمام الصادق (عليه السلام):

^{٤٧٨} (١) مكارم الأخلاق: 214.
^{٤٧٩} (٢) من لا يحضره الفقيه: 3 / 278.
^{٤٨٠} (٣) مكارم الاخلاق: 215.
^{٤٨١} (٤) المصدر السابق: 217.
^{٤٨٢} (١) مكارم الأخلاق: 216.
^{٤٨٣} (٢) المصدر السابق: 216.

«كانت لأبى امرأة و كانت تؤذيه و كان يغفر لها»^{٤٨٤}.

و وضع (عليه السّلام) منهجا للحقوق و الواجبات بين الأبناء و والديهم، فالواجب على الوالدين تربية أولادهم على المفاهيم و القيم الإسلامية^{٤٨٥}. و ابعادهم عن الانحرافات بمختلف ألوانها^{٤٨٦}.

و وضع (عليه السّلام) برنامجا للتربية فى مختلف مراحل حياة الاطفال ابتداء بالطفولة المبكرة حتى بلوغ و سن التكليف و الرشد^{٤٨٧}.

و حثّ (عليه السّلام) على التعامل المتوازن مع الاطفال فقال (عليه السّلام): «شرّ الآباء من دعاه التقصير الى العقوق و شرّ الآباء من دعاه البر الى الافراط»^{٤٨٨}.

و أمر (عليه السّلام) ببرّ الوالدين، فقال: «ثلاثة لم يجعل الله عزّ و جلّ فيهنّ رخصة:

أداء الأمانة الى البرّ و الفاجر، و الوفاء بالعهد للبرّ و الفاجر، و برّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين»^{٤٨٩}.

(١) مكارم الأخلاق: ٢١٦.

(٢) المصدر السابق: ٢١٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٢٧٩.

(٤) مكارم الاخلاق: ٢٢٢.

(٥) المصدر السابق: ٢٢٣.

(٦) مراجعة كتاب: تربية الطفل فى الإسلام، اصدار مركز الرسالة.

(٧) تاريخ اليعقوبى: ٢ / ٣٢٠.

(٨) الكافى: ٢ / ١٦٢.

ص: ١٩٣

و كانت أوامره مؤكدة على برّ الوالدين و ان كانا منحرفين أو فاجرين و ذلك لحقوقهما على الابن.

^{٤٨٤} (٣) من لا يحضره الفقيه: 3 / 279.

^{٤٨٥} (٤) مكارم الاخلاق: 222.

^{٤٨٦} (٥) المصدر السابق: 223.

^{٤٨٧} (٦) مراجعة كتاب: تربية الطفل فى الإسلام، اصدار مركز الرسالة

^{٤٨٨} (٧) تاريخ اليعقوبى: 2 / 320.

^{٤٨٩} (٨) الكافى: 2 / 162.

و نهى عن العقوق مهما كانت الظروف، و ان كان الوالدان مسيئين للأبناء، فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «اياكم و عقوق الوالدين، فإن ریح الجنة توجد من مسيرة ألف عام، و لا يجدها عاق...»^{٤٩٠}.

٢- الأرحام

الأرحام هم كل من يرتبط بالأسرة بعلاقة نسبية و هم الاخوان و الأخوات و الأعمام و الأخوال، و الأجداد، و سائر أفراد العشيرة القريبين بالنسب أو البعدين . لقد حث الإمام (عليه السلام) على صلتهم بزيارة أو لقاء، و ما يترتب على هذه العلاقات من حقوق . و هم مقدّمون على غيرهم فى الاحسان إليهم، و إدخال السرور فى قلوبهم، و مساعدتهم فى حلّ مشاكلهم.

و بيّن (عليه السلام) الآثار الايجابية المترتبة على صلة الارحام، فقال : «صلة الارحام تزكّي الاعمال، و تدفع البلوى، و تنمى الاموال، و تنسئ له فى عمره، و توسّع فى رزقه، و تحبّب فى أهل بيته، فليتق الله و ليصل رحمه»^{٤٩١}.

و قال (عليه السلام) لأحد أصحابه : «أما إنه قد حضر أجلك غير مرّة و لا مرتين، كلّ ذلك يؤخّر الله بصلتك قرابتك»^{٤٩٢}.

٣- الجيران

أكّد الإمام (عليه السلام) على حسن التعامل مع الجيران فقال: «قرأت فى كتاب

(١) الكافي: ٢ / ٣٤٩.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ١٥٢.

(٣) رجال الكشي: ٢٢٤.

ص: ١٩٤

على (عليه السلام): أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) كتب بين المهاجرين و الانصار و من لحق بهم من أهل يثرب، أن الجار كالنفس غير مضار و لا اثم، و حرمة الجار على الجار كحرمة أمّه»^{٤٩٣}.

و نهى عن أذى الجيران و تضييع حقوقهم، فقد روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنّه قال: «من أذى جاره حرّم الله عليه ریح الجنة، و مأواه جهنّم و بسّ المصير، و من ضيّع حق جاره فليس منّا، و ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت أنّه سيورثه...»^{٤٩٤}.

^{٤٩٠} (١) الكافي: ٢ / 349.

^{٤٩١} (٢) المصدر السابق: ٢ / 152.

^{٤٩٢} (٣) رجال الكشي: 224.

^{٤٩٣} (١) وسائل الشيعة: 12 / 126.

و روى عن رسول الله (صلى اللّٰه عليه و اله) قوله: «ما آمن بى من أمسى شبعا و أمسى جاره جائعا»^{٤٩٥}.

و الجار فى منهج أهل البيت (عليه السّلام) هو مطلق الانسان سواء كان من أفراد الجماعة الصالحة، أو من غيرهم، و سواء كان مسلما أم غير مسلم، كما هو المشهور فى الروايات الصادرة عنهم (عليهم السّلام).

٤- أفراد الجماعة الصالحة

النظام الاجتماعى فى داخل الجماعة الصالحة يقوم على أساس وحدة التصورات و المبادئ، و وحدة الموازين و القيم، و وحدة الشرائع و القوانين، و وحدة الاوضاع و التقاليد، لأنّ مجموع الجماعة الصالحة تتلقى منهج حياتها من جهة واحدة و هى أهل البيت (عليهم السّلام)، و تجمعها وحدة الطريقة التى تتلقى بها، و وحدة المنهج الذى تفهم به ما تتلقى من أفكار و عواطف و ممارسات.

و النظام الاجتماعى قائم على أساس القاعدة الثابتة، و هى قول الإمام

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٢٦.

(٢) المصدر السابق: ١٢ / ١٢٧.

(٣) المحاسن: ٩٨.

ص: ١٩٥

الباقر (عليه السّلام): «المؤمن أخو المؤمن لأبيه و امه»^{٤٩٦}.

فقد جعل العلاقة بين أفراد الجماعة الصالحة كالعلاقة النسبية التى تترتب عليها حقوق و واجبات، كالسعى فى حوائج المؤمنين، و تفريج كربهم، و النصيحة لهم، و الدعاء لهم بالتوفيق، و ستر عيوبهم^{٤٩٧}.

و العلاقة القائمة تنطلق من الايثار و تحكيم الحق فى النفس، قال (عليه السّلام):

«ان لله جنّة لا يدخلها إلّا ثلاثة أحدهم من حكم فى نفسه بالحق»^{٤٩٨}.

و يقوم النظام الاجتماعى على قاعدة تعظيم و توقير أفراد الجماعة الصالحة لكى يتعمّق الودّ و الاخاء، قال (عليه السّلام): «عظموا اصحابكم و قرّوهم و لا يتجهّم بعضكم بعضا، و لا تضارّوا و لا تحاسدوا، و اياكم و البخل، و كونوا عباد الله المخلصين»^{٤٩٩}.

^{٤٩٤} (٢) المصدر السابق: ١٢ / ١٢٧.

^{٤٩٥} (٣) المحاسن: ٩٨.

^{٤٩٦} (١) الكافي: ١٦٦ / ٢.

^{٤٩٧} (٢) الكافي: ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨.

^{٤٩٨} (٣) وسائل الشيعة: ١٥ / ٢٨٥.

و حثَّ الإمام (عليه السّلام) على اشاعة الودّ و المحبّة من خلال ممارسات متنوّعة، قال (عليه السّلام): «تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة، و صرف القذى عنه حسنة، و ما عبد الله بشيء أحبّ الى الله من ادخال السرور على المؤمن»^{٥٠٠}.

و وضع مجموعة من الحقوق المتبادلة عليهما فقال: «من حقّ المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته و يوارى عورته و يفرّج عنه كربته و يقضى دينه، فإذا مات خلفه في أهله و ولده»^{٥٠١}.

و حثَّ على العوامل التي تؤدي الى التقريب بين القلوب و تزيد في

(١) الكافي: ٢ / ١٦٦.

(٢) الكافي: ٢ / ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) وسائل الشيعة: ١٥ / ٢٨٥.

(٤) الكافي: ٢ / ١٧٣.

(٥) المصدر السابق: ٢ / ١٨٨.

(٦) المصدر السابق: ٢ / ١٦٩.

ص: ١٩٦

الاخوة و التآلف و التآزر. عن أبي حمزة الثمالي قال: زاملت أبا جعفر (عليه السّلام) فحططنا الرحل، ثم مشى قليلا، ثم جاء فأخذ بيدي فغمزها غمزة شديدة، فقلت: جعلت فداك أو ما كنت معك في المحمل؟! فقال: أما علمت أن المؤمن إذا جال جولة ثم أخذ بيد أخيه نظر الله اليهما بوجهه، فلم يزل مقبلا عليهما بوجهه، و يقول للذنوب: تتحاتّ عنهما، فتتحاتّ - يا أبا حمزة - كما يتحاتّ الورق عن الشجر، فيفترقان و ما عليهما من ذنب»^{٥٠٢}.

و قال (عليه السّلام): «ينبغي للمؤمنين إذا توارى أحدهم عن صاحبه بشجرة ثم التقيا أن يتصافحا»^{٥٠٣}.

روى عن رسول الله (صلّى الله عليه و اله) قوله: «إذا التقيتم فتلاقوا بالتسليم و التصافح، و إذا تفرقتم فتفرّقوا بالاستغفار»^{٥٠٤}.

^{٤٩٩} (٤) الكافي: ٢ / 173.

^{٥٠٠} (٥) المصدر السابق: ٢ / 188.

^{٥٠١} (٦) المصدر السابق: ٢ / 169.

^{٥٠٢} (١) الكافي: ٢ / 180.

^{٥٠٣} (٢) المصدر السابق: ٢ / 181.

^{٥٠٤} (٣) المصدر السابق.

و حثَّ (عليه السَّلام) على تبادل الزيارات لأنها تؤدي إلى تجذر روح الإخاء و زرع الودّ في القلوب و النفوس، و رغب فيها ببيان آثارها الإيجابية على المتزاوئين، حين قال : «أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفا بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، و محيت عنه سيئة، و رفعت له درجة، و إذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا و تصافحا و تعانقا أقبل اللع عليهما بوجهه، ثم باهى بهما الملائكة، فيقول :

انظروا إلى عبادي تزاورا و تحابا فيّ، حقّ عليّ ألا أعذبهما بالنار بعد هذا الموقف، فإذا انصرف شيعه الملائكة عدد نفسه و خطاه و كلامه، يحفظونه من بلاء الدنيا و بوائق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل، فإن مات فيم بينهما اعفى من الحساب، و ان كان المزور

(١) الكافي: ٢ / ١٨٠.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ١٨١.

(٣) المصدر السابق.

ص: ١٩٧

يعرف من حقّ الزائر ما عرفه الزائر من حقّ المزور؛ كان له مثل أجره»^{٥٥}.

و نهى (عليه السَّلام) عن جميع الممارسات التي تؤدي إلى الكراهية و التنافر و التقاطع كالغيبه و البهتان و التحقير و التعبير و التنازع باللقاب، و السباب، و الاعتداء على الأموال و الأعراض و غير ذلك.

و دعا إلى الإصلاح بين المؤمنين و حثهم على التآلف فقال (عليه السَّلام): «إن الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه، فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه و تمدّد، ثم قال : فزت، فرحم الله امرئ ألف بين ولبين لنا، يا معشر المؤمنين تألفوا و تعاطفوا»^{٥٦}.

و نهى (عليه السَّلام) عن احصاء عثرات الآخرين و زلاتهم، فقال : «إن أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل الرجل على الدين، فيحصى عليه عثراته و زلّاته ليعنّفه بها يوما ما»^{٥٧}.

و نهى عن الطعن بالمؤمنين و نيزهم بالكفر فقال : «ما شهد رجل على رجل بكفر قطّ إلّا بآء به أحدهما، إن كان شهد به على كافر صدق، و إن كان مؤمنا رجع الكفر عليه، فإياكم و الطعن على المؤمنين»^{٥٨}.

و نهى عن النميمة فقال: «محرمّة الجنّة على القتاتين المشائين بالنميمة»^{٥٩}.

^{٥٥} (١) الكافي: ٢ / 183، 184.

^{٥٦} (٢) المصدر السابق: ٢ / 345.

^{٥٧} (٣) المصدر السابق: ٢ / 355.

^{٥٨} (٤) المصدر السابق: ٢ / 360.

و نهى (عليه السلام) عن الاذاعة و كشف الاسرار الخاصة بالمؤمنين فقال:

«يحشر العبد يوم القيامة و ما ندى دما، فيدفع اليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقال له:

هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا ربّ إنك لتعلم أنّك قبضتني و ما سفكت دما.

(١) الكافي: ٢ / ١٨٣، ١٨٤.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ٣٤٥.

(٣) المصدر السابق: ٢ / ٣٥٥.

(٤) المصدر السابق: ٢ / ٣٦٠.

(٥) المصدر السابق: ٢ / ٣٦٩.

ص: ١٩٨

فيقول: بلى سمعت من فلان رواية كذا و كذا، فرويتها عليه فنقلت حتّى صارت الى فلان الجبار فقتله عليها و هذا سهمك من دمه»^{٥٩}.

٥- مجتمع المسلمين

الإسلام هو الافق الواسع الجامع لمن شهد الشهادتين، و هو الميدان الرحب لتجميع الطاقات و توحيد الامكانات لتنتقل في مصالح واحدة و مصير واحد، و لهذا فالاسلام محوره و حدوده مجتمع المسلمين جميعا.

و النظام الاجتماعي لمجتمع المسلمين قائم على أساس الإخاء و التآلف و التآزر من أجل تحقيق الأهداف الكبرى و الحفاظ على الكيان الاسلامي من التصدّع و التمزّق.

و لذا حتّ الرسول و أهل بيته (عليهم السلام) على الاهتمام بامور المسلمين و مشاركتهم في آمالهم و آلامهم، و الاهتمام بالعوامل التي تؤدى الى التقريب و الاتفاق على القواسم المشتركة في الفكر و العاطفة و السلوك.

و وضع الإمام (عليه السلام) قاعدة كلية في التعامل و هي تعميق مفهوم الولاية بين المسلمين . عن زرارة قال: دخلت أنا و حمران على أبي جعفر (عليه السلام)، فقلت له: إنا نمذّ المطمار ... فمن وافقنا من علوىّ أو غيره تولّيناه، و من خالفنا من علوىّ أو غيره برئنا منه، فقال لى: يا زرارة قول الله أصدق من قولك، فأين الذين قال الله عزّ و جلّ: **إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ**

^{٥٩} (٥) المصدر السابق: ٢ / 369.

^{٥١٠} (١) الكافي: ٢ / 371.

أين المرجون لأمر الله؟ أين الذين خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا؟ أين أصحاب الاعراف؟ أين المؤلفه قلوبهم؟^{٥١١}.

(١) الكافي: ٣٧١ / ٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٨٢ / ٢.

ص: ١٩٩

فليس المقياس عند الإمام (عليه السلام) هو الانتماء الى الجماعة الصالحة فقط، و إنما المقياس هو الانتماء الى الإسلام. و من خلال سيرة أهل البيت (عليهم السلام) و من خلال متابعة أحاديثهم و بالخصوص أحاديث الإمام الباقر (عليه السلام) المنتشرة في بطون الكتب نستطيع أن نقسم الولاية الى أربعة اقسام:

الأول: ولاية الله تعالى.

الثاني: ولاية رسول الله (صلى الله عليه و اله).

الثالث: ولاية أهل البيت (عليهم السلام).

الرابع: الولاية بين المسلمين.

فمن لم يؤمن بولاية الله و ولاية الرسول فهو كافر باجماع المسلمين، أما الذي يؤمن بهما، و لا يؤمن بولاية أهل البيت (عليهم السلام) - أى بإمامتهم - فلا يجوز سلب صفة الإسلام منه فتبقى ثابتة له - ما لم يبغضهم - و تبقى الولاية بين أتباع أهل البيت (عليهم السلام) و غيرهم من المسلمين ثابتة لا يجوز خرمها و قطعها.

و بهذه الروح الإسلامية تعامل الإمام الباقر (عليه السلام) مع سائر المسلمين.

و من خلال هذا المفهوم يبين (عليه السلام) الاسس العامة فى التعامل الاجتماعى، فحث على التعاون مع سائر المسلمين، و من مصاديق التعاون، ما رواه عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) أنه قال: «من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان فى ملكوت السماوات: الفردوس، و جنة عدن، و طوبى»^{٥١٢}.

و روى عنه (صلى الله عليه و اله) قوله: «من كسا أحدا من فقراء المسلمين ثوبا من عرى أو أعانه بشىء مما يقوته من معيشته، وكل الله عز و جل به سبعين ألف ملك من الملائكة

(١) الكافي: ٢٠١ / ٢.

^{٥١١} (٢) المصدر السابق: 382 / 2.

^{٥١٢} (١) الكافي: 201 / 2.

يستغفرون لكل ذنب عمله الى أن ينفخ في الصور»^{٥١٣}.

و نهى (عليه السلام) عن وضع حجاب بين المسلم والمسلم . عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة و هو في منزله، فاستأذن عليه فلم يأذن له و لم يخرج اليه؟.

قال (عليه السلام): «يا أبا حمزة أيما مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة و هو في منزله، فاستأذن له و لم يخرج اليه؛ لم يزل في لعنة الله حتى يلتقيا».

فقلت: جعلت فداك في لعنة الله حتى يلتقيا؟

قال: نعم يا أبا حمزة^{٥١٤}.

و نهى (عليه السلام) عن تتبع عورات المسلمين، و روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «يا معشر من أسلم بلسانه و لم يخلص الإيمان الى قلبه لا تدموا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، و من تتبع الله عورته يفضحه و لو في بيته»^{٥١٥}.

و روى عنه (صلى الله عليه و اله) قوله: «ليس منا من مكر مسلماً»^{٥١٦}.

و دعا الإمام (عليه السلام) الى حسن التعامل و الصبر على الأذى و عدم مقابلة الاساءة بالاساءة، و الظلم بالظلم، و القطيعة بالقطيعة، فدعا الى العفو فقال:

«الندامة على العفو أفضل و أيسر من الندامة على العقوبة»^{٥١٧}.

و قال (عليه السلام): «ثلاث لا يزيد الله بهن المرء المسلم إلّا عزّاً: الصفح عمّن ظلمه،

(١) الكافي: ٢ / ٥٠٢.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ٣٦٥.

(٣) المصدر السابق: ٢ / ٣٥٤.

^{٥١٣} (١) الكافي: ٢ / 502.

^{٥١٤} (٢) المصدر السابق: ٢ / 365.

^{٥١٥} (٣) المصدر السابق: ٢ / 354.

^{٥١٦} (٤) وسائل الشيعة: ١٢ / 242.

^{٥١٧} (٥) المصدر السابق: ١٢ / 170.

(٤) وسائل الشيعة: ١٢ / ٢٤٢.

(٥) المصدر السابق: ١٢ / ١٧٠.

ص: ٢٠١

و اعطاء من حرمه، و الصلة لمن قطعه»^{٥١٨}.

و حَبَّبَ (عليه السَّلام) طلب مرضات الناس و سائر المسلمين، بالتقرب اليهم بحسن المعاملة و حسن السيرة، و يجب أن لا تكون مرضاء الناس مسخطة لله تعالى، فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه و اله) قوله: «من طلب مرضاء الناس بما يسخط الله كان حامده من الناس دأماً، و من آثر طاعة الله بغضب الناس كفاه الله عداوة كل عدو، و حسد كل حاسد، و بغى كل باغ، و كان الله عز و جل له ناصراً و ظهيراً»^{٥١٩}.

و فى الوقت الذى شجّع فيه ع لى إقامة العلاقات مع سائر المسلمين و سائر الناس حذر من مصاحبة أصناف منهم، فقد روى عن أبيه الإمام زين العابدين (عليه السَّلام) وصيته له: «يا بنى انظر خمسة فلا تصاحبهم، و لا تحادثهم و لا ترافقهم فى طريق.

إياك و مصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السَّراب يقرب لك البعيد، و يبعد لك القريب.

و إياك و مصاحبة الفاسق فإنه بائعك بأكله أو أقلّ من ذلك.

و إياك و مصاحبة البخيل فإنه يخذلك فى ماله.

و إياك و مصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك»^{٥٢٠}.

و نهى (عليه السَّلام) عن الخصومة، و دعا الى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، ل يكون المؤمن فى وسط الميدان الاجتماعى و يكون قدوة لغيره بعمله و اخلاصه لله، و حسن سيرته . قال (عليه السَّلام): «المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده ... المؤمن من ائتمنه المسلمون على أموالهم و أنفسهم، و المسلم حرام على

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٧٣.

(٢) الكافي: ٢ / ٣٧٢.

(٣) المصدر السابق: ٢ / ٣٧٦.

^{٥١٨} (١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٧٣.

^{٥١٩} (٢) الكافي: ٢ / ٣٧٢.

^{٥٢٠} (٣) المصدر السابق: ٢ / ٣٧٦.

المسلم أن يظلمه أو يخذله، أو يدفعه دفعةً تعنته»^{٥٢١}.

و دعا الى المجاملة حفاظا على الافق العام من العلاقات فقال:

«خالطوهم بالبرانية و خالفوهم بالجوانية ان كانت الامر صبيانية»^{٥٢٢}.

عاشرا: الإمام الباقر (عليه السلام) و مستقبل الجماعة الصالحة

من أهم مقومات نجاح مسيرة الجماعات وجود قيادة تقوم بالاشراف على حركتها التكاملية، و تتبنى التغيير الشامل، و تقوم بتنسيق البرامج و الخطط، و تشرف على تنفيذها فى الواقع، و تمدّها بالقوة الروحية و الشحنة المعنوية للوصول الى اهدافها و آمالها، و القيادة فى منهج أهل البيت (عليهم السلام) هى قيادة ربانية نصّ عليها الله تعالى و أبلغها لرسوله (صلّى الله عليه و اله) و أبلغها رسول الله (صلّى الله عليه و اله) لأمر المؤمنين (عليه السلام) و تندرج الوصية من إمام الى إمام حتى تصل الى خاتم الأوصياء و الائمة (عليهم السلام).

و قد أولى الإمام الباقر (عليه السلام) الإمامة من بعده أهمية خاصة و وجّه أنظار أصحابه اليها، فى شروطها و خصائصها، و فى تشخيصها فى الواقع، فأعلن عنها تارة إعلانا جليا و آخر خفيا، ابتداء من أول مراحل إمامته، حتى أواخر أيامه الشريفة، و كان يستثمر الفرص المناسبة للإشارة اليها و تأكيد الاقتداء بها.

و كان الاعلان عن إمامة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) مصحوبا بالسرية، و فى نطاق محدود لم يخبر بها إلّا أصحابه المخلصين المقربين له، حفاظا على سلامة الإمام من بعده.

(١) الكافي: ٢ / ٢٣٤.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ٢٢٠.

روى عن محمد بن مسلم أنّه قال: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، إذ دخل جعفر ابنه و على رأسه ذؤابة، و فى يده عصا يلعب بها، فأخذه و ضمّه اليه ضما، ثم قال: بأبى أنت و امى لا تلهو و لا تلعب.

ثم قال: «يا محمد هذا إمامك بعدى، فاقتد به، و اقتبس من علمه، و الله انه لهو الصادق الذى وصفه لنا رسول الله (صلّى الله عليه و اله) ...»^{٥٢٣}.

^{٥٢١} (١) الكافي: ٢ / 234.

^{٥٢٢} (٢) المصدر السابق: ٢ / 220.

^{٥٢٣} (١) كفاية الأثر: 253.

و عن همام بن نافع قال : قال أبو جعفر لأصحابه يوما : «إذا افتقدتموني فاقتدوا بهذا فإنه الإمام بعدى»، و أشار الى ابنه جعفر (عليه السلام)^{٥٢٤}.

و سئل الإمام الباقر (عليه السلام) عن القائم ف ضرب بيده على أبي عبد الله جعفر ابن محمد (عليه السلام)^{٥٢٥}.

و عن فضيل بن يسار، قال : كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فأقبل أبو عبد الله (عليه السلام) فقال: «هذا خير البرية بعدى»^{٥٢٦}.

و عن عبد الغفار بن القاسم - فى حديث طويل - جاء فيه قوله للإمام الباقر (عليه السلام): «أنى قد كبرت سنّى و دق عظمى و لا أرى فيكم ما أسره، أراكم مقتلين مشردين خائفين، و إنى أقمت على قائمكم منذ حين أقول : يخرج اليوم أو غدا.

فقال له - الإمام الباقر (عليه السلام) -: «يا عبد الغفار انّ قائمنا (عليه السلام) هو السابع من ولدى، و ليس هو أوان ظهوره، و لقد حدثنى أبى عن أبيه عن آبائه قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه و اله): انّ الائمة بعدى اثنا عشر عدد نقباء بنى اسرائيل، تسعة من صلب الحسين،

(١) كفاية الأثر: ٢٥٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٥٤.

(٣) اثبات الوصية: ١٥٢.

(٤) المصدر السابق: ١٥٥.

ص: ٢٠٤

و التاسع قائمهم، يخرج فى آخر الزمان فيملأها عدلا كما ملئت جورا و ظلما».

قلت: فإن كان هذا كائن يا ابن رسول الله، فإلى من بعدك؟

قال (عليه السلام): الى جعفر و هو سيد أولادى و أبو الائمة، صادق فى قوله و فعله^{٥٢٧}.

و عن أبى الصباح الكناني، قال : نظر أبو جعفر الى أبى عبد الله يمشى، فقال : ترى هذا؟. هذا من الذين قال الله تعالى : وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلُهُمْ أُئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ^{٥٢٨}.

^{٥٢٤} (2) المصدر السابق: 254.

^{٥٢٥} (3) اثبات الوصية: 152.

^{٥٢٦} (4) المصدر السابق: 155.

^{٥٢٧} (1) كفاية الاثر: 252.

و عن زرارة قال: انّ أبا جعفر (عليه السّلام) أحضر أبا عبد الله (عليه السّلام) و هو صحيح لا علّة به، فقال له: انى اريد أن آمرک بأمر، فقال له: مرني بما شئت، فقال: ايتني بصحيفة و دواة، فأتاه بها، فكتب له وصيته الظاهرة، ثم أمر أن يدعوا له جماعة من قريش، فدعاهم و أشهدهم على وصيته اليه^{٥٣٠}.

فهذا الاعلان أمر طبيعي لأنه وصية ظاهرة مألوفة عادة و هي أن يوصي الموصى الى أحد أبنائه و خصوصا الأكبر منهم، فعن الإمام الصادق (عليه السّلام) أنّه قال: إنّ أبى استودعني ما هناك، و ذلك أنّه لما حضرته الوفاة قال: «ادع لى شهودا فدعوت له أربعة، منهم: نافع مولى عبد الله بن عمر، فقال: اكتب: هذا ما أوصى به يعقوب بنيه، يا بنى إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلّا و أنتم مسلمون و أو صى محمد بن علىّ ابنه جعفر و أمره أن يكفنه فى بردته - التى كان فيها يصلى الجمعة - و قميصه و أن يعممه بعمامته و ان يرفع قبره مقدار أربع أصابع، و أن يحلّ أطماره عند دفنه.

ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله.

(١) كفاية الاثر: ٢٥٢.

(٢) القصص (٢٨): ٥.

(٣) الكافي: ١ / ٣٠٦.

(٤) اثبات الوصية: ١٥٥.

ص: ٢٠٥

فقلت: يا أبت ما كان فى هذا حتى يشهد عليه؟ قال: يا بنى كرهت أن تغلب، و أن يقال: لم يوص، فأردت أن يكون ذلك الحجة^{٥٣١}.

و أدخل الإمام الباقر (عليه السّلام) الأمل فى قلوب أصحابه و أتباعه و جميع افراد الجماعة الصالحة فأخبرهم بقرب زوال حكم بنى امية^{٥٣٢}.

و بالفعل بعد استشهاد الإمام (عليه السّلام) بثمانية عشر عاما سقطت الدولة الاموية و انتهى حكم الامويين على يد بنى العباس.

و كان الإمام الصادق (عليه السّلام) هو القائم بالأمر من بعده، و كما وصفه المستشار عبد الحليم الجندى: الإمام جعفر الصادق نتاج قرن كامل من العظام يحنى لها الوجود البشرى هاماته و يدين بحضارته ...^{٥٣٣}.

^{٥٢٨} (٢) القصص (28): 5.

^{٥٢٩} (٣) الكافي: 1 / 306.

^{٥٣٠} (٤) اثبات الوصية: 155.

^{٥٣١} (١) الفصول المهمة: 222. و فى الكافي: 1 / 307 أن تكون لك الحجة.

^{٥٣٢} (٢) مناقب آل ابي طالب: 4 / 203، الصواعق المحرقة: 307.

وقال أيضا: شجرة باسقة تترعرع في كل ورقة من أوراقها خبيصة من خصائص أهل البيت في عصر جديد للعلم، تعاونت فيه أجيال ثلاثة متتابعة منه و من أبيه و جده ^{٥٣٤}.

(١) الفصول المهمة: ٢٢٢. و في الكافي: ٣٠٧ / ١ أن تكون لك الحجة.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٢٠٣ / ٤، الصواعق المحرقة: ٣٠٧.

(٣) الإمام جعفر الصادق: ٤.

(٤) المصدر السابق: ٦٣.

ص: ٢٠٧

الفصل الثاني اغتيال الإمام محمد الباقر (عليه السلام) و استشهاده

و لم يمت الإمام أبو جعفر (عليه السلام) حتف أنفه، و إنما اغتالته بالسم أيد امويّة أتيمة لا تؤمن بالله، و لا باليوم الآخر، و قد اختلف المؤرخون في الأثيم الذي أقدم على اقتراف هذه الجريمة.

فمنهم من قال: إن هشام بن الحكم هو الذي أقدم على اغتيال الإمام فُدسّ إليه السم ^{٥٣٥} و الأرجح هو هذا القول لأن هشاما كان حاقدا على آل النبي بشدة و كانت نفسه مترعة بالبغض لهم و هو الذي دفع بالشهيد العظيم زيد بن علي (عليه السلام) الى إعلان الثورة عليه حينما استهان به، و قابله بمزيد من الجفاء، و التحقير. و من المؤكد أن الإمام العظيم أبا جعفر قد أقصّ مضجع هذا الطاغية، و ذلك لذيوع فضله و انتشار علمه، و تحدث المسلمين عن مواهبه، و من هنا أقدم على اغتياله ليتخلص منه.

و منهم من قال: إن الذي أقدم على سم الإمام هو ابراهيم بن الوليد ^{٥٣٦}.

و يرى السيد ابن طاووس أن إبراهيم بن الوليد قد شرك في دم

(١) بحار الأنوار: ٣١٢ / ٤٦.

(٢) أخبار الدول: ١١١.

ص: ٢٠٨

^{٥٣٣} (٣) الإمام جعفر الصادق: ٤.

^{٥٣٤} (٤) المصدر السابق: 63.

^{٥٣٥} (١) بحار الأنوار: 312 / 46.

^{٥٣٦} (٢) أخبار الدول: 111.

الإمام (عليه السلام)^{٥٣٧} و معنى ذلك أن إبراهيم لم ينفرد وحده باغتيال الإمام (عليه السلام) و إنما كان مع غيره.

و أهملت بعض المصادر اسم الشخص الذى اغتال الإمام (عليه السلام) و اكتفت بالقول إنه مات مسموماً^{٥٣٨}.

دوافع اغتيال الإمام الباقر (عليه السلام):

أما الأسباب التى أدت بالامويين الى اغتيال الإمام (عليه السلام) فهى:

١- سمو شخصية الإمام الباقر (عليه السلام): لقد كان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) أسمى شخصية فى العالم الإسلامى فقد أجمع المسلمون على تعظيمه، و الاعتراف له بالفضل، و كان مقصد العلماء من جميع البلاد الإسلامية.

لقد ملك الإمام (عليه السلام) عواطف الناس و استأثر بإكبارهم و تقديرهم لأنه العلم البارز فى الاسرة النبوية، و قد أثارت منزلته الاجتماعية غيظ الامويين و حقدهم فأجمعوا على اغتياله للتخلص منه.

٢- أحداث دمشق:

لا يستبعد الباحثون و المؤرخون أن تكون أحداث دمشق سببا من الأسباب التى دعت الامويين الى اغتياله (عليه السلام) و ذلك لما يلى:

أ- تفوق الإمام فى الرمي على بنى امية و غيرهم حينما دعاه هشام الى الرمي ظانا بأنه سوف يفشل فى رميه فلا يصيب الهدف فيتخذ ذلك وسيلة للحط من شأنه و السخرية به أمام أهل الشام . و لما رمى الإمام و أصاب الهدف عدة مرات بصورة مذهلة لم يعهد لها نظير فى عمليات الرمي فى العالم، ذهل

(١) بحار الأنوار: ٢١٦ / ٤٦.

(٢) نور الأبصار: ١٣١، الأئمة الاثنى عشر لابن طولون: ٢٨١.

ص: ٢٠٩

الطاغية هشام، و أخذ يتميز غيظا، و ضاقت عليه الأرض بما رحبت، و صمم منذ ذاك الوقت على اغتياله.

ب- مناظرته مع هشام فى شؤون الإمامة، و تفوق الإمام عليه حتى بان عليه العجز مما أدى ذلك الى حقده عليه.

ج- مناظرته مع عالم النصارى، و تغلبه عليه حتى اعترف بالعجز عن مجاراته أمام حشد كبير منهم معترفا بفضل الإمام و تفوقه العلمى فى أمة محمد (صلى الله عليه و اله)، و قد أصبحت تلك القضية بجميع تفاصيله | الحديث الشاغل لجماهير

^{٥٣٧} (١) بحار الأنوار: 216 / 46.

^{٥٣٨} (2) نور الأبصار: 131، الأئمة الاثنى عشر لابن طولون: 281.

أهل الشام^{٥٣٩}. و يكفي هذا الصيت العلمي أيضا أن يكون من عوامل الحقد على الإمام (عليه السلام) و التخطيط للتخلص من وجوده.

نصّه على الإمام الصادق (عليه السلام):^{٥٤٠}

و نصّ الإمام أبو جعفر (عليه السلام) على الإمام من بعده قبيل استشهاده فعين الإمام الصادق (عليه السلام) مفخرة هذه الدنيا، و رائد الفكر و العلم في الإسلام، و جعله مرجعا عاما للامة من بعده، و أوصى شيعته بلزوم اتباعه و طاعته.

و كان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) يشيد بولده الإمام الصادق (عليه السلام) بشكل مستمر و يشير الى امام ته، فقد روى أبو الصباح الكناني، أنّ أبا جعفر نظر الى أبي عبد الله يمشی، فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عزّ و جلّ: **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**^{٥٤١}.

كل هذه الامور بل و بعضها كان يكفي أن يكون وراء اغتياله (عليه السلام) على

(١) راجع بحار الأنوار: ٣٠٩ / ٤٦ - ٣١١.

(٢) اصول الكافي: ٣٠٦ / ١.

ص: ٢١٠

أيدى زمرة جاهلية، افتقرت الى أبسط الصفات الإنسانية، و حرمت من أبسط المؤهلات القيادية.

وصاياہ:

و أوصى الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الى ولده الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بعدة وصايا كان من بينها ما يلي:

١- انه قال له: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيرا، فقال له الإمام الصادق:

جعلت فداك و الله لأدعنهم، و الرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحدا^{٥٤٢}.

^{٥٣٩} (١) راجع بحار الأنوار: 309 - 311.

^{٥٤٠} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.

^{٥٤١} (٢) اصول الكافي: 306 / 1.

^{٥٤٢} (١) اصول الكافي: 306 / 1.

٢- أوصى ولده الصادق (عليه السلام) أن يكفنه في قميصه الذي كان ي صلى فيه ^{٥٤٣} ليكون شاهد صدق عند الله على عظيم عبادته، و طاعته له.

٣- إنه أوقف بعض أمواله على نوادب تنديه عشر سنين في منى ^{٥٤٤}. و لعل السبب في ذلك يعود الى أن منى أعظم مركز للتجمع الاسلامى، و وجود النوادب فيه مما يبعث المسلمين الى السؤال عن سببه، فيخبرون بما جرى على الإمام أبى جعفر (عليه السلام) من صنوف التنكيل من قبل الامويين و اغتيالهم له، حتى لا يضيع ما جرى عليه منهم و لا تخفيه أجهزة الاعلام الاموى.

و سرى السم فى بدن الإمام أبى جعفر (عليه السلام)، و أثر فيه تأثيرا بالغا، و أخذ يدنو اليه الموت سريعا، و قد اتجه فى ساعاته الأخيرة بمشاعره و عواطفه نحو الله تعالى، فأخذ يقرأ القرآن الكريم، و يستغفر الله، فوافاه الأجل المحتوم

(١) اصول الكافي: ٣٠٦ / ١.

(٢) صفة الصفوة: ٦٣ / ٢، تاريخ ابن الوردي: ١٨٤ / ١، تاريخ أبى الفداء: ٢١٤ / ١.

(٣) بحار الأنوار: ٦٢ / ١١.

ص: ٢١١

و لسانه مشغول بذكر الله فارتفعت روحه العظيمة الى خالقها، تلك الروح التى أضاءت الحياة الفكرية و العلمية فى الإسلام و التى لم يخلق لها نظير فى عصره.

و قد انطوت برحيله أروع صفحة من صفحات الرسالة الإسلامية التى أمدّت المجتمع الاسلامى بعناصر الوعى و الازدهار.

و قام ولده الإمام الصادق (عليه السلام) بتجهيز الجثمان المقدس فغسله و كفنه، و هو يذرف أحر الدموع على فقد أبيه الذى ما أظلت على مثله سماء الدنيا فى عصره علما و فضلا و حريجة فى الدين.

و نقل الجثمان العظيم - محفوا بإجلال و تكريم بالغين من قبل الجماهير - الى بقيع الغرقد، فحفر له قبرا بجوار الإمام الأعظم أبيه زين العابدين (عليه السلام) و بجوار عم أبيه الإمام الحسن سيد شاب أهل الجنة (عليه السلام) و أنزل الإمام الصادق أباه فى مقره الأخير فواراه فيه، و قد وارى معه العلم و الحلم، و المعروف و البر بالناس.

لقد كان فقد الإمام أبى جعفر (عليه السلام) من أفجع النكبات التى منى بها المسلمون فى ذلك العصر، فقد خسروا القائد، و الرائد، و الموجه الذى بذل جهدا عظيما فى نشر العلم، و بلورة الوعى الفكرى و الثقافى بين المسلمين.

و المشهور بين الرواة أنه توفى و عمره الشريف ٥٨ سنة.

^{٥٤٣} (٢) صفة الصفوة: 63 / 2، تاريخ ابن الوردي: 184 / 1، تاريخ أبى الفداء: 214 / 1.

^{٥٤٤} (3) بحار الأنوار: 62 / 11.

و كانت سنة وفاته - بحسب الرأي المشهور - سنة ١١٤ هـ.

تعزية المسلمين للإمام الصادق (عليه السلام):

هرع المسلمون و قد قطع الحزن قلوبهم الى الإمام الصادق (عليه السلام) و هم يعزونه بمصابه الأليم، و يشاركونه اللوعة و الأسى بفقد أبيه، و ممن وفد عليه يعزيه سالم بن أبي حفصة، قال: لما توفى أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام)

ص: ٢١٢

قلت لأصحابي انتظروني حتى أدخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد فأعزى به، فدخلت عليه فعزيت، و قلت له : إنا لله و إنا إليه راجعون، ذهب و الله من كان يقول رسول الله (صلى الله عليه و اله) : فلا يسأل عمن بينه و بين رسول الله (صلى الله عليه و اله) و الله لا يرى مثله أبدا قال : و سكت الإمام أبو عبد الله (عليه السلام) ساعة، ثم التفت الى أصحابه فقال لهم: قال الله تعالى: «إن من عبادي من يتصدق بشق من ثمرة فاريبها له، كما يربى أحدكم فلو»^{٥٤٥}.

و خرج سالم و هو منبهر فالتفت الى أصحابه قائلاً: ما رأيت أعجب من هذا!! كنا نستعظم قول أبي جعفر (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) بلا واسطة، فقال لى أبو عبد الله (عليه السلام) قال الله بلا واسطة^{٥٤٦}.

(١) الفلو بفتح الفاء، و ضم اللام و تشديد الواو- المهر الصغير، و الاثنى فلو، و الجمع أفلا.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ١٢٥، راجع حياة الإمام محمد الباقر لفضيلة الشيخ باقر شريف القرشي: ٣٨٦-٣٩٥.

ص: ٢١٣

الفصل الثالث تراث الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

علمنا أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه و اله) قد تنبأ بأن حفيده محمد بن علي ابن الحسين (عليه السلام) سوف ييقر العلم بقرا و يفجره تفجيرا.

و قد شهد معاصر و الإمام (عليه السلام) بهذه الظاهرة التي كانت ملفنة للنظر و تناقلها المؤرخون جيلا بعد جيل.

و التراث الذي تركه لنا هذا الإمام الهمام لهو خير دليل على صحة ما شهد به هؤلاء المؤرخون على مدى القرون و الأجيال و دليل من دلائل نبوة جدّه رسول الله (صلى الله عليه و اله).

^{٥٤٥} (١) الفلو بفتح الفاء، و ضم اللام و تشديد الواو- المهر الصغير، و الاثنى فلو، و الجمع أفلا
^{٥٤٦} (٢) أمالي الشيخ الطوسي: ١٢٥، راجع حياة الإمام محمد الباقر لفضيلة الشيخ باقر شريف القرشي 2/ 386-395.

لقد كانت المرحلة التي عاشها الإمام الباقر (عليه السلام) تتطلب منه أن يقوم بتشييد أسس الحضارة الإسلامية و تحصين الأمة المسلمة بروافد المعرفة الإسلامية لتقف في وجه المدّ الثقافي الذي كان يخترق الحياة الإسلامية بسبب الفتوحات و الانفتاح الحضاري على ثقافات الأمم الوافدة على الدولة الإسلامية العظمى.

و من هنا نستطيع أن نقول : إن المعالم الرئيسية لرسالة الأئمة بعد الحسين (عليه السلام) تتلخص في التحصين المعرفي و الثقافي للأمة المسلمة بشكل

ص: ٢١٤

عام و للجماعة الصالحة بشكل خاص.

فإن الوقوف على تراثهم الذي قدّموه للأمة الإسلامية خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري و حتى بداية القرن الثالث الهجري يكشف عن عظمة هذا التراث و تفرّده عما سواه من التراث الذي نجده لدى عامة الفرق الإسلامية، و يتميز عن كل ذلك بالاستيعاب لكل حقول المعرفة، و سلامة المصدر، و نقاء المحتوى، و وضوح الارتباط بمصادر المعرفة الربّانية المتمثلة بكتاب الله و سنة رسوله (صلّى الله عليه و اله).

و لا بد أن ينعكس ثراء هذا التراث و عظمته في هذه الموسوعة رغم اختصارها و عدم استيعابها لكل تراث الإمام الباقر (عليه السلام).

و قد اخترنا من تراثه التّر نماذج في مختلف حقول العلم و المعرفة الإسلامية بمقدار ما تقتضيه صفحات هذا الجزء الخاص بالإمام الباقر (عليه السلام) أخذاً بالميسور و الله من وراء القصد و هو الموفق للصواب.

التراث التفسيري للإمام محمد الباقر (عليه السلام)

لا ريب في أن القرآن الكريم هو أول مصادر التشريع الاسلامي و أهم مصادر الثقافة الإسلامية التي تعطي للأمة الإسلامية و للرسالة الإلهية هويّتها الخاصة و تسير بالأمة الى حيث الكمال الانساني المنشود.

و قد اعتنى الإمام الباقر (عليه السلام) كسائر الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بالقرآن الكريم تلاوة و حفظا و تفسيراً و صيانة له عن أيدي العابثين و انتحال المبطلين، فكانت محاضراته التفسيرية للقرآن الكريم تشكّل حقلاً خصباً لنشاطه المعرفي و جهاده العلمي و هو يرسم للأمة المسلمة معالم هويتها

ص: ٢١٥

الخاصة. و من هنا خصص الإمام (عليه السلام) للتفسير وقتاً من أوقاته و تناول فيه جميع شؤونه . و قد أخذ عنه علماء التفسير - على اختلاف آرائهم و ميولهم - الشيء الكثير^{٥٤٧} فكان من ألمع المفسرين للقرآن الكريم في دنيا الإسلام.

^{٥٤٧} (1) حياة الإمام محمد الباقر، باقر شريف القرشي 1/ 174.

و قد نهج الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير القرآن الكريم من هجا علميًا خاصا متّسقا مع أهداف الرسالة و اصولها و نعى على أهل الرأي و الاستحسان و أهل التأويل و الظنون، فكان مما اعترض به على قتادة أن قال له:

بلغنى أنك تفسّر القرآن!.

فقال له: نعم.

فانكر عليه الإمام (عليه السلام) قائلا: «يا قتادة إن كنت قد فسرت القرآن م ن تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت، و إن كنت قد فسرتة من الرجال فقد هلكت و أهلكت، يا قتادة ويحك إنما يعرف القرآن من خوطب به»^{٥٤٨}.

و قد قصر الإمام أبو جعفر (عليه السلام) معرفة الكتاب العزيز على أهل البيت (عليهم السلام) فهم الذين يعرفون المحكم من المتشابه، و الناسخ من المنسوخ و ليس عند غيرهم هذا العلم، فقد ورد عنهم (عليهم السلام) «انه ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، الآية يكون أولها في شيء و آخرها في شيء و هو كلام متصل ينصرف الى وجوه»^{٥٤٩}.

أما الأخذ بظواهر الكتاب فلا يعد من التفسير بالرأى المنهى عنه.

و ألف الإمام الباقر (عليه السلام) كتابا في تفسير القرآن الكريم نص عليه

(١) حياة الإمام محمد الباقر، باقر شريف القرشي: ١ / ١٧٤.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٢٦٧.

(٣) فرائد الاصول: ٢٨.

ص: ٢١٦

محمد بن اسحاق النديم في «الفهرست» عند عرضه للكتب المؤلفة في تفسير القرآن الكريم حيث قال: «كتاب الباقر محمد بن علي بن الحسين رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية». و قال السيد حسن الصدر: و قد رواه عنه أيام استقامته جماعة من ثقة الشيعة منهم أبو بصير يحيى بن القاسم الأ سدي، و قد أخرجه علي بن ابراهيم بن هاشم القمي في تفسيره من طريق أبي بصير^{٥٥٠}.

نماذج من تفسيره:

^{٥٤٨} (٢) البيان في تفسير القرآن: 267.

^{٥٤٩} (٣) فرائد الاصول: 28.

^{٥٥٠} (١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: 327، الفهرست للشيخ الطوسي: 98، و حقق هذا التفسير المحامي السيد شاکر الغريايي إلا انه لم يقدمه للنشر.

فسر الإمام الباقر (عليه السلام) الهداية في قوله تعالى: **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ^{٥٥١} بالولاية لأئمة أهل البيت حين قال: فوالله لو أن رجلا عبد الله عمره ما بين الركن والمقام، ولم يجيء بولايتنا إلا أكبه الله في النار على وجهه ^{٥٥٢}.

٢- وعن قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** ^{٥٥٣}.

قال (عليه السلام): إن الله أوحى إلى نبيه أن يستخلف عليا فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعا له على القيام بما أمره الله بأدائه ^{٥٥٤}.

٣- وفي قوله تعالى: **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا** ^{٥٥٥} قال (عليه السلام): تنزل الملائكة والكتب إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون في السنة من أمور ما يصيب العباد،

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٣٢٧، الفهرست للشيخ الطوسي: ٩٨، وحقق هذا التفسير المحامي السيد شاکر الغرباوی إلا أنه لم يقدمه للنشر.

(٢) طه (٢٠): ٨٢.

(٣) مجمع البيان: ٢٣ / ٧ طبع بيروت.

(٤) المائدة (٥): ٦٧.

(٥) مجمع البيان: ٢٢٣ / ٤.

(٦) القدر (٩٧): ٤.

ص: ٢١٧

و الأمر عنده موقوف له فيه على المشيئة، فيقدم ما يشاء، و يؤخر ما يشاء، و يثبت، و عنده أم الكتاب ^{٥٥٦}.

٤- وفي قوله تعالى: **فَكُتِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ** ^{٥٥٧}، قال الإمام أبو جعفر (عليه السلام): «إنها نزلت في قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره» ^{٥٥٨}.

^{٥٥١} (٢) طه (20): 82.

^{٥٥٢} (٣) مجمع البيان: 23 / 7 طبع بيروت.

^{٥٥٣} (٤) المائدة (5): 67.

^{٥٥٤} (٥) مجمع البيان: 223 / 4.

^{٥٥٥} (٦) القدر (97): 4.

^{٥٥٦} (١) دعائم الإسلام: 334 / 1.

^{٥٥٧} (٢) الشعراء (26): 94.

^{٥٥٨} (٣) اصول الكافي: 47 / 1.

٥- و في قوله تعالى: **فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**^{٥٥٩}. روى محمد ابن مسلم قال: قلت: للإمام أبي جعفر إن من عندنا يزعمون أن المعنيين بالآية هم اليهود والنصارى. قال: إذا يدعونكم إلى دينهم! ثم أشار (عليه السلام) إلى صدره فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون^{٥٦٠}.

٦- في قوله تعالى: **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ**^{٥٦١} روى جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: لما نزلت هذه الآية قال المسلمون: يا رسول الله ألسنت إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال (صلى الله عليه و اله): أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدى أئمة على الناس من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون، و يظلمهم أئمة الكفر والضلال و أشياعهم، فمن والاهم و اتبعهم، و صدقهم فهو مني و معي، و سيلقاني، ألا و من ظلمهم و كذبهم فليس مني، و لا معي، و أنا منه بريء^{٥٦٢}.

٧- و سئل الإمام أبو جعفر عن قوله تعالى: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ**

(١) دعائم الإسلام: ١ / ٣٣٤.

(٢) الشعراء (٢٦): ٩٤.

(٣) اصول الكافي: ١ / ٤٧.

(٤) الانبياء (٢١): ٧.

(٥) اصول الكافي: ١ / ٢١١.

(٦) الاسراء (١٧): ٧١.

(٧) اصول الكافي: ١ / ٢١٥.

ص: ٢١٨

اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ^{٥٦٣} فقال (عليه السلام): السابق بالخيرات الإمام، و المقتصد العارف للإمام، و الظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام^{٥٦٤}.

٨- و عن المتوسمين في قوله تعالى: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**^{٥٦٥}، قال (عليه السلام): قال أمير المؤمنين (عليه السلام): كان رسول الله (صلى الله عليه و اله) المتوسم، و أنا من بعده و الأئمة من ذريتي المتوسمون^{٥٦٦}.

^{٥٥٩} (٤) الانبياء (21): 7.

^{٥٦٠} (٥) اصول الكافي: 1 / 211.

^{٥٦١} (٦) الاسراء (17): 71.

^{٥٦٢} (٧) اصول الكافي: 1 / 215.

^{٥٦٣} (١) فاطر (35): 32.

^{٥٦٤} (٢) اصول الكافي: 1 / 214.

٩- و في قوله تعالى : **وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا** ^{٥٦٧} قال (عليه السلام): «يعنى لو استقاموا على ولاية على بن أبى طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) و الأوصياء من ولده، و قبلوا طاعتهم فى أمرهم و نهيمهم لأسقيناهم ماء غدقا يعنى أشربنا قلوبهم الإيمان، و الطريقة: هى الإيمان بولاية على و الأوصياء» ^{٥٦٨}.

١٠- و فى ما يرتبط بقوله تعالى: **قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ** ^{٥٦٩}، سأل بريد بن معاوية الإمام أباً جعفر (عليه السلام) عن المعنيين بقوله تعالى: **وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ؟** فقال (عليه السلام): «إيانا عنى، و على أولنا، و أفضلنا و خيرنا بعد النبى (صلى الله عليه و اله)» ^{٥٧٠}.

(١) فاطر (٣٥): ٣٢.

(٢) أصول الكافي: ١ / ٢١٤.

(٣) سورة الحجر (١٥): ٧٥.

(٤) أصول الكافي: ١ / ٢١٩.

(٥) الجن (٧٢): ١٦.

(٦) أصول الكافي: ١ / ٢٢٠.

(٧) الرعد (١٣): ٤٣.

(٨) أصول الكافي: ١ / ٢٢٩ مجمع البيان: ٦ / ٣٠١ روى عن أبى جعفر أنها نزلت فى آل البيت (عليهم السلام).

ص: ٢١٩

التراث الحديثى للإمام الباقر (عليه السلام):

يعدّ الحديث النبوى الشريف المصدر الثانى من مصادر التشريع الاسلامى بعد القرآن الكريم، و له أهميته البالغة و دوره الكبير فى بناء الصرح الثقافى للامة الإسلامية بشكل عام و بناء الصرح الفقهى و التشريع العملى للحياة الانسانية بشكل خاص.

^{٥٦٥} (٣) سورة الحجر (15): 75.

^{٥٦٦} (٤) أصول الكافي: 1 / 219.

^{٥٦٧} (٥) الجن (72): 16.

^{٥٦٨} (٦) أصول الكافي: 1 / 220.

^{٥٦٩} (٧) الرعد (13): 43.

^{٥٧٠} (٨) أصول الكافي: 1 / 229 مجمع البيان: 6 / 301 روى عن أبى جعفر أنها نزلت فى آل البيت (عليهم السلام).

و قد زاد من اهتمام أهل البيت (عليهم السّلام) بنشر سنّة رسول الله و تبليغها ما واجهه الحديث النبوى الشريف من مآسى الدس و التزوير و الوضع و التضيق خلال فترة منع الخلفاء من تدوينه و كتابته بل التحديث به فى بعض الأحيان.

و اعتنى الإمام الباقر (عليه السّلام) بشكل خاص بحديث الرسول (عليه السّلام) حتى روى عنه جابر بن يزيد الجعفى سبعين ألف حديث^{٥٧١}، كما روى عنه أبان بن تغلب و غيره من تلامذته و أصحابه مجموعة كبيرة من هذا التراث الضخم.

و لم يكتف الإمام بنقل الحديث و نشره بل دعا الى الاهتمام بفهم الحديث و الوقوف على معطياته، حتى جعل المقياس فى فضل الراوى هو فهم الحديث و درايته بمعانيه و أسرار.

روى يزيد الرزّاز عن أبيه عن أبى عبد الله الصادق عن أبيه الباقر (عليهما السّلام) أنه قال له: «اعرف منازل الشيعة على قدر رواياتهم و معرفتهم؛ فإن المعرفة هى الدراية للرواية، و بالدراية للرواية يعلو المؤمن الى أقصى درجات الإيمان»^{٥٧٢}.

و قد عرضنا نماذج من رواياته عن جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و اله) فيما مرّ من بحوث سابقة فراجع^{٥٧٣}.

(١) اصول الكافي: ١/ ١٤٠، و راجع مقدمة صحيح مسلم.

(٢) حياة الإمام محمد الباقر (عليه السّلام)، للاستاذ باقر شريف القرشي: ١٤٠- ١٤١ عن ناسخ التواريخ: ٢/ ٢١٩.

(٣) الخصال: ص ٤.

ص: ٢٢٠

التراث الكلامي عند الإمام الباقر (عليه السّلام):

و بحث الإمام أبو جعفر فى كثير من محاضراته المسائل الكلامية، و سئل عن أعقد المسائل و أدقها فى بحوث هذا العلم فأجاب عنها.

و من الجدير بالذكر أن عصر الإمام كان من أشد العصور الإسلامية حساسية فقد امتدّ فيه الفتح الإسلامى الى أغلب مناطق العالم و شعوب الارض فأثار ذلك موجة من الحقد فى نفوس المعادين للإسلام من الشعوب المغلوبة على أمرها، فقاموا بحملة دعائية ضد العقيدة الإسلامية و أذاعوا الشكوك بين أبناء المسلمين، و قد شجعت الحكومات الاموية التيارات ذات الافكار المعادية للإسلام؛ إذ لم يؤثّر عن أى واح د من ملوك بنى امية أنه قاومها أو تصدّى لإيقافها بين المسلمين، و لم يكن هناك أحد قد انبرى الى انقاذ المسلمين فى ذلك العصر سوى الإمام أبى جعفر (عليه السّلام) حيث تصدى لتزييفها و الرد عليها ببالغ الحجّة و البرهان.

و اليك نماذج من بحوثه:

^{٥٧١} (١) اصول الكافي: ١/ 140، و راجع مقدمة صحيح مسلم
^{٥٧٢} (٢) حياة الإمام محمد الباقر (عليه السّلام)، للاستاذ باقر شريف القرشي: 140- 141 عن ناسخ التواريخ: 2/ 219.
^{٥٧٣} (٣) الخصال: ص 4.

١- عجز العقول عن إدراك حقيقة الله:

سئل (عليه السلام) عن قوله تعالى: **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**^{٥٧٤} فقال (عليه السلام): «أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك . وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون؟!»^{٥٧٥}.

و سأله عبد الرحمن بن أبي النجران عن الله تعالى فقال : إني أتوهم شيئا، فقال (عليه السلام) له: «نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو

(١) الانعام (٦): ١٠٣.

(٢) نسب هذا الحديث الى الإمام الجواد (عليه السلام).

ص: ٢٢١

خلافه، ولا يشبهه شيء، ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يتصور في الأوهام، إنما يتوهم شيء، غير معقول ولا محدود»^{٥٧٦}.

٢- ازلية واجب الوجود:

سأله رجل فقال له: أخبرني عن ربك متى كان؟ فأجابه الإمام (عليه السلام):

«ويلك! إنما يقال لشيء لم يكن، متى كان؟ إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حيا بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كون. كيف! ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدئ لمكانه مكانا، ولا قوى بعد ما كَوّن الأشياء، ولا كان ضعيفا قبل أن يكون شيئا، ولا كان مستوحشا قبل أن يبتدع شيئا، ولا يشبه شيئا مذكورا ، ولا كان خلوا من الملك قبل انشاءه، ولا يكون منه خلوا بعد ذهابه، لم يزل حيا بلا حياة، و ملكا قادرا قبل أن ينشئ شيئا، و ملكا جبارا بعد انشاءه للكون، فليس لكونه كيف ولا له أين، ولا له حد، ولا يعرف بشيء يشبهه، ولا يهرم لطول البقاء، ولا يصعق^{٥٧٧} لشيء، بل لخوفه تصعق الأشياء كلها. كان حيا بلا حياة حادثة، ولا كون موصوف ولا كيف محدود، ولا أين موقوف عليه، ولا مكان جاور شيئا، بل حي يعرف، و ملك لم يزل له القدرة والملك، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته، لا يحد ولا يعرض، ولا يفنى، كان أولا بلا كيف، ويكون آخر بلا أين، وكل شيء هالك إلا وجهه، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

^{٥٧٤} (١) الانعام (٦): 103.

^{٥٧٥} (٢) نسب هذا الحديث الى الإمام الجواد (عليه السلام).

^{٥٧٦} (١) اصول الكافي: 82 / 1.

^{٥٧٧} (٢) يصعق: أي يهلك، و يضعف.

ويلك أيها السائل!! إن ربي لا تغشاه الأوهام، ولا تنزل به الشبهات، ولا يحار، ولا يجاوزه شيء، ولا تنزل به الاحداث، ولا يسأل عن شيء، ولا يندم على شيء، ولا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما، وما تحت الثرى»^{٥٧٨}.

(١) اصول الكافي: ٨٢ / ١.

(٢) يصعق: أى يهلك، و يضعف.

(٣) اصول الكافي: ٨٨ / ١ - ٨٩.

ص: ٢٢٢

٣- وجوب طاعة الإمام (عليه السلام):

طاعة الإمام واجب ديني أعلنه القرآن الكريم بقوله تعالى: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ**^{٥٧٩} و تواترت الأخبار بذلك، و روى زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: «ذروة الأمر و سنامه، و مفتاحه، و باب الأشياء، و رضا الرحمن تبارك و تعالى، الطاعة للإمام بعد معرفته ... ان الله تبارك و تعالى يقول: **مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا**^{٥٨٠}.

التراث التاريخي للإمام الباقر (عليه السلام)

و تحدث الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) كثيرا عن حكم الأنبياء و سننهم و لا سيما السيرة النبوية المباركة و تأريخ العصر النبوي، و قد نقل عنه المختصون بهذه البحوث الشيء الكثير، و فيما يلي بعضها:

١- من وحي الله لآدم:

عرض الإمام (عليه السلام) لأصحابه ما أوحى الله به لآدم من الحكم و معالي الأخلاق فقال (عليه السلام): «أوحى الله تبارك و تعالى لآدم اني اجمع لك الخير كله في أربع كلمات: واحدة منهن لى، و واحدة لك، و واحدة فيما بينى و بينك، و واحدة فيما بينك و بين الناس، فأما التى لى فتعبدنى، و لا تشرك بى شيئا، و أما التى لك فأجازيك بعملك فى وقت أحوج ما تكون إليه و أما التى بينى و بينك فعليك الدعاء و علىّ الإجابة، و أما التى بينك و بين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك»^{٥٨١}.

(١) النساء (٤): ٥٩.

^{٥٧٨} (٣) اصول الكافي: ٨٨ / ١ - ٨٩.

^{٥٧٩} (١) النساء (٤): ٥٩.

^{٥٨٠} (٢) اصول الكافي: ١٨٥ / ١.

^{٥٨١} (٣) أمالي الصدوق: ٥٤٤.

(٢) اصول الكافي: ١ / ١٨٥.

(٣) أمالي الصدوق: ٥٤٤.

ص: ٢٢٣

٢- حكمة سليمان:

و حكى (عليه السلام) لأصحابه حكمة رائعة لنبى الله سليمان بن داود فقال (عليه السلام):

«قال سليمان بن داود: اوتينا ما اوتى الناس، و ما لم يؤتوا، و علمنا ما علم الناس و ما لم يعلموا، فلم نجد شيئا أفضل من خشية الله فى الغيب و المشهد، و القصد فى الغنى و الفقر، و كلمة الحق فى الرضا و الغضب، و التضرع الى الله عزّ و جلّ فى كل حال»^{٥٨٢}.

٢- حكمة فى التوراة:

و نقل (عليه السلام) لأصحابه حكمة مكتوبة فى التوراة فقال (عليه السلام): «إنّ فى التوراة مكتوبا يا موسى إني خلقتك، و اصطفيتك، و قويتك، و أمرتك بطاعتي و نهيتك عن معصيتي فإن أطعتني اعنتك على طاعتي، و إن عصيتني لم أعنك على معصيتي، يا موسى و لى المنّة عليك فى طاعتك لى، و لى الحجة عليك فى معصيتك لى»^{٥٨٣}.

٤- تسمية نوح بالعبد الشكور:

روى محمد بن مسلم عن الإمام أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال: «إنّ نوحا إنما سمي عبدا شكورا لأنه كان يقول إذا أمسى و أصبح: اللهم إني اشهدك أنه ما أمسى و أصبح بى من نعمة أو عافية فى دين أو دنيا فمّنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد و الشكر بها علىّ حتى ترضى»^{٥٨٤}.

٥- دعاء نوح على قومه:

سأل سدير الإمام أبا جعفر (عليه السلام) عن دعاء نوح على قومه فقال له:

(١) الخصال: ٢١٩.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٧٤.

(٣) علل الشرائع: ٢٩.

^{٥٨٢} (١) الخصال: 219.

^{٥٨٣} (٢) أمالي الصدوق: 274.

^{٥٨٤} (٣) علل الشرائع: 29.

أرأيت نوحا حين دعا على قومه فقال : رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَبَّارًا إِنَّكَ تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاغِرًا كَفَلُوا إِنَّه كان عالما بهم؟

فأجابه (عليه السلام): «أوحى الله اليه: انه لا يؤمن من قومك إلّا من قد آمن. فعند ذلك دعا عليهم بهذا الدعاء»^{٥٨٥}.

٦- اسماعيل أول من تكلم بالعربية:

و نقل الإمام أبو جعفر (عليه السلام) لأصحابه أنّ نبيّ الله إسماعيل هو أول من فتق لسانه باللغة العربية، بقوله (عليه السلام). «أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل، و هو ابن عشر سنة»^{٥٨٦}.

٨- نفى الامية عن النبي الأكرم (صلى الله عليه و اله):

روى على بن اسباط فقال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إن الناس يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) لم يكتب، و لم يقرأ! فأنكر (عليه السلام) ذلك و قال:

«أنّى يكون ذلك؟! و قد قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»^{٥٨٧}. كيف يعلمهم الكتاب و الحكمة و ليس يحسن أن يقرأ و يكتب؟!».

و انبرى على بن اسباط فقال للإمام: لم سمى النبي الامي؟

فأجابه الإمام: «لأنه نسب الى مكة، و ذلك قول الله عزّ و جلّ : لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا» فام القرى مكة، فقليل امي»^{٥٨٨}.

(١) علل الشرائع: ٣١.

(٢) البيان و التبیین: ٢٩٠ / ٣.

(٣) الجمعة (٦٢): ٢.

(٤) علل الشرائع: ١٢٥.

^{٥٨٥} (١) علل الشرائع: 31.

^{٥٨٦} (٢) البيان و التبیین: 290 / 3.

^{٥٨٧} (٣) الجمعة (62): 2.

^{٥٨٨} (٤) علل الشرائع: 125.

١- استعارة النبي (صلى الله عليه و اله) السلاح من صفوان:

و روى الطبري بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: لما أجمع رسول الله (صلى الله عليه و اله) السير الى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صفوان بن امية أدراعا و سلاحا، فأرسل اليه فقال : يا أبا امية- و هو يومئذ مشرك- أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا.

فقال له صفوان: أغصبا يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة، حتى تؤديها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح، و زعموا أن رسول الله (صلى الله عليه و اله) سأله أن يكفيه حملها ففعل.

قال الإمام أبو جعفر (عليه السلام): فمضت السنة أن العارية مضمونة^{٥٨٩}.

و قد ألع الإمام الى أن هذه الحادثة قد استفيد منها القاعدة الفقهية و هو ان العارية مضمونة مع التفريط، فمن استعار شيئا فقد ضمنه حتى يؤديه الى صاحبه.

٢- مسيرة خالد الى بنى جذيمة:

و روى ابن هشام بسنده عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام): ان رسول الله (صلى الله عليه و اله) بعث خالد بن الوليد الى بنى جذيمة حين فتح مكة داعيا الى الله، و لم يبعثه مقاتلا إلا أنَّ خالدًا أغار عليهم فأوجسوا منه خيفة فبادروا الى أسلحتهم فحملوها، فلما رأى خالد ذلك قال لهم: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا،

(١) تاريخ الطبري: ٧٣ / ٣ طبع دار المعارف.

ص: ٢٢٤

و وثقوا بقوله، فوضعوا سلاحهم، إلا أنه غدر بهم، فأمر بتكتيفهم ثم عرضهم على السيف، فقتل منهم من قتل، و لما انتهى خبرهم الى النبي (صلى الله عليه و اله) بلغ به الحزن أقصاه و رفع يديه بالدعاء، و قال:

«اللهم إنني أبرأ إليك مما صنع خالد». و دعا النبي (صلى الله عليه و اله) الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له: «اخرج الى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، و اجعل أمر الجاهلية تحت قدميك».

و خرج عليّ (عليه السلام) حتى جاءهم، و معه مال، فودى لهم الدماء، و ما أصيب لهم من الأموال، حتى انه ليدى ميلغة الكلب^{٥٩٠} حتى إذا لم يبق شيء من دم و لا مال إلا وداه، و بقيت معه بقية من المال، فقال لهم عليّ: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يؤدّ لكم؟ قالوا: لا. قال: فإني اعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطا لرسول الله (صلى الله عليه و اله) مما

^{٥٨٩} (١) تاريخ الطبري: 73 / 3 طبع دار المعارف.

^{٥٩٠} (١) الميلغة: الاناء يلغ فيه الكلب أو يسقى فيه فقد أعطى عليّ (عليه السلام) دينته.

يعلم ولا تعلمون، فأعطاهم ثم رجع الى رسول الله (صلى الله عليه و اله) فأخبره الخبر، فقال (صلى الله عليه و اله) : أصبت وأحسن، وقام رسول الله (صلى الله عليه و اله) فاستقبل القبلة شاهرا يديه، حتى كان يرى م ا تحت منكبيه، و هو يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» وكرر ذلك ثلاث مرات^{٥٩١}.

هذه بعض رواياته عن السيرة النبوية المباركة، و قد آثرنا الايجاز و الإشارة فحسب.

(١) الميلغة: الاناء يلغ فيه الكلب أو يسقى فيه. فقد أعطى عليّ (عليه السلام) ديته.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / ٤٢٩ - ٤٣٠.

ص: ٢٢٧

مع سيرة الإمام عليّ (عليه السلام):

و تحدث الإمام أبو جعفر (عليه السلام) في كثير من أحاديثه عن سيرة جدّه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) رائد الحق و العدالة بعد رسول الله (صلى الله عليه و اله) و إليك نموذجا من ما رواه:

روى زرارة بن أعين عن أبيه، عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان عليّ (عليه السلام) إذا صلى الفجر لم يزل معقبا الى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء و المساكين و غيرهم من الناس فيعلمهم هم الفقه و القرآن، و كان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوما، فمرّ برجل فرماه بكلمة هجر - و لم يسم أبو جعفر ذلك الرجل - فرجع الإمام، و صعد المنبر، و أمر فنودي الصلاة جامعة، فلما حضر الناس، حمد الله و أثنى عليه، و صلى على نبيه، ثم قال : «أيها الناس انه ليس شيء أحب الى الله، و لا أعم نفعاً من حلم إمام و فقهه، و لا شيء أبغض إلى الله، و لا أعم ضرراً من جهل إمام و خرقه، ألا و إنه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ، ألا و انه من انصف من نفسه لم يزد الله، إلّا عزاً، ألا و ان الذل في طاعة الله أقرب الى الله من التعزز في معصيته، ثم قال : أين المتكلم آنفا؟ فلم يستطع الانكار، فقال: ها أناذا يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني لو أشاء لقلت. فقال: إن تعف و تصفح فأنت أهل لذلك فقال:

«قد عفوت و صفحت»^{٥٩٢}.

(١) شرح النهج: ٤ / ١٠٩ - ١١٠.

ص: ٢٢٨

من الملاحم التي أخبر عنها الإمام الباقر (عليه السلام):

^{٥٩١} (٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / 429 - 430.

^{٥٩٢} (١) شرح النهج: 4 / 109 - 110.

١- قال أبو جعفر الدوانيقي: كنت هاربا من بنى أمية أنا وأخي أبو العباس فمررنا بمسجد النبي (صلى الله عليه و اله) و محمد بن علي جالس، فقال (عليه السلام) لرجل إلى جانبه: كأنى بهذا الأمر قد صار إلى هذين، وأشار إلينا، فجاء الرجل و أخبرنا بمقاتلته، فملنا إليه و قلنا له: يا بن رسول الله! ما الذى قلت؟ فقال (عليه السلام):

«هذا الأمر صائر إليكم عن قريب و لكنكم تسيئون إلى ذريتي، و عترتي فالويل لكم»^{٥٩٣}.

فكان كما أخبر (عليه السلام) و قد أساء المنصور حينما ولى الخلافة إلى ذرية رسول الله (صلى الله عليه و اله) و عترته، فنكل بهم كأقطع ما يكون التنكيل و قد قاست عترة رسول الله (صلى الله عليه و اله) في عهد هذا الطاغية من صنوف العذاب ما لم تره عين في عهد الامويين فقد كانت أيامه عليهم كلها محنة و ألما و عذابا.

٢- و مما أنبأ عنه الإمام أبو جعفر (عليه السلام) أنه أخبر عن الحجر الأسود و أنه يعلق في الجامع الأعظم في الكوفة^{٥٩٤}. و تحقق ذلك أيام القرامطة فقد أخذوه من الكعبة، و جعلوه في جامع الكوفة؛ معتقدين أن الحج يدور مداره، و قد أرادوا ان يكون الحج إلى مسجد الكوفة، و بقى فيه مدة تقرب من عشرين عاما ثم ارجع إلى مكانه.

٣- و من الملاحم التي أخبر عنها: غزو نافع بن الأزرق لمدينة النبي (صلى الله عليه و اله)، و إباحتها لجنوده، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «كان أبى في مجلس عام إذ اطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعه و قال: يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل

(١) دلائل الامامة: ٩٦.

(٢) اتعاض الحنفاء للمقریزی: ٢٤٥.

ص: ٢٢٩

عليكم مدينتكم في أربعة آلاف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متواليه، فيقتل مقاتلكم، و تلقون منه بلاءا لا تقدرون عليه و لا على دفعه و ذلك من قابل - أى السنة التي تأتي - فخذوا حذرکم، و اعلموا أن الذى قلت لكم هو كائن لا بد منه»، فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه، و قالوا: لا يكون هذا أبدا، فلما كانت السنة المقبلة حمل أبو جعفر (عليه السلام) عياله، و اصطحب معه جماعة من بنى هاشم، و خرجوا من المدينة، فجاء نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة آلاف و استباحها ثلاثة أيام، و قتل فيها خلقا كثيرا^{٥٩٥} و استبان لأهل المدينة مدى صدق الإمام في إخباره.

^{٥٩٣} (١) دلائل الامامة: 96.

^{٥٩٤} (٢) اتعاض الحنفاء للمقریزی: 245.

^{٥٩٥} (١) نور الابصار: 130، جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام: 134، الخزائج و الجرايح: 80 من مخطوطات مكتبة الحكيم

٤- وأخبر الإمام الباقر (عليه السلام) عن شهادة أخيه زيد بن علي فقد قال زيد ابن حازم : كنت مع أبي جعفر (عليه السلام) فمرّ بنا زيد بن علي فقال لي أبو جعفر (عليه السلام): «أما رأيت هذا؟ ليخرجن بالكوفة، و ليقتلن، و ليطافن برأسه»^{٥٩٦}. و لم تمض الأيام حتى قتل زيد بالكوفة و طيف برأسه في الأقطار و الأمصار.

٥- و من الأحداث التي أخبر عنها الإمام أبو جعفر (عليه السلام) هو ما أخبر به من هدم دار هشام بن عبد الملك، و هي من أضخم الدور في المدينة، و كان قد بناها بأحجار الزيت. قال (عليه السلام): «أما و الله لتهدمن، أما و الله لتندر أحجار الزيت»، قال أبو حازم: فلما سمعت هذا تعجبت منه و قلت: من يهدمها و أمير المؤمنين هشام قد بناها! فلما مات هشام و ولي الخلافة من بعده الوليد أمر بهدمها، و نقل أحجار الزيت منها حتى ندرت في يثرب^{٥٩٧}.

(١) نور الابصار: ١٣٠، جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام : ١٣٤، الخرايج و الجرايح : ٨٠ من مخطوطات مكتبة الحكيم.

(٢) نور الابصار: ص ١٣١.

(٣) دلائل الامامة: ١١٠.

ص: ٢٣٠

من التراث الفقهي للإمام الباقر (عليه السلام)

و تحدث الإمام ابو جعفر (عليه السلام) عن حكم القتال و الحرب في الإسلام حينما سأله رجل من شيعته عن حروب الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقال له:

«بعث الله محمدا (صلى الله عليه و اله) بخمسة أسياف: ثلاثة منها شاهرة لا تغمد حتى تضع الحرب أوزارها، و لن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس من مغربها أمن الناس كلهم في ذلك اليوم فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، و سيف مكفوف، و سيف منها مغمود، سله إلى غيرنا، و حكمه إلينا.

فأما السيوف الثلاثة الشاهرة: فسيف على مشركي العرب، قال الله عز و جل:

فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خَذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ^{٥٩٨} فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ^{٥٩٩} هَؤُلَاءِ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَتْلُ أَوْ الدَّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ، وَ أَمْوَالُهُمْ فِيَّ وَ ذُرَارِيَهُمْ سَبَى عَلَى مَا سَنَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه و اله) فَإِنَّهُ سَبَى وَ عَفَا، وَ قَبِلَ الْفِدَاءَ.

^{٥٩٦} (٢) نور الابصار: ص 131.

^{٥٩٧} (٣) دلائل الامامة: 110.

^{٥٩٨} (١) التوبة (٩): 5.

^{٥٩٩} (٢) التوبة (٩): 11.

و السيف الثانى : على أهل الذمة قال الله سبحانه **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**^{٦٠٠} نزلت هذه الآية فى أهل الذمة، و نسخها قوله : **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**^{٦٠١} فمن كان منهم فى دار الإسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية

(١) التوبة (٩): ٥.

(٢) التوبة (٩): ١١.

(٣) البقرة (٢): ٨٣.

(٤) التوبة (٩): ٢٩.

ص: ٢٣١

أو القتل، و ما لهم فى ء، و ذراريهم سبى، فاذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم و حرمت أموالهم، و حلت لنا مناكحتهم^{٦٠٢} و من كان منهم فى دار الحرب حل لنا سبيهم و أموالهم، و لم تحل لنا مناكحتهم، و لم يقبل منهم إلا دخول دار الإسلام و الجزية أو القتل.

و السيف الثالث : على مشركى العجم كالترك و الديلم و الخزر، قال الله عزّ و جلّ : فى أول السورة التى يذكر فيها الذين كفروا **فَقَصْ قِصَّتَهُمْ، ثُمَّ قَالَ : فَضْرَبَ الرِّقَابَ حَتَّى إِذَا أَثَخَتُهُمُ فَشَدُّوا الْوُثَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**^{٦٠٣}.

فأما قوله: **فِيمَا مَنَّا بَعْدُ** يعنى بعد السبى منهم «و أما فداء» يعنى المفاداة بينهم، و بين أهل الإسلام، فهؤلاء لن يقبل منهم إلا القتل أو الدخول فى الإسلام، و لا يحل لنا نكاحهم ما داموا فى الحرب.

و أما السيف المكفوف : فسيف على أهل البغى و التأويل قال الله : **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**^{٦٠٤} فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله (صلى الله عليه و اله) ان منكم من يقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فسأل النبى (صلى الله عليه و اله) من هو؟ فقال: خاصف النعل - يعنى أمير المؤمنين - و قال عمار ابن ياسر: قاتلت بهذه الرؤية مع رسول الله (صلى الله عليه و اله) ثلاثا^{٦٠٥} و هذه الرابعة و الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر^{٦٠٦} لعلمنا أنا على الحق، و انهم على الباطل، و كانت

^{٦٠٠} (3) البقرة (2): 83.

^{٦٠١} (4) التوبة (9): 29.

^{٦٠٢} (1) فى التهذيب و الكافي «مناكحتهم».

^{٦٠٣} (2) محمد (47): 4.

^{٦٠٤} (3) الحجرات (49): 9.

^{٦٠٥} (4) الثلاث: التى قاتل مع تلك الرؤية الصحابي العظيم عمار بن ياسر هي : يوم بدر و يوم أحد و يوم حنين، و كان يتزعم تلك الحروب أبو سفيان عميد الأمويين.

^{٦٠٦} (5) هجر:- بالتحريك بلدة باليمن، كما إنها اسم لجميع أرض البحرين.

السيرة فيهم من أمير المؤمنين (عليه السلام) مثل ما كان من رسول الله (صلى الله عليه و اله) في أهل مكة يوم فتحها فإنه لم يسب لهم ذرية، و قال: من أغلق بابه فهو

(١) في التهذيب و الكافي «مناكحتهم».

(٢) محمد (٤٧): ٤.

(٣) الحجرات (٤٩): ٩.

(٤) الثلاث: التي قاتل مع تلك الراية الصحابي العظيم عمار بن ياسر هي : يوم بدر و يوم أحد و يوم حنين، و كان يتزعم تلك الحروب أبو سفیان عميد الأمويين.

(٥) هجر:- بالتحريك - بلدة باليمن، كما إنها اسم لجميع أرض البحرين.

ص: ٢٣٢

آمن، و من القى سلاحه فهو آمن، و كذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام): يوم البصرة نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرية، و لا تدفّفوا على جريح^{٦٠٧} و لا تتبعوا مدبرا، و من اغلق بابه و القى سلاحه فهو آمن.

و السيف المغمود : فالسيف الذى يقام به القصاص قال الله عزّ و جلّ: **النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ**^{٦٠٨} فسله إلى اولياء المقتول و حكمه إلينا.

فهذه السيوف التي بعث الله بها محمدا (صلى الله عليه و اله) فمن جردها أو جحد واحدا منها و شيئا من سيرها فقد كفر بما انزل الله تبارك و تعالى على محمد نبيه^{٦٠٩}.

و استمد فقهاء المسلمين الاحكام التي رتبوها على قتال أهل البغي من سيرة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في حرب الجمل، كما أخذوا عن أئمة الهدى (عليهم السلام) الكثير من الاحكام في هذا الباب.

المسح على الخفين:

و جوّز فقهاء المذاهب الإسلامية المسح على الخفين في الوضوء، و لم يشترطوا مماسّة اليد لظاهر القدمين^{٦١٠}. و أمّا أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فقد اعتبروا المماسّة و اشترطوها و لم يسوغوا غيرها، يقول الربيع: سألت أبا اسحاق عن المسح، فقال: أدركت الناس يمسحون - يعنى على الخفين - حتى لقيت رجلا من بنى هاشم لم أر مثله قط يقال له : محمد بن على بن الحسين فسألته عن المسح، فنهاني عنه، و قال: «لم يكن أمير المؤمنين (عليه السلام) يمسح، و كان يقول: سبق

^{٦٠٧} (١) لا تدفّفوا على جريح: أي لا تجهزوا عليه.

^{٦٠٨} (٢) المائدة(٥): 45.

^{٦٠٩} (٣) تحف العقول: ص 288- 290، و رواه الكليني في فروع الكافي، و الشيخ الصدوق في الخصال، و الشيخ الطوسي في التهذيب

^{٦١٠} (٤) الخلاف: 18/1.

(١) لا تدفقوا على جريح: أى لا تجهزوا عليه.

(٢) المائدة (٥): ٤٥.

(٣) تحف العقول: ص ٢٨٨ - ٢٩٠، ورواه الكليني فى فروع الكافى، و الشيخ الصدوق فى الخصال، و الشيخ الطوسى فى التهذيب.

(٤) الخلاف: ١ / ١٨.

ص: ٢٣٣

الكتاب المسح على الخفين»^{٦١١}.

لقد دل الكتاب العظيم على اعتبار المماسه إذ قال تعالى : **وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ** و الآية ظاهرة أشد الظهور فيما حكم به أهل البيت (عليهم السلام).

مس الفرج لا ينقض الوضوء:

و ذهب الشافعى إلى أن مسّ الفرج من نواقض الوضوء، و تمسك بذلك بما روى عن ابن عمر و سعد بن أبى وقاص و أبى هريرة و عائشة و سعيد بن المسيب، و سليمان بن يسار من أن مسّ ال فرج من نواقض الوضوء . أما الامام أبو جعفر (عليه السلام) و سائر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فإنهم لا يرون ذلك، فقد روى زرارة عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال: «ليس فى القبلة و لا المباشرة، و لا مس الفرج وضوء»^{٦١٢}.

الجهر فى صلاة الاخفات:

و ذهب فقهاء المذاهب الإسلامية إلى أن الجهر فى صلاة الإخفات أو الإخفات فى صلاة الجهر متعمدا غير مبطل للصلاة، أما فى فقه مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإنه مبطل للصلاة، فقد روى زرارة عن الامام أبى جعفر (عليه السلام) فى رجل جهر فيما لا ينبغى الاجهار فيه أو أخفى فيما لا ينبغى الإخفاء فيه، فقال (عليه السلام): «إن فعل ذلك متعمدا فقد نقض صلاته و عليه الإعادة، و إن فعل ذلك ناسيا أو ساهيا أو لا يدري فلا شيء عليه و قد تمت صلاته»^{٦١٣}.

(١) روضة الواعظين: ٢٤٣، و هذا النص يفيد أن الكتاب لا يوافق المسح على الخفين.

(٢) الخلاف: ١ / ٢٣.

^{٦١١} (١) روضة الواعظين: 243، و هذا النص يفيد أن الكتاب لا يوافق المسح على الخفين

^{٦١٢} (٢) الخلاف: 23 / 1.

^{٦١٣} (٣) المصدر السابق: 130 / 1.

الصلاة على آل النبي في التشهد:

و ذهب أكثر فقهاء المسلمين الى وجوب الصلاة على آل النبي (صلى الله عليه و اله) في التشهد، و قد روى جابر الجعفي عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و اله): «من صلى صلاة لم يصل فيها عليّ، و لا على أهل بيتي لم تقبل منه»^{٦١٤}.

هذه نماذج من المسائل الفقهية الكثيرة التي تكلم عنها الإمام أبو جعفر (عليه السلام).

من وصايا الإمام الباقر (عليه السلام)

و زوّد الإمام أبو جعفر (عليه السلام) تلميذه العالم جابر بن يزيد الجعفي بهذه الوصية الخالدة الحافلة بجميع القيم الكريمة و المثل العليا التي يسمو بها الانسان فيما لو طبقها على واقع حياته، و هذا بعض ما جاء فيها:

«أوصيك بخمس: إن ظلمت فلا تظلم، و إن خانوك فلا تخن، و إن كذبت فلا تغضب، و إن مدحت فلا تفرح، و إن ذممت فلا تجزع، و فكر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جلّ و عزّ عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس، و إن كنت على خلاف ما قيل فيك، فتواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك.

و اعلم بأنك لا تكون لنا وليا حتى لو اجتمع عليك أهل مصر، و قالوا : إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، و لو قالوا : إنك رجل صالح لم يسرك ذلك، و لكن اعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكا سبيله، زاهدا في تزيهه، راغبا في ترغيه، خائفا من تخوفه

فاثبت و أبشر، فإنه لا يضرّك ما قيل فيك، و إن كنت مبائنا للقرآن، فماذا الذي يغرك من نفسك.

إن المؤمن معنى بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرة يقيم إودها و يخالف هواها في محبة الله، و مرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعهه الله، فينتعش، و يقلل الله عثرته فيتذكر، و يفزع الى التوبة و المخافة فيزداد بصيرة و معرفة لما زيد فيه من الخوف، و ذلك بأن الله يقول: **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**^{٦١٥}.

يا جابر، استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصا الى الشكر، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراءا على النفس^{٦١٦} و تعرضا للعفو.

و ادفع عن نفسك حاضره الشر بحاضره العلم، و استعمل حاضره العلم بخالصة العمل، و تحرز في خالصة العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ، و استجلب شدة التيقظ بصدق الخوف، و احذر خفي التزين بحاضره الحياة، و توق مجازفة الهوى بدلالة العقل، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، و استبق خالصة الاعمال ليوم الجزاء.

و انزل ساحة القناعة باتقاء الحرص، و ادفع عظيم الحرص بايثار القناعة، و استجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل، و اقطع اسباب الطمع ببرد اليأس.

و سد سبيل العجب بمعرفة النفس، و تخلص الى راحة النفس بصحة التفويض، و اطلب راحة البدن بإجمام^{٦١٧} القلب، و تخلص الى اجمام القلب بقله الخطأ.

و تعرض لرقه القلب بكثرة الذكر في الخلوات، و استجلب نور القلب بدوام الحزن.

و تحرز من ابليس بالخوف الصادق، و إياك و الرجاء الكاذب فإنه يوقعك في الخوف الصادق.

(١) الاعراف (٧): ٢٠١.

(٢) ازراءا على النفس: أي احتقارا و استخفافا بها.

(٣) الجمام:- بالفتح - الراحة.

ص: ٢٣٦

و تزين لله عز و جل بالصدق في الاعمال، و تحبب إليه بتعجيل الانتقال. و إياك و التسويف فإنه بحر يغرق فيه الهلكى.

و إياك و الغفلة ففيها تكون قساوة القلب، و إياك و التواني فيما لا عذر لك فيه فإنه يلجأ النادمون.

و استرجع سالف الذنوب بشدة الندم، و كثرة الاستغفار.

و تعرض للرحمة و عفو الله بحسن المراجعة، و استعن على حسن المراجعة بخالصة الدعاء، و المناجاة في الظلم.

و تخلص الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق، و استقلال كثير الطاعة.

^{٦١٥} (١) الاعراف (٧): 201.

^{٦١٦} (٢) ازراءا على النفس أي احتقارا و استخفافا بها.

^{٦١٧} (٣) الجمام:- بالفتح - الراحة.

و استجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، و التوسل الى عظيم الشكر بخوف زوال النعم.

و اطلب بقاء العزّ بإماتة الطمع، و ادفع ذل الطمع بعز اليأس، و استجلب عز اليأس ببعد الهمة.

و تزود من الدنيا بقصر الأمل، و بادر بانتهاز البغية عند امكان الفرصة، و لا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان.

و إياك و الثقة بغير المأمون فإن للشر ضراوة كضراوة الغذاء.

و اعلم انه لا علم كطلب السلامة، و لا سلامة كسلامة القلب، و لا عقل كمخالفة الهوى، و لا خوف كخوف حاجز، و لا رجاء كرجاء معين.

و لا فقر كفقر القلب، و لا غنى كغنى النفس، و لا قوة كغلبة الهوى.

و لا نور كنور اليقين، و لا يقين كاستصغارك للدنيا، و لا معرفة كمعرفتك بنفسك.

و لا نعمة كالعافية، و لا عافية كمساعدة التوفيق، و لا شرف كبعد الهمة، و لا زهد كقصر الأمل، و لا حرص كالمنافسة في الدرجات.

و لا عدل كالإنصاف، و لا تعدى كالجور، و لا جور كمواقفة الهوى، و لا طاعة كأداء الفرائض، و لا خوف كالحزن، و لا مصيبة كعدم العقل، و لا عدم عقل كقلّة اليقين، و لا قلّة

ص: ٢٣٧

يقين كفقْد الخوف و لا فقد خوف كقلّة الحزن على فقد الخوف.

و لا مصيبة كاستهانتك بالذنب، و رضاك بالحالة التي أنت عليها.

و لا فضيلة كالجهاد، و لا جهاد كمجاهدة الهوى، و لا قوة كردّ الغضب.

و لا معصية كحب البقاء، و لا ذلّ كذلّ الطمع، و إياك و التفریط عند إمكان الفرصة فإنه ميدان يجرى لأهله بالخسران

...»^{٦١٨}.

و بهذا ينتهى بنا الحديث عن بعض كلماته الحكيمّة التي تمثّل أصالة الفكر و الإبداع.

و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

(١) تحف العقول: ٢٨٤ - ٢٨٦.

^{٦١٨} (1) تحف العقول: 284 - 286.

ص: ٢٣٩

الفهرس التفصيلي

فهرس اجمالي ٥

مقدمة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السّلام) ٧

الباب الأوّل:

الفصل الاول: الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) في سطور ١٧

الفصل الثاني: انطباعات عن شخصيّة الإمام الباقر (عليه السّلام) ٢١

الفصل الثالث: مظاهر من شخصيّة الإمام الباقر (عليه السّلام) ٢٥

الباب الثاني الفصل الاول: نشأة الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) ٣٩

الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) ٤٥

الفصل الثالث: الإمام محمد الباقر (عليه السّلام) في ظل جدّه و أبيه (عليهما السّلام) ٤٧

النصوص على إمامة محمد بن علي الباقر (عليه السّلام) ٥٠

الإمام زين العابدين و الإعلان عن إمامة ابنه الباقر (عليه السّلام) ٥١

الباب الثالث:

الفصل الأوّل: جهاد أهل البيت و دور الإمام الباقر (عليه السّلام) ٥٥

مراحل حركة الأئمة من أهل البيت (عليهم السّلام) ٦١

الفصل الثاني: وقائع و أحداث هامة في عصر الإمام (عليه السّلام) ٦٥

ص: ٢٤٠

الإمام الباقر (عليه السّلام) مع عبد الملك بن مروان ٧٢

الإمام الباقر (عليه السّلام) و تحرير النقد الاسلامي ٧٣

الإمام الباقر (عليه السلام) و عمر بن عبد العزيز ٨٣

حمل الإمام الباقر (عليه السلام) الى دمشق و اعتقاله ٨٨

الإمام الباقر (عليه السلام) مع قسيس نصراني ٩٣

اهم ملامح عصر الامام الباقر (عليه السلام) ٩٤

مظاهر الانحراف فى عصر الإمام الباقر (عليه السلام) ٩٧

أولاً: الانحراف الفكرى و العقائدى ٩٧

ثانياً: الانحراف السياسى ٩٩

ثالثاً: الانحراف الأخلاقى ١٠٢

رابعاً: الانحراف فى الميدان الاقتصادى ١٠٣

الفصل الثالث: دور الإمام محمد الباقر (عليه السلام) فى اصلاح الواقع الفاسد ١٠٥

محاوّر الحركة الاصلاحية العامة للإمام (عليه السلام) ١٠٦

أولاً: الاصلاح الفكرى و العقائدى ١٠٦

١- الردّ على الأفكار و العقائد الهدامة و المذاهب المنحرفة ١٠٦

٢- الحوار مع المذاهب و الرموز المنحرفة ١٠٩

٣- ادانة فقهاء البلاط ١١٢

٤- الدعوة الى أخذ الفكر من مصادره النقية ١١٢

٥- نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) ١١٣

ثانياً: تأسيس المدرسة الفقهية النموذجية ١١٤

مميزات مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الفقهية ١١٦

ثالثاً: الاصلاح السياسى ١١٧

١- الدعوة الى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ١١٨

٢- نشر المفاهيم السياسية السليمة ١١٩

٣- فضح الواقع الاموى ١٢١

٤- الدعوة الى مقاطعة الحكم القائم ١٢٢

٥- موافقة المباشرة من الحكام المنحرفين ١٢٣

٦- موقفه من الثورة المسلحة ١٢٥

رابعا: الاصلاح الأخلاقى و الاجتماعى ١٢٦

١- الدعوة لتطبيق السنّة النبوية ١٢٦

٢- الدعوة الى مكارم الأخلاق ١٢٩

خامسا: الاصلاح الاقتصادى ١٣١

الباب الرابع:

الفصل الأول: الإمام الباقر (عليه السّلام) و بناء الجماعة الصالحة ١٣٧

أولاً: الإمام الباقر (عليه السّلام) و مقومات الجماعة الصالحة ١٤٠

ثانياً: الإمام الباقر (عليه السّلام) التزكية ١٤٦

ثالثاً: المنهج التثقيفى عند الإمام الباقر (عليه السّلام) ١٥٤

رابعا: الإمام الباقر (عليه السّلام) و احياء الروح الثورية فى الامة ١٥٩

خامسا: الإمام الباقر (عليه السّلام) و تشخيص هوية الجماعة الصالحة ١٦٢

محاوّر الانتماء فى الجماعة الصالحة ١٦٣

سادسا: الإمام الباقر (عليه السّلام) و العلاقات فى نظام الجماعة الصالحة ١٦٩

١- العلاقات داخل الجماعة الصالحة ١٦٩

اسس العلاقات الداخلية ١٧١

٢- العلاقات مع الجماعات الإسلامية الأخرى ١٧٢

ص: ٢٤٢

٣- العلاقة مع أهل الذمة ١٧٣

٤- العلاقة مع الكفار ١٧٣

سابعاً: الإمام الباقر (عليه السلام) و النظام الأمني للجماعة الصالحة ١٧٤

ثامناً: الإمام الباقر (عليه السلام) و النظام الاقتصادي للجماعة الصالحة ١٨٠

التأكيد على أهمية العامل الاقتصادي ١٨١

التوازن بين طلب الرزق و طلب المكارم ١٨٣

التكافل داخل الجماعة الصالحة ١٨٦

تاسعاً: الإمام الباقر (عليه السلام) و النظام الاجتماعي للجماعة الصالحة ١٩٠

عاشراً: الإمام الباقر (عليه السلام) و مستقبل الجماعة الصالحة ٢٠٢

الفصل الثاني: اغتيال الإمام الباقر (عليه السلام) و استشهاد ٢٠٧

الفصل الثالث: تراث الامام الباقر (عليه السلام) ٢١٣

التراث التفسيري للإمام الباقر (عليه السلام) ٢١٤

التراث الحديثي للإمام الباقر (عليه السلام) ٢١٩

التراث الكلامي عند الإمام الباقر (عليه السلام) ٢٢٠

التراث التاريخي للإمام الباقر (عليه السلام) ٢٢٢

مع السيرة النبوية المباركة ٢٢٥

مع سيرة الإمام علي (عليه السلام) ٢٢٧

من الملاحم التي أخبر عنها الإمام الباقر (عليه السلام) ٢٢٨

من التراث الفقهي للإمام الباقر (عليه السلام) ٢٣٠

من وصايا الإمام الباقر (عليه السلام) ٢٣٤

الفهرس ٢٣٩^{٦٩}

ص: ٢٤٣

^{٦٩} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق.